حِوَارٌ مَعَ صُوفِيٍّ

مُنَاظَرَةٌ مُثِيرَةٌ بِأَدِلَّةٍ نَفِيسَةٍ

تأليف

عَلِيّ بْن السَّيِّد الوَصِيفِيّ

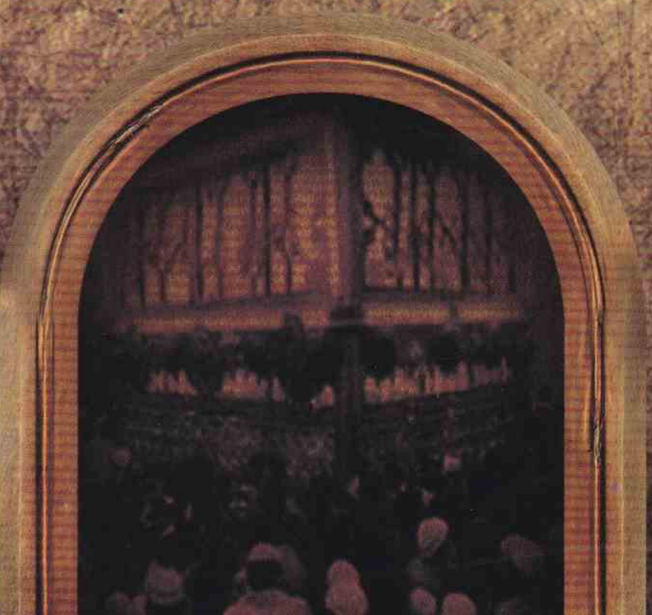
حفظه الله تعالى

تقديم

للأستاذ الدكتور

سَعْد بْن عَبْد الرَّحْمَن نَدَا

المدرس بالجامعة الإسلامية
وعضو هيئة التوعية الإسلامية بالمدينة سابقًا

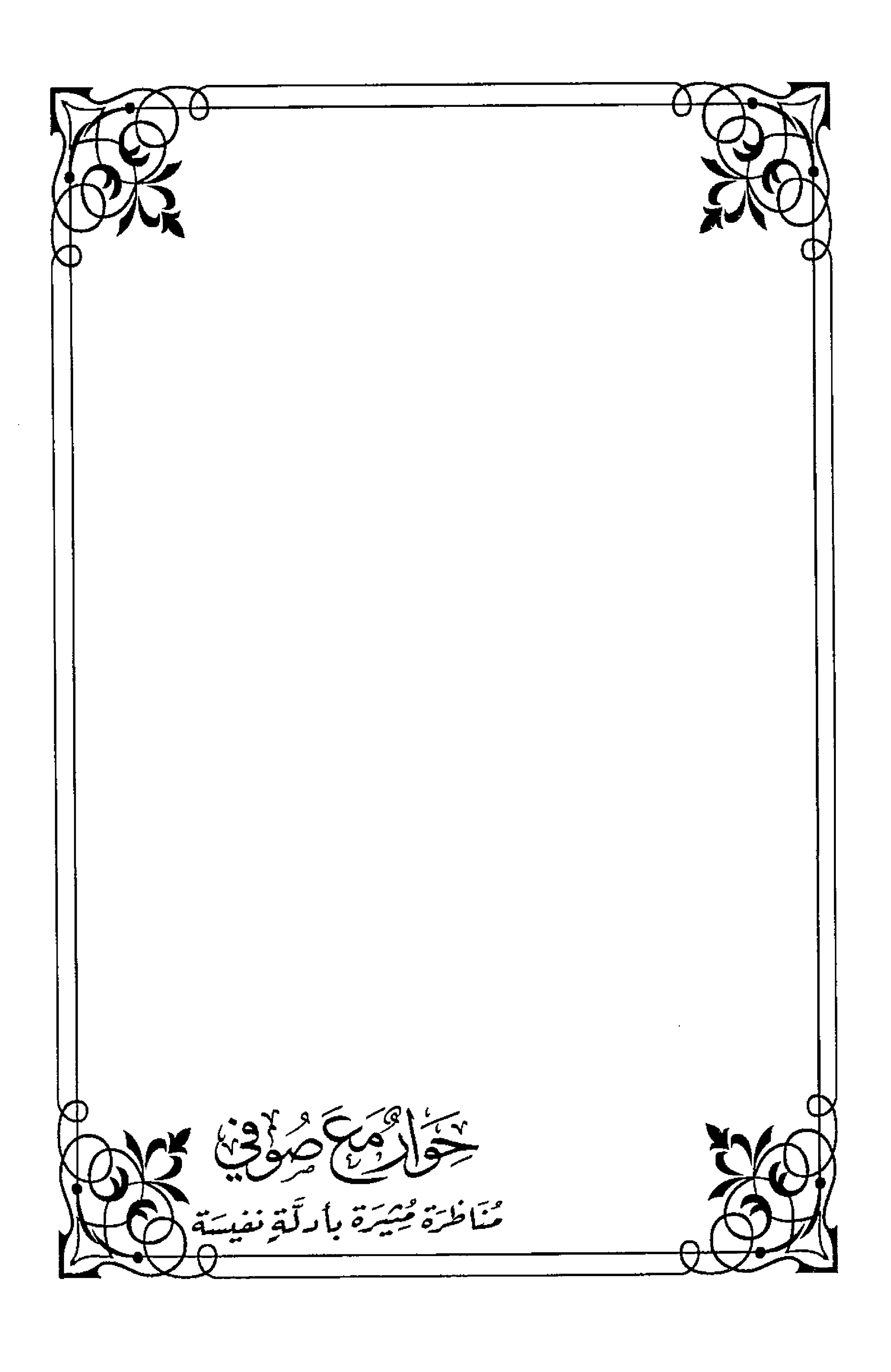


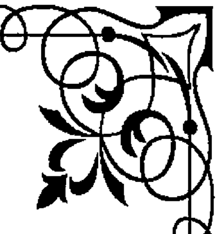


مصورات

أبي عبد الرحمن السلفي

الفلسطيني


حوار مع صوفي
مناظرة مثيرة بأدلة نفيسة

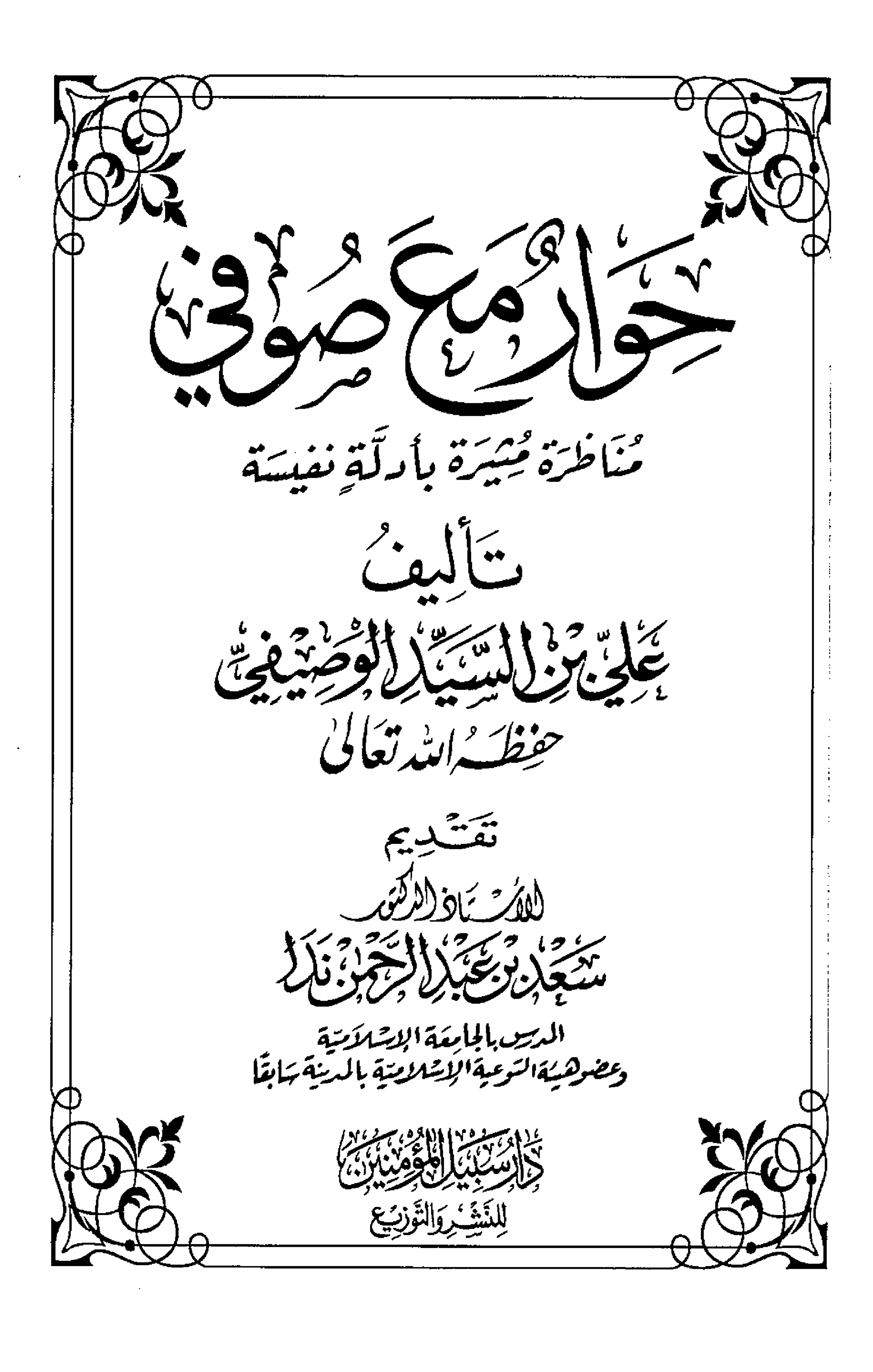



رقم الإيداع: 2013/16608

الترقيم الدولي: 5-49-6427-977-978

دار سبيل المؤمنين
للنشر والتوزيع

عين شمس ـ القاهرة ـ جمهورية مصر العربية
جوال: 00201007610099 - 00201140110099
البريد الإلكتروني:
Dar_sabilelmomnen@yahoo.com
Dar_sabilelmomnen@hotmail.com



حوار مع صوفي

مناظرة مثيرة بأدلة نفيسة

تأليف

علي بن السيد الوصيفي

حفظه الله تعالى

تقديم

الأستاذ الدكتور

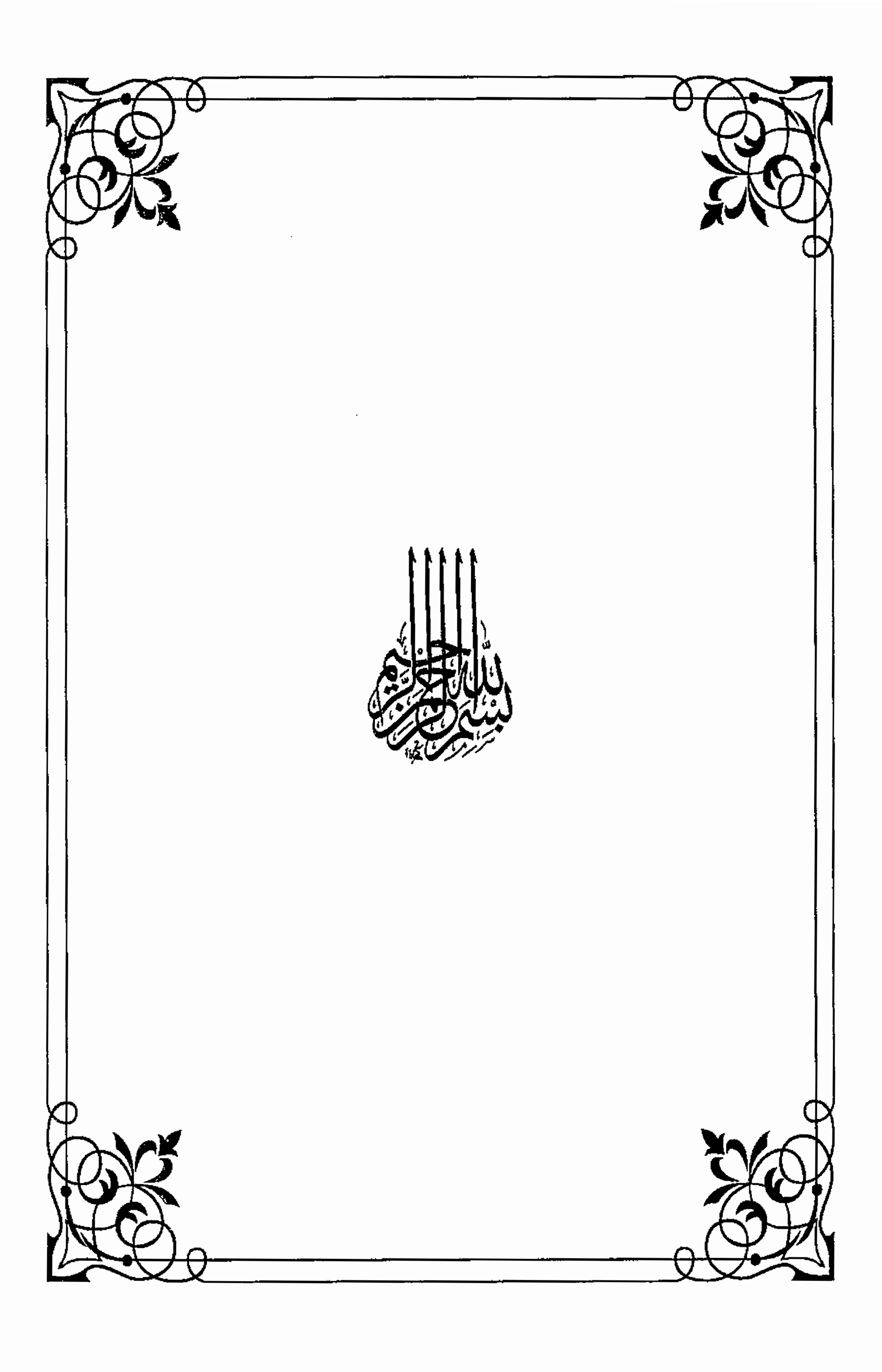
سعد بن عبد الرحمن ندا

المدرس بالجامعة الإسلامية

وعضو هيئة التوعية الإسلامية بالمدينة سابقا

دار سبيل المؤمنين

للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدِّمَة الأُسْتَاذ الدُّكْتور
سَعْد بْن عَبْدِ الرَّحمن نَدَا -حفِظَه الله تعالى.

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أمَّا بعد: فإنَّ خير الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النَّار.

وأحمد الله ربِّي الجليل تقدَّست أسماؤه، وتعالت صفاته، أن هداني وشرح صدري إلىٰ الاهتمام بقضايا العقيدة، ودراسة أصولها علىٰ منهج السَّلف الصَّالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وأُحِبُّها حبًّا جمًّا، وأُحبُّ من أَحبَّها واهتمَّ والتزم بها، ودعا المسلمين إلىٰ فهمها والالتزام بها؛ لأنَّ العقيدة السَّليمة الخالصة من كلِّ توجُّه إلىٰ غير الله عَزَّ وَجَلَّ، هي الأساس الرَّكين في صحَّة أعمال المسلم وقبولها عند الله

تعالىٰ، وخرمها وشوبها بالدَّخن سبيل إلىٰ بطلانها وعدم قبولها عند ربِّ العالمين، وإدخال صاحبها نار جهنَّم -والعياذ بالله-، والخلود فيها إذا لقي الله تعالىٰ ولم يتب من الانصراف إلىٰ سوىٰ الله خالقه وخالق كلِّ شيءٍ.

ومن ثمَّ فأنا بفضل الله تعالىٰ وَفقًا لمنهج أهل السُّنَّة والجماعة أبغض بغضًا شديدًا من توجَّه بقلبه إلىٰ سوىٰ خالقه ورازقه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ لما أرشد عنه رسولنا محمَّد ﷺ أنَّ اكتمال الإيمان يكون بحبِّ المرء أخاه في الله وبغضه أخاه في الله، وكرهه أن يعود إلىٰ الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقىٰ في النَّار..

وممَّن أحببتهم في الله حبًّا كبيرًا الأخ/ الشَّيخ عليٌّ الوصيفيُّ، المصريُّ الجنسيَّة، السَّلفيُّ العقيدة، والملتزم بها التزامًا قويًّا، وداعي المسلمين إلىٰ فهمها، وتطبيقها التزامًا وسلوكًا ودعوة، وتأليفًا، وخطابة ومحاضرة -أحسبه كذلك والله حسيبه ولا أُزكِّي علىٰ الله أحدًا-، وقد ألَّف كتبًا متعددة في العقيدة، يشرح فيها أصولها، وأهميَّة التَّمسُّك بها والدَّعوة الجازمة إليها، والتَّحذير الشَّديد من تركها والالتفات عنها، واعتناق عقيدة أخرىٰ سواها ممَّا يحبط العمل، ويقذف بصاحبه في جهنَّم -والعياذ بالله- إذا مات ولم يتب ممَّا اعتنق.

ومن ثَمَّ فإنَّني بفضل الله وتوفيقه أبغض بغضًا شديدًا كلَّ من اعتقد عقيدة أخرىٰ غير عقيدة التَّوحيد علىٰ منهج السَّلف الصَّالح -رضوان الله عليهم-، حشرنا الله تعالىٰ معهم، الَّتي هدانا إليها المبعوث رحمة للعالمين، سيِّد البشر جميعًا محمَّد بن عبد الله -وبارك عليه وعلىٰ آله وصحبه-.

وممَّا وفَّق الله تعالىٰ الأخ/ عليًّا الوصيفيَّ إليه هذا الكتاب الَّذي ألَّفه أخيرًا، ووضع له عنوان «حوار مع صوفيٍّ»، وسلك فيه مسلكًا جميلًا قلَّما يسلكه مؤلِّف، وقد صاغه علىٰ هيأة سؤال وجواب مع صوفيٍّ عريق، أذابت الصُّوفيَّة قلبه ولحمه كلَّه حتَّىٰ برزت عظام جسمه فأصبح هيكلًا عظميًّا، وصورة ممسوخة لشكل الإنسان، فينفر منه الإنسان السَّويُّ، ويفزع منه، حتَّىٰ إذا رآه ولَّىٰ منه فرارًا ومُلِئ منه رعبًا. عافانا الله جميعًا من هذا المسلك المشين الَّذي يبعد المسلم عن ربِّه، وعن الجنَّة ونعيمها ويقرِّبه من الشَّيطان ومن النَّار وعذابها.

وقد دار المؤلِّف في أسئلة الحوار في هذا الكتاب بين السُّنِّيِّ والصُّوفيِّ حول ما يأتي:

١- الأصل الَّذي يدور حوله الحوار يكون المرجع فيه إلىٰ كتاب الله الكريم وسنَّة رسوله ﷺ.

٢- اشتقاق مادَّة التَّصوُّف.

٣- إعطاء النَّبيِّ ﷺ خرقة الصُّوفيَّة لعليِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

٤- حرمة مخالفة الإجماع.

٥- في أيِّ مكان نشأ التَّصوُّف.

٦- مكاشفات وكرامات أولياء الله الصَّالحين.

٧- الهدف الَّذي يرمي إليه التَّصوُّف.

٨- المتشابهات الَّتي يتعلَّق بها الصُّوفيُّ.



٩- الذِّكر باللُّغة غير العربيَّة.

١٠- الذِّكر المفرد الَّذي يتمسَّك به الصُّوفيَّة.

١١- كيفيَّة تحقيق كلمة التَّوحيد.

١٢- الزَّعم بأنَّ دلالة المكاشفات أقوىٰ علىٰ التَّشريع من أيِّ شيء آخر.

١٣- الزَّعم بأنَّ العلم من الله ورسوله مباشرة -عند الصُّوفيَّة- أوثق من العلم عن طريق حدَّثنا أو أخبرنا عند أهل الحديث.

١٤- بناء العصمة في المكاشفات علىٰ العصمة في الولاية.

١٥- المريد بين يدي شيخه يجب أن يكون كالميِّت بين يدي المغسِّل.

١٦- عدم اعتراض المريد علىٰ شيخه حتَّىٰ لا يخسر الدُّنيا والآخرة.

١٧- معنىٰ قول عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا سارِيَةَ، الجبَلَ».

١٨- قيمة المكاشفات والإلهامات.

١٩- رأي شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ في الشَّيخ عبد القادر الجيلانيِّ.

٢٠- رأي الصُّوفيَّة في شيخ الإسلام ابن تيميَّة.

٢١- اعتقاد الصُّوفيَّة بأنَّهم لا يحتاجون إلىٰ العلم لأنَّ من طلبه دخل في نفق مظلم.

٢٢- شرط صحَّة طريق الصُّوفيَّة.

٢٣- الجوع والخلوة عند الصُّوفيَّة.

٢٤- إرشاد أبي يزيد البسطاميِّ لرجل من أعيان بسطام، يسأله عن كيفيَّة طريق الصُّوفيَّة، وتعليق الغزاليِّ عليه.

٢٥- من نذر أن يصوم قائمًا غير قاعد، متعرِّضًا للشَّمس غير مستظلٍّ صامتًا غير متكلِّم.

٢٦- احتجاج الصُّوفيَّة بأنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يتعبَّد في غار حراء اللَّيالي ذوات العدد؛ يتحنَّث فيهنَّ ويتعبَّد خاليًا، وهذا دليل صحَّة الخلوة.

٢٧- الاحتجاج بقول أبي يزيد في العلم.

٢٨- الاحتجاج بكتاب «الإحياء» للغزاليِّ علىٰ صحَّة التَّصوُّف.

٢٩- التَّحذير من كتب الغزاليِّ عند قراءتها.

٣٠- الخطأ الشَّديد في سؤال الله بحقِّ جاه نبيِّه وآل بيته الكرام وأولياء الله الصَّالحين.

٣١- شروط قبول العمل في الدِّين.

٣٢- القول الصَّحيح في حديث الأعمىٰ.

٣٣- الصَّحيح في قول آدم: «**ربِّي أسألك بحقِّ محمَّدٍ لما غفرت لي**». وقول الله تعالىٰ لآدم: «**ادعني بحقِّه فقد غفرت لك، لولا محمَّد ما خلقتك**».

٣٤- الصَّحيح في أنَّ محمَّدًا أوَّل خلق الله.

٣٥- خطأ قول العبد: مدد يا بدوي، مدد يا أهل البيت، مدد يا أولياء الله الصَّالحين، الفاتحة للنَّبيِّ والمسلكين.

٣٦- خطأ وضلال من قال: هناك سبعة أقطاب، وكَّلهم الله تعالىٰ بإدارة شئون الممالك.

٣٧- ضلال من قال إنَّ الشَّيخ أحمد الرِّفاعيَّ يمحو اسم مريده من ديوان الأشقياء.

٣٨- ضعف حديث: «**اللَّهمَّ إنِّي أسألك بحقِّ السَّائلين، وبحقِّ ممشاي هذا**».

٣٩- ضلال من قال: إنَّ الاستغاثة بالأولياء من باب الأخذ بالأسباب أو من باب الوسائل.

٤٠- المريد لا يستطيع تكذيب شيخه، لكن يمكنه تكذيب الرَّسول ﷺ والقرآن الكريم.

٤١- ليس لأحد من الأقطاب المزعومين شيء في المشيئة والتَّدبير.

٤٢- التَّصوُّف لم يترك موضعًا للشُّبهات إلَّا ولج فيه.

٤٣- أوَّل شرك وقع في العالم.

٤٤- كثرة الأتباع لا يدلُّ علىٰ رسوخ الحقِّ.

٤٥- طريق الحقِّ واحد وطرق الضَّلال متعدِّدة.

٤٦- المسلمون نهاهم الله تعالىٰ ورسوله ﷺ عن اقتفاء آثار الشَّياطين.

٤٧- حديث: «**لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك**». لا أصل له.

٤٨- حديث: «**إنَّ الله قبض قبضة من نوره، وقال لها كوني محمَّدًا**». حديث مكذوب.

٤٩- ليس محمَّد «**من نور الله، ولا من نور عرش الله**».

٥٠- تعالىٰ الله أن يحلَّ في أحد من مخلوقاته.

٥١- القول بأنَّ محمَّدًا ﷺ أحد الأنبياء من نوره وفيوضاته.

٥٢- النَّبيُّ ﷺ أمر ألَّا يُدخل المسجد علىٰ القبر، ولا القبر علىٰ المسجد.

٥٣- إذا أُدخل المسجد علىٰ القبر يبقىٰ القبر ويُهدم المسجد، وذا أُدخل القبر علىٰ المسجد نُبش القبر وأُزيل، وبقي المسجد منزَّهًا عن الشِّرك.

٥٤- المسجد الَّذي علىٰ القبر لا يُصلَّىٰ فيه فرض ولا نفل.

٥٥- تزوير قصَّة علىٰ الحسين بن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بأنَّه أخرج يده من القبر ليُسلِّم علىٰ أحد الصُّوفيَّة.

٥٦- قصة مفتراة علىٰ عبد العال.

٥٧- تلفيق قصَّة ذكرها شخص زعم أنَّه يعرف آخر في البرامج الإذاعيَّة، مع أنَّه لا يعرفه زاعمًا أنَّه عرفه من لقائهما في عالم الذَّرِّ.

٥٨- القول بأنَّ الحسين أو رأسه بالقاهرة كلام باطل.

٥٩- القول بأنَّ النَّبيَّ ﷺ مدَّ يده من القبر ليُسلِّم علىٰ أحمد الرِّفاعيِّ كذب وافتراء.

٦٠- قصَّة الأعرابيِّ الَّذي ذهب إلىٰ قبر الرَّسول ﷺ، وطلب منه الاستغفار له، فنودي من داخل القبر قد غفر له؛ كذب.

٦١- لا تُشدُّ الرِّحال إلَّا إلىٰ ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصىٰ.

٦٢- كيف يقول الغزاليُّ في «الإحياء»: إنَّ القلوب وإن كانت محترقة في حبِّ الله تعالىٰ، فإنَّ البيت الغريب عنها يُهيِّج منها ما لا تُهيِّج تلاوة القرآن؟

٦٣- ابن الفارض (سلطان العاشقين) لمَّا وصل لمقام الفناء قال بمعتقد وحدة الوجود؛ فكيف يستسيغ ذلك؟

٦٤- وصف الله تعالىٰ بأنَّه يَعشق ويُعشق إلحاد في صفات الله تعالىٰ.

٦٥- ليفعل المريد ما يشاء إذا كان بينه وبين شيخه عهد بالحفظ في الدُّنيا والآخرة، لأنَّ الشَّيخ يتولَّاه بأخطائه وفواحشه- هذا من فحش القول ومنكره.

٦٦- ابن عربيٍّ يزعم أنَّ مقام الولاية فوق مقام النُّبوَّة.

٦٧- ابن عربيٍّ والحلَّاج ما ذكروه في أوراقهم هو دين الزَّنادقة.

٦٨- من زعم أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يُردِّد القرآن قبل جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كذَّاب ومفترٍ.

٦٩- الموالد بدعة في الدِّين.

٧٠- تخصيص يوم للصِّيام لم يرد فيه نصٌّ، استدراك علىٰ الله تعالىٰ ورسوله ﷺ.

٧١- الحشيشة اكتشاف أحد الصُّوفيَّة، انتشرت بعدها المخدرات بينهم.

٧٢- القول الحقُّ في الخضر وموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

٧٣- حديث: «**إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور**». من أعظم الكذب والافتراء.

٧٤- من قال: «**يا عباد الله احبسوا**». إذا فقد متاعه أو راحلته فقد ارتكب شركًا.

٧٥- قول: إنَّ إبراهيم لَمَّا عرض عليه جبريل عَلَيۡهِ‌ٱلسَّلَامُ أن ينقذه من النَّار قال: «**حسبي من سؤالي علمه بحالي**». لا أصل له.

٧٦- دعاء الأموات والغائبين شرك في العبادة والطَّاعة منهيٌّ عنه.

٧٧- الصُّوفيَّة والشِّيعة علىٰ طريق واحد.

٧٨- قول التِّيجانيِّ: صلاة الفاتح لما أغلق تعدل القرآن ستَّ مرَّات، إلىٰ أن قال: ستَّة آلاف مرَّة. هذا خلاف ما شرع الله تعالىٰ.

٧٩- عظة الرَّسول ﷺ صحابته موعظة وجلت منها القلوب.

٨٠- أقسام التَّوحيد: توحيد الرُّبوبيَّة وتوحيد العبادة وتوحيد الأسماء والصِّفات...

هذا الحوار قد غطَّىٰ بفضل الله كلَّ ما يعتمد في صدر كلِّ صوفيٍّ من الاستفسارات، وكلَّ ما يتشكَّك فيه قلبه من مسائل الدِّين، ويعتريه الحرج أن يسأل فيه شيخ طريقته، لأنَّه يؤمن بالقول الباطل الَّذي لقَّنه له شيوخه منذ نعومة أظفاره (من اعترض انطرد)، ويدخل بالطَّبع في الاعتراض الأسئلة الحرجة الَّتي تكون إجابتها قلقة غير مستقرَّة في قلب المريد السَّائل، وأحسب لو أنَّ صوفيًّا جاء بالفعل وأراد أن يُفرِّغ ما في جعبته من أسئلة غير مطمئنٍّ إلىٰ إجاباتها، أو استفسارات لم تشبع رغبته ما دُسَّ له من إجابات واهية مضلِّلة، لما زاد عمَّا أتىٰ به المؤلِّف في مؤلَّفه هذا بحول الله وقوَّته.

نفع الله الجميع بهذا المؤلَّف القيِّم، وثبَّتنا وإيَّاه علىٰ صراطه المستقيم؛ صراط الَّذين أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضَّالين -آمين- والحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، ونضرع إلىٰ الله جَلَّوَعَلَا أن يجزي مؤلِّف هذا الكتاب الممتع خير ما يجزي به المخلصين الصَّادقين، ونسأله سبحانه أن يجعله إثقالًا لميزان حسناته يوم القيامة، كما نسأله أن يختم لنا وله ولكلٍّ من قرأه فاستوعبه، والتزم بما جاء به من الحقِّ بعقيدة التَّوحيد الخالص ختام الإيمان.

وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ عبده الكريم ورسوله الأمين محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

د/ سعد عبد الرَّحمن ندا
أستاذ العقيدة بكلِّيَّات الجامعة الإسلاميَّة
بالمدينة النَّبويَّة سابقًا

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدِّمة المؤلِّف -حَفِظَه الله تعالى.

الحمد لله الَّذي بفضله تتمُّ الصَّالحات، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه.

وبعد:

فهذا حوار بين سنِّيٍّ وصوفيٍّ قد بذلت فيه الجهد؛ إحقاقًا للحقِّ وإبطالًا للباطل، فاستسلفت في المقدِّمات، وألزمت الخصم بما ينبغي من لوازم الحقِّ، الَّذي اتَّفقنا نحن وهو عليه، وبيَّنت له ضعف القواعد الَّتي بنىٰ عليها مذهبه، وفساد مفهومها، وأثرها السَّيِّئ علىٰ الأُمَّة، وبيَّنت له الحقَّ بدليله من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأُمَّة.

وأنت أيُّها القارئ الكريم أمام ثلاثة نفر: قسم لا يستغني عن السُّباب فاصرف نظرك عنه، وقسم لن يخضع للحقِّ، وسيسعىٰ إلىٰ تزييف التَّاريخ، وسيقول لك: التَّصوُّف هو الإسلام، والمتصوِّفة هم الَّذين نشروا الدِّين وأقاموا الملَّة، فلا ترع لهم أُذنًا، وقسم ثالث إمَّا أنَّه في أوَّل الطَّريق يريد أن تثبت قدمه علىٰ الحقِّ، وإمَّا أنَّه ذاق مرارة البدعة واكتوىٰ بنارها، فهو يريد أن يخرج منها ليُخْتَم له بختام الإيمان، فإلىٰ هذين الصِّنفين مع صنف أهل السُّنَّة والجماعة أُهْدي هذا الكتابَ، عسىٰ الله تعالىٰ أن ينفعهم به، وأن يبارك لهم فيه.

وأخيرًا أسأل الله تعالىٰ أن يغفر لي ولوالديَّ وللمؤمنين، وأن يهديني وأهلي وأولادي وسائر المؤمنين إلىٰ حسن عبادته وذكره وشكره، -اللَّهمَّ آمين-. كما أسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجزي شيخنا العلَّامة الدُّكتور سعد عبد الرَّحمن ندا خير الجزاء علىٰ جهده الطَّيِّب وعنايته الفائقة بي وحبِّه الشَّديد لي، وأمَّا أنا فأقول له: أحبَّك الله الَّذي أحببتني فيه، وأسأل الله أن يجمعني وإيَّاك في صحبة النَّبيِّ محمَّدٍ وآله وصحبه يوم القيامة.

وصلَّىٰ الله علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

كتبه/ أبو عبد الرَّحمن عليُّ بن السَّيِّد الوصيفيُّ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحوار

قال الصُّوفيُّ: علام تنقمون أيُّها السُّنِّية علىٰ التَّصوُّف والصُّوفيَّة؟ أليس التَّصوُّف هو جوهر الإسلام وهو حقيقة الإحسان؟

قال السُّنِّيُّ: **أوَّلًا:** القضيَّة ليست قضيَّة هوًىٰ، والخصومة ليست في عَرَض ولا متاع، فنحن لم نصاحب ابن عربيٍّ ولا أبا يزيد البسطاميَّ حتَّىٰ تنظر بهذا المنظور، القضيَّة قضيَّة دينٍ؟

قال الصُّوفيُّ: أنا أُقدِّر أنَّ القضيَّة قضيَّة دينٍ؟ ولكن ما وجه مخالفة التَّصوُّف للدِّين؟ فأنتم تعترضون علىٰ لفظ التَّصوُّف لا مضمونه فقط!

قال السُّنِّيُّ: أيُّها الصُّوفيُّ لا بدَّ لكلِّ متحاورين أن يؤصِّلا أصلًا يرجعان إليه عند الاختلاف.

قال الصُّوفيُّ: ما هذا الأصل الَّذي تريد أن نرجع إليه؟

قال السُّنِّيُّ: هو كتاب الله تعالىٰ وسنَّة رسوله ﷺ، فهما الأصل الثَّابت الَّذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

قال الصُّوفيُّ: وأنا أتَّفق معك علىٰ ذلك.

قال السُّنِّيُّ: ولكن لا بدَّ لك من الصَّبر، وإلَّا فلن نقدر علىٰ إتمام الطَّريق، فنحن في البداية، فإن كنت ستصبر فهذا خيرٌ لي ولك، وإلَّا قطعنا الحوار.

قال الصُّوفيُّ: سأصبر معك، وإن كان هذا يخالف قول مشايخي، فإنَّهم يأمرونني ألَّا أُجادل سُنِّيًا ولا أجلس معه، لأنَّه لا يفقه لغة الأذواق؛ ولذا فهم يأمرونني أن أفرَّ منه فرار الحُمُر من الأسود، وإلَّا أستخدم معه التَّقيَّة، وأنا أعلم أنَّ أكثر مشايخي لا تظهر عليهم مكاشفات ولا علوم لدُنِّيَّة في وجود سُنِّيٍّ علىٰ الإطلاق.

قال السُّنِّيُّ: إذن اتَّفقنا.

قال الصُّوفيُّ: قل لي: هل أنتم حقًّا تعترضون علىٰ لفظ التَّصوُّف؟

قال السُّنِّيُّ: نعم، نحن نعترض علىٰ لفظ التَّصوُّف وأصل اشتقاقه في المقام الأوَّل.

قال الصُّوفيُّ: فما وجه اعتراضكم علىٰ هذا اللَّفظ؟

قال السُّنِّيُّ: ماذا تظن أنت في هذا اللَّفظ؟

قال الصُّوفيُّ: التَّصوُّف عندنا من الصَّفاء؟

قال السُّنِّيُّ: وهذا لا يُقبل في اللُّغة ولا في الشَّرع ولا في الدِّين؟

قال الصُّوفيُّ: لماذا؟

قال السُّنِّيُّ: الحقيقة الَّتي تغيب عنك أنَّ اشتقاق مادَّة التَّصوُّف قد حيَّرت علماء اللُّغة، واختلفوا فيها كثيرًا، والصَّحيح: أنَّها في الغالب ترجع إلىٰ لبس الصُّوف، وهي لا تصلح أن تكون من الصَّفاء؛ لأنَّ الاشتقاق من الصَّفاء: صفويٌّ، وهي لا تصلح أن تكون من أهل الصُّفَّة؛ لأنَّ الاشتقاق

من أهل الصُّفَّة: صُفِّيٌّ، ولا تصلح أن تكون من الصَّفِّ الأوَّل؛ لأنَّ الاشتقاق من الصَّفِّ الأوَّل: صَفِّيٌّ، إذًا لا يبقىٰ صحيحًا سوىٰ الاشتقاق من الصُّوف، فيكون صُوفيٌّ...

قال الصُّوفيُّ: نعم، ولكن أليس في لبس الصُّوف مزيَّة؟

قال السُّنِّيُّ: وما تلك المزيَّة؟

قال الصُّوفيُّ: قال النَّبيُّ ﷺ: «**عليكم بلباس الصُّوف تجدوا حلاوة الإيمان**».

قال السُّنِّيُّ: هذا حديثٌ موضوعٌ. انظر: «السِّلسلة الضَّعيفة والموضوعة» للعلَّامة الألبانيِّ، رقم (٩٠). هذا من جهة السَّند، أمَّا من جهة المتن؛ فالنَّبيُّ ﷺ كان يلبس الصُّوف وغيره، وأكثر ما كان يلبس القطن. فإذا اتُّخذ لبس الصُّوف عبادةً يتقرَّب بها إلىٰ الله تعالىٰ فهو بدعة، وعلىٰ كلٍّ فليس في الصُّوف زهد. وصدق الشَّاعر إذ يقول:

لَيْسَ بِالزَّاهِدِ فِي الدُّنْيَا امْرُؤٌ ... يَلْبَسُ الصُّوفَ وَيَهْوَىٰ القَعَا

ظَنَّ دِينَ اللهِ فِي تَرْكِ الدُّنَا ... وَرَأَىٰ الإِعْرَاضَ عَنْهَا أَنْفَعَا

قال الصُّوفيُّ: أظنُّ أنَّ كلامك هذا لا اعتراض عليه، ولكن دعنا من الشَّكليَّات، أليس التَّصوُّف كان في الصَّدر الأوَّل من الإسلام؟

قال السُّنِّيُّ: هذا الكلام يحتاج إلىٰ دليل، ولا بدَّ أن يُسند الدَّليل إلىٰ من يُقبل منه العلم، فلا تكن كحاطبِ ليلٍ، لا يتَّقي ما يضرُّه، ولا يجمع ما ينفعه.

قال الصُّوفيُّ: النَّبيُّ ﷺ أعطىٰ خرقة الصُّوفيَّة لعليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعليٌّ بدوره أعطاها للحسن البصريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال السُّنِّيُّ: والله أمركم محيِّرٌ.

قال الصُّوفيُّ: ولماذا؟

قال السُّنِّيُّ: ولماذا يعطي النَّبيُّ ﷺ الخرقة لعليٍّ فقط؟ ألم يوجد في الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ غير عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ بل ومَنْ هو أفضل من عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ بل ولماذا يعطي عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخرقة للحسن البصريِّ ولا يعطيها لولديه الحسن والحسين؟ أليس هذا من الأولىٰ والمناسب؟ حتَّىٰ تكون السِّلسلة أدقَّ وأضبط علىٰ طريقتكم، أو علىٰ طريقة الشِّيعة في القول بانتقال الأنوار في صُلب عليٍّ وأولاده من بعده.

قال الصُّوفيُّ: هذا هو الَّذي أعلمه، وهذا هو الَّذي سمعته من مشايخي.

قال السُّنِّيُّ: بل هذا نوع من التَّشيُّع لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ حساب بقيَّة الصَّحابة فاحفظ هذا.

قال الصُّوفيُّ: وما وجه اعتراضك علىٰ الحسن البصريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

قال السُّنِّيُّ: أنا لا أعترض علىٰ الحسن البصريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبدًا، ومَنْ أنا حتَّىٰ أعترض عليه، فالحسن البصريُّ وُلد في المدينة سنة (٣١هـ)، وكانت أُمُّه مولاةً لأمِّ سلمة زوج النَّبيِّ ﷺ، وتُوفِّي سنة (١١٠هـ)، وقد كان -رحمه الله تعالىٰ- فقيهًا زاهدًا عالمًا ورعًا خائفًا ذاكرًا، وكان من أقواله: إنَّما الفقيه

الزَّاهد في الدُّنيا البصير بذنبه المداوم علىٰ عبادة ربِّه عَزَّوَجَلَّ. وقد وصفه خالد بن صفوان في «وفيات الأعيان» لابن خلِّكان (١/ ١٦٠، ١٦١) بما يناسب حقيقته. فيقول:

كان أشبه النَّاس علانية بسريرة، وسريرة بعلانية، وأخذًا لناس لنفسه بما يأمر به غيره، يا له من رجل استغنىٰ عمَّا في أيدي النَّاس من دنياهم، واحتاجوا إلىٰ ما في يديه من دينهم! انتهىٰ.

قال الصُّوفيُّ: إذا كان الحسن كما تقول فلماذا تعترض علىٰ خرقة الصُّوفيَّة؟

قال السُّنِّيُّ: لقد أجمع علماء الحديث أنَّ الحسن البصريَّ لم يسمع من عليِّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ شيئًا، وهذا يكفيك في بيان انقطاع الصِّلة بين عليٍّ والحسن، ويكفيك في بطلان أمر الخرقة.

قال الصُّوفيُّ: ما الدَّليل علىٰ صحَّة ذلك؟ فأنا أعلم أنَّ الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان يصلِّي مع عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو طفل صغير، وأنَّه أعطاه الخرقة وهو غلام صغير لم يجاوز الحلم، وقال بذلك مشايخنا.

قال السُّنِّيُّ: كلامك هذا لا دليل عليه؟

قال الصُّوفيُّ: ولماذا؟

قال السُّنِّيُّ: لأنَّ علماء الحديث أجمعوا علىٰ أنَّ الحسن لم يسمع من عليٍّ شيئًا، وعلىٰ ذلك لم يأخذ منه خرقة الصُّوفيَّة ولا غيرها.

قال الصُّوفيُّ: وأين هذا الإجماع؟

قال السُّنِّيُّ: أنت تعلم إذن أنَّ الإجماع ينقض ما يخالفه.

قال الصُّوفيُّ: نعم، وأنا مُصرٌّ علىٰ معرفة الإجماع.

قال السُّنِّيُّ: ذكر العجلونيُّ في «كشف الخفاء» برقم (٢٠٣٥): (لبس خرقة الصُّوفيَّة وكون الحسن البصريِّ لبسها من عليٍّ) قال في «المقاصد»: قال ابن دحية وابن الصُّلاح: باطل، ولم يسمع الحسن من عليٍّ حرفًا بالإجماع، فكيف يلبسها منه؟

وقال الحافظ ابن حجر: ليس في شيء من طرقها ما يثبت، ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أنَّ النَّبيَّ ﷺ ألبس الخرقة علىٰ الصُّورة المتعارفة بين الصُّوفيَّة لبعض أصحابه، ولا أمر أحدًا من الصَّحابة بفعل ذلك، وكلُّ ما رُوي في ذلك صريحًا فباطلٌ. ثمَّ قال: إنَّ من الكذب المفترىٰ قول من قال: إنَّ عليًّا ألبس الخرقة الحسن البصريَّ. فإنَّ أئمَّة الحديث لم يُثبتوا للحسن سماعًا فضلًا عن أن يلبسه الخرقة. (٢/ ١٣٧، ١٣٨).

قال الصُّوفيُّ: لقد قال لي مشايخي غير ذلك، وأنا متحيِّر في الأمر.

قال السُّنِّيُّ: لقد ذكرت لك الإجماع، والإجماع تحرم مخالفته، حتَّىٰ لو من أهل الفنِّ. فاحفظ ذلك.

قال الصُّوفيُّ: إذا كنت تشكِّك في أمر الخرقة فأنت إذن تشكِّك في موطن التَّصوُّف؟

قال السُّنِّيُّ: نعم أُشكِّك فيه.

قال الصُّوفيُّ: ولماذا؟

قال السُّنِّيُّ: لأنَّ التَّصوُّف: لم ينشأ في مدينة رسول الله ﷺ، وكلُّ ما وصف به التَّصوُّف من لوامع، وطوالع، وأذواق، ومواجد، وكشف، وحال، وجمع، وفرق، وصحو، وسكر، وغيبة، وحضور، وبسط، وقبض لم يعرفه أهل المدينة النَّبويَّة علىٰ الإطلاق، والمدينة كما تعلم في ذلك الزَّمان الَّذي نشأ فيه التَّصوُّف كانت أقرب البلاد إلىٰ سُنَّة الحبيب المصطفىٰ محمَّد، والعلم يأرز إليها في آخر الزَّمان.

قال الصُّوفيُّ: نعم هي أقرب البلاد إلىٰ السُّنَّة، ولكن هل ترىٰ أنَّ التَّصوُّف نشأ في البلاد الَّتي استوطنتها البدع؟

قال السُّنِّيُّ: نعم فلقد نشأ التَّصوُّف في بلاد فارس أوَّلًا وبالتَّحديد في بلخ، ثمَّ ترعرع في البصرة والكوفة من بلاد العراق. فقد كان فيهما المبالغة في الزُّهد والتَّكلُّف في الذِّكر والعبادة، وقد بُنِي فيها زوايا خاصَّة بالذِّكر الصُّوفيِّ، وكان يطلق علىٰ مبنىٰ العبادة المعدِّ للصُّوفيَّة الخانقاه.

قال الصُّوفيُّ: أنا أعلم أنَّ الكوفة كان فيها العباد والزُّهَّاد، فإنَّ التَّصوُّف أوَّل ما نشأ كان في صورة الزُّهد.

قال السُّنِّيُّ: ليس التَّصوُّف هو الزُّهد، بل ولا هو مجرَّد الخلق. هذا نوع من التَّدليس.

قال الصُّوفيُّ: ولماذا؟

قال السُّنِّيُّ: أنا لن أردَّ عليك بكلامي، فهذا كلام الشَّيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السَّابق في حقِّ الحسن البصريِّ، يوضِّح فيه حقيقة التَّصوُّف.

قال الصُّوفيُّ: وماذا قال الشَّيخ عبد الحليم محمود فهو من أئمَّة التَّصوُّف؟

قال السُّنِّيُّ: قال الشَّيخ عبد الحليم محمود في كتاب: «المرسي» (ص١٧، ١٨):

وإذا انتقلنا إلىٰ البيئة الإسلاميَّة فإنَّنا نجد الحسن البصريَّ من أروع الشَّخصيَّات الأخلاقيَّة العالية، لقد كان مثلًا صادقًا للشُّعور الأخلاقيِّ في طهره وصفائه، وكان ينشر الفضيلة بوعظه المؤثِّر، ومنطقه القويِّ، وسلوكه المثاليِّ، ومع ذلك لم يكن الحسن البصريُّ صوفيًّا بالمعنىٰ الدَّقيق لكلمة صوفيٍّ. انتهىٰ.

قال الصُّوفيُّ: وماذا يقصد الشَّيخ بالمعنىٰ الدَّقيق لكلمة صوفيٍّ؟

قال السُّنِّيُّ: يقصد أنَّ التَّصوُّف ليس هو الزُّهد ولا هو مجرَّد خُلُق، وإنَّما هو صفاء ومشاهدة، وتلك المشاهدة لا يُعتدُّ بها إذا جاءت بالعلم أو بالدِّراسة، إنَّما طريقها المجاهدات والرِّياضات.

قال الصُّوفيُّ: يقصد الشَّيخ بالمشاهدات والمقامات والأحوال، الَّتي هي الطَّوالع واللَّوامع والسُّكر والقبض.. إلخ.

قال السُّنِّيُّ: نعم. فهذا لم يكن في زمن الحسن البصريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولذلك قال لم يكن الحسن صوفيًّا بالمعنىٰ الدَّقيق لكلمة صوفيٍّ. ولكنَّكم تُصرُّون أنَّه أخذ الخرقة من عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الصُّوفيُّ: وأنت توافق الشَّيخ عبد الحليم محمود في قوله بعدم نسبة الحسن للتَّصوُّف.

قال السُّنِّيُّ: نعم أوافقه في تلك المسألة.

قال الصُّوفيُّ: يعني أنت لا اعتراض عندك على الصَّفاء ولا المشاهدات ولا الكرامات؟

قال السُّنِّيُّ: القضيَّة ليست في الصَّفاء ولا في المكاشفات ولا في الكرامات، ولكن أمر المشاهدات فيه كلام كثير.

قال الصُّوفيُّ: يعني أنت مؤمن أنَّ فيه كرامات ومكاشفات لأولياء الله الصَّالحين؟

قال السُّنِّيُّ: نعم، أنا أومن بذلك، الكرامة أمر خارق للعادة، قد يتحدَّى به، تظهر على يد رجل صالح؛ تأييدًا له ونصرة لدينه، وقد تكون في التَّأثير، وقد تكون في الأمور المعنويَّة، ولا تنحصر خوارق العادات على الصَّالحين، فقد تظهر خوارق العادات على الفسقة والمجرمين. فهذا الدَّجَّال يقول للأرض: «**أخرجي كنوزك فتخرج كنوزها، ويقول للسَّماء أمطري فتمطر، ويشقُّ الرَّجل نصفين ثمَّ يشير إليه أن قم فيقوم**». كما في الصَّحيح عنه ﷺ. رواه مسلم وغيره.

وخوارق العادات على كلِّ حال لا تُحقُّ لأصحابها نوعًا من العبادة، سواء كان صاحبها مؤمنًا تقيًّا أو فاجرًا عصيًّا، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

فالعبادة لله تعالىٰ وحده لا شريك له، وهذا هو مقتضىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]. وعلىٰ ذلك فالكرامة الحقَّة هي الَّتي تنفع صاحبها في الدِّين، أمَّا إذا كانت مجرَّد نفع دنيويٍّ فهي عطاء لا خصوصيَّة فيه ولا ولاية.

قال الصُّوفيُّ: يعني القضيَّة ليست قضيَّة كرامة ولا صفاء. فما القضيَّة إذن؟

قال السُّنِّيُّ: القضيَّة في أمر جلل ألا وهو تلك الانحرافات والخرافات الَّتي تضمَّنتها دعوة التَّصوُّف حين ركبت موجة الكرامات.

فالتَّصوُّف إذا كان أوَّله رغبة في الوصول إلىٰ الله تعالىٰ بالذِّكر فهذا شيء طيِّب، ولكنَّه بالكرامات أصبح غلوًّا في الصَّالحين، وانتهىٰ إلىٰ الفناء المهلك، إمَّا فناء الشُّهود كفناء أبي يزيد، وإمَّا فناء الوجود كفناء ابن عربيٍّ، وهو نهاية طريق العارفين، وهو أمر يفضي إلىٰ القول بالحلول والاتِّحاد. فأوَّل التَّصوُّف طلب الله تعالىٰ، وآخره طلب الأنا، فلا أنا إلَّا أنا، ولا أنت إلَّا أنت، ولا هو إلَّا هو.

قال الصُّوفيُّ: هذا الَّذي ذكرته ذكر راقٍ تعلمته من مشايخي؛ وعليه أخذت الإذن، فهل أنت تعترض علىٰ الذِّكر أيضًا، أنتم أيُّها السُّنِّية لا يعجبكم شيء علىٰ الإطلاق؟

قال السُّنِّيُّ: أنت لم تفقه إلىٰ الآن أنَّ الخصومة بيننا وبينكم تنبع في المقام الأوَّل من مخالفة النُّصوص وتحميلها ما لا تطيق من التَّأويلات المنحرفة، الَّتي لم يسبقكم إليها الأوَّلون من السَّلف الصَّالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ ولذا فأنت تقول: أنتم أيَّها السُّنِّية لا يعجبكم شيء.

قال الصُّوفيُّ: وهل من الضَّرورة أن ألتزم بمفاهيم السَّلف الصَّالح، لماذا تهملون الأذواق والإلهامات والمكاشفات، أيُّها أقوىٰ في الدَّلالة أن يكلِّمك الله تعالىٰ والرَّسول ﷺ مباشرة، أم هؤلاء الأموات الَّذين تنقلون عنهم؟

قال السُّنِّيُّ: اصبر أيُّها الصُّوفيُّ أتريد أن تغلق الطَّريق وتُضيِّع علىٰ نفسك الفرصة، أنصحك ألَّا تسدُّ أذنك للنَّصيحة إذا جاءتك من غير شيخك، فأنت أحقُّ بالخير من شيخك، فاحرص علىٰ نجاة نفسك أوَّلًا.

قال الصُّوفيُّ: هذا جيِّد، وما تعلَّقت بالشَّيخ إلَّا لنجاة نفسي.

قال السُّنِّيُّ: لقد تراكمت عليك المصائب أيُّها الصُّوفيُّ بأجمعها، ولم تنل نصيبًا من التَّحقيق فيها والضَّبط.

قال الصُّوفيُّ: وما تلك المصائب؟

قال السُّنِّيُّ: أيُّها الصُّوفيُّ لقد عرضت قضيَّة الذِّكر، ولم تسمع أوجه اعتراض أهل السُّنَّة عليها، وظننت أنَّ طريق السَّلف أصحاب الحديث عليك بالخيار، فظننت نفسك وهم رجلًا لرجل، وحسبت الأذواق والإلهامات أعظم منهاجًا وسبيلًا منهم، وكذلك ظننت أنَّك تتلقَّىٰ من الله تعالىٰ ومن رسوله ﷺ مباشرة وهذا وَهْم، وظننت أنَّ الله والرَّسول يلقي علىٰ أوليائه ما يخالف الشَّرع والدِّين، وظننت أن تعلُّقك بالشَّيخ ينجيك في الدُّنيا والآخرة، فبماذا تريد أن أبدأ معك أيُّها الصُّوفيُّ؟

قال الصُّوفيُّ: يعني أنت تريد أن تقول: إنَّني علىٰ باطل، وإنَّ التَّصوُّف

باطل، وإنَّ شيخي الرَّجل الوليَّ الصَّالح الَّذي تجري علىٰ يديه الكرامات، والَّتي رأيتها بعيني علىٰ باطل، هذا تجنٍّ واضح وظلم فادح.

قال السُّنِّيُّ: أنت تريد بهذه الطَّريقة أن تسدَّ الطَّريق، ولكن سأُذكِّرك بما تعاهدنا بالرُّجوع إليه عند الاختلاف: الكتاب والسُّنَّة والصَّبر علىٰ الحقِّ. فالحقُّ مرٌّ خاصَّة إذا كنت تجهله، ولن أقول لك إلَّا كما قال الخضر لموسىٰ ﷺ: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧، ٦٨].

قال السُّنِّيُّ: سأوفي لك العهد، ولنبدأ بقضيَّة الذِّكر، فما وجه اعتراضكم علىٰ الذِّكر السَّابق؟

قال السُّنِّيُّ: سأختصر لك الطَّريق تمامًا، ولن أُعقِّد لك المسائل، فالقضيَّة باختصار كالآتي: **أوَّلًا:** ذِكْر الله تعالىٰ نور القلوب وجنَّة العيون ومُهجة النُّفوس، فهو الطَّريق المقرِّب إلىٰ الله تعالىٰ، والسَّبيل الَّذي يحبُّه ويحبُّ من أحبَّه، فلا يضاهيه في الإسلام شيء، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ألا أُنبِّئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذَّهب والوَرِق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ ذكر الله**». «صحيح الجامع» رقم (٢٦٢٩).

هذا باختصار الذِّكر عند أهل السُّنَّة: «كلام مفيد مُفسَّر، لا تعنُّت فيه ولا تكلُّف، ولا غموض ولا تطرُّف». أمَّا الذِّكر عندكم فهو: كرده ده ده أحما حميثا أطها طميثا... إلخ.

هذا قد بلغ من الغموض مداه، وقد يكون سبًّا لله أو استهزاء بدينه، ولكنَّكم لا تعلمون، فقلتم نذكر بالسُّريانيَّة!

انظر إلىٰ هذا الذِّكر: «أه أه أه». ماذا يريد أن يقول هذا الذَّاكر؟ هل يقبل حاكم بلد أن يقف أمامه مجموعة من هؤلاء يقولون: «أه أه أه». لا أظنُّ ذلك، فكيف بالله تعالىٰ؟ انظر إلىٰ قولهم في الذِّكر المفرد: «حي حي حي قيوم قيوم قيوم». ماذا يريد الذَّاكر بهذا الذِّكر؟ هل أفاد معنًىٰ مفيدًا؟ هل نزَّه الله تعالىٰ تنزيهًا كاملًا؟ هل سأل الله تعالىٰ سؤالًا واضحًا بيِّنًا؟ انظر إلىٰ قولهم: «هو هو هو» ماذا يريدون؟ هل «هو» اسم من أسماء الله تعالىٰ؟ هل في «هو» معنًىٰ حسنٌ؟ كلَّا، إنَّما كما تدلُّ علىٰ الله تعالىٰ تدلُّ علىٰ غيره، إثباتًا للشَّيء ونفيًا للعدم، ليس فيها أكثر من ذلك، فقائل: هو حسب ما يفكِّر، فقد يفكِّر في نفسه، أو في غيره، أو في الله تعالىٰ.

والصُّوفيُّ مع ذلك لا يذكر إلَّا إذا أذن له شيخه إذنًا خاصًّا، وإلَّا فلو بقي علىٰ الإذن العامِّ فلن يصل إلىٰ شيء، حتَّىٰ يلج الجمل في سمِّ الخياط، أليس هذا قولكم؟ فالذِّكر عند أهل السُّنَّة تسبيح وثناء وتمجيد وتأليه، وعند الصُّوفيَّة للوصول، فإذا وصل الصُّوفي أصبح الذِّكر عليه حرامًا.

قال الصُّوفيُّ: أعرف ذلك، ولكن شيوخنا الأجلَّاء قالوا لنا: نحن نذكر الله تعالىٰ بالاسم المفرد؛ لأنَّ الإثبات بعد النفي وحشة وجفاء، ومنهم من قال: أخاف أن أموت بين النَّفي والإثبات.

قال السُّنِّيُّ: ماذا تقصد بهذا؟

قال الصُّوفيُّ: أقول لك: إن شيوخنا مالوا إلىٰ الذِّكر المفرد «هو هو»، و«حي حي» ليس حبًّا فيه، ولكن خشية أن يقول أحدهم عند الموت كلمة النَّفي ولا يدرك كلمة الإثبات، فلا تظنَّ بشيوخنا ظنًّا سيِّئًا أيُّها السُّنِّيُّ.

قال السُّنِّيُّ: أيُّها الصُّوفيُّ أنا أواجهك بحقائق شرعيَّة، وما ذكرته عن مشايخك مخالف للشَّريعة الغرَّاء.

قال الصُّوفيُّ: وما تلك المخالفة؟

قال السُّنِّيُّ: **أوَّلًا**: المرء إنَّما يموت علىٰ ما نواه لا ما تلفَّظ به، هذه واحدة، الثَّانية: لو كان في كلمة التَّوحيد «لا إله إلَّا الله» محذور لما أمر النَّبيُّ ﷺ أن يُلقَّن بها الميِّت، بل يلقِّنه الذِّكر المفرد، وهذا الذِّكر المفرد والمبهم والمضمر وغيره لم يوصِ به النَّبيُّ ﷺ، ولا أحد من أصحابه -رضوان الله تعالىٰ عليهم.

قال الصُّوفيُّ: كلامك مقنع، ولكن لا أقدر أن أخالف مشايخي.

قال السُّنِّيُّ: فاحفظ ذلك.

قال الصُّوفيُّ: هل عندك اعتراض آخر علىٰ الذِّكر؟

قال السُّنِّيُّ: أيُّها الصُّوفيُّ لعلك في وسط الطَّريق ولم تصل بعد؟

قال الصُّوفيُّ: ولم، وكيف ذلك؟!

قال السُّنِّيُّ: لقد وبَّخت شيوخك ولم تعظِّمهم، وجهلت الغاية العظمىٰ من الطَّريقة ولم تفقها.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك فأنا أكنُّ التَّعظيم لمشايخي؟

قال السُّنِّيُّ: أيُّها الصُّوفيُّ، لقد ظننت أنَّ شيوخك لا يُحبُّون «هو هو»، ولا يحبُّون «حي حي»، وهذا على غير علم منك بحقيقة الطَّريق.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك، أنا أخشىٰ علىٰ نفسي أن يدركني السُّوء من غضب المشايخ؟

قال السُّنِّيُّ: لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله، تخاف أن يدركك السُّوء من غضب المشائخ وهم أموات، ولا تخاف من الحيِّ الَّذي لا يموت! تخاف من الفقراء الَّذين لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، ولا تخاف من العزيز الرَّحيم. ألا تعلم أنَّ هذا النَّوع من الخوف عبادة، وتلك العبادة لا توجَّه إلَّا لله تعالىٰ وحده؟

قال الصُّوفيُّ: أرواح المشايخ مطلقة فاعلة مختارة.

قال السُّنِّيُّ: هذا افتراء علىٰ الله تعالىٰ.

قال الصُّوفيُّ: ولم ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: لأنَّها لو كانت فاعلة مختارة لأخبر الله تعالىٰ بذلك، ولأخبر رسوله ﷺ، إضافة إلىٰ أنَّ هذا خلاف الثَّابت من أنَّ الأموات لا يقدرون للأحياء شيئًا، وهم في برزخ إلىٰ يوم القيامة كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]. وقد أخبر الحبيب ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلَّا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**». رواه مسلم (١٤/ ١٦٣١). فهذه عمومات واضحة لا

تردُّها أثار ضعيفة، ولا أوهام موضوعة، فالأموات بعيدون تمامًا عن نطاق العمل والتَّصريف والتَّكليف.

قال الصُّوفيُّ: ماذا تعني بذلك؟

قال السُّنِّيُّ: أعني أنَّهم لا يقدرون أن يبلِّغوا الأحياء علمًا؛ فكيف يملكون كلمة التَّصريف؟

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: لما قُتِل مؤمن آل ياسين ودخل الجنَّة قال: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [يس:٢٦، ٢٧]، دلَّ علىٰ أنَّه لا يقدر علىٰ تبليغ خبر لغيره، فإذا كان عاجزًا عن ذلك فعجزه عن التَّصريف من باب أولىٰ.

قال الصُّوفيُّ: كلامك مقنع، ولكنِّي لا أقدر علىٰ أن أنزع ما يخالفه من نفسي، فقد أصبح التَّصوُّف عضوًا من أعضاء بدني.

قال السُّنِّيُّ: يؤسفني أيُّها الصُّوفيُّ أنَّك جعلت التَّصوُّف هو الإسلام، فناضلت عنه بما لم تناضل به عن الإسلام.

قال الصُّوفيُّ: لنرجع إلىٰ حديثنا.

قال السُّنِّيُّ: هل لك رغبة في الاستمرار في الحديث؟

قال الصُّوفيُّ: نعم، لقد أخبرتني أنَّني وبَّخت شيوخي، وظننت أنَّهم لا يحبُّون «هو هو»، ولا يحبُّون «حي حي»، وهذا جهل كبير منِّي، وأن لا أقبل ذلك.

قال السُّنِّيُّ: لأنَّ الصُّوفيَّ لا يكوْن صوفيًّا إلَّا إذا وصل إلىٰ مقام يغيب فيه عن الوجود، فلا يُفرِّق بين الشَّيء والشَّيء، فالجميع واحد.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: نفي الأغيار عقيدة صوفيَّة، والفناء عند الصُّوفيَّة قسمان: فناء عن شهود السِّوىٰ وهو: غيبة الذَّاكر عن الأغيار، وفناء عن وجود السِّوىٰ وهو: أن يرىٰ الكلَّ واحدًا في سُكره وصحوه. وهذه أعلىٰ مرتبة في التَّوحيد عند الصُّوفيَّة.

قال الصُّوفيُّ: الفناء هو نهاية طريق العارفين والسَّالكين.

قال السُّنِّيُّ: نعم، قال ذلك الغزاليُّ. أعرف ذلك، ولكنِّي أعلم من سنَّة الحبيب ﷺ أنَّ أوَّل طريق العارفين هو التَّوبة إلىٰ الله تعالىٰ، وآخر طريق العارفين هو التَّوبة أيضًا، ولذا كان النَّبيُّ ﷺ يختم جميع أعماله بالتَّوبة والاستغفار، وهذا هو آخر ما أمر به ﷺ فلمَّا نزل عليه قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١-٣]. كان لا يترك ركوعًا إلَّا ويقول فيه: «**سبحانك اللَّهمَّ ربَّنا وبحمدك، اللَّهمَّ اغفر لي**». متَّفق عليه. رواه البخاريُّ في كتاب: صفة الصَّلاة (٧٦١). وأيضًا كان آخر ما قال ﷺ عند موته: «**اللَّهمَّ اغفر لي، وارحمني، وألحقني بالرَّفيق الأعلىٰ**». متَّفق عليه.

قال الصُّوفيُّ: سبحان الله، التَّوبة نهاية الطَّريق وأوَّله، هذا هو الحقُّ، ولكن وضِّح لي بسهولة أمر الفناء هذا الَّذي تعترض عليه.

قال السُّنِّيُّ: **أوَّلًا**: فناء الشُّهود نوع من الغيبة والسُّكر، ولو أنَّك قلت: إنَّ هذا الفناء هو حقيقة الطَّريق ونهايته لكانت الصَّلاة دونه، وإلَّا فإنَّ الصَّلاة لا تصلح مع هذا الفناء، وأنت تعلم أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يكن يُقدِّم علىٰ الصَّلاة شيئًا، وقد قال ﷺ: «**وجُعِلت قرَّة عيني في الصَّلاة**». رواه أحمد وغيره. انظر: «صحيح الجامع» (٣١٢٤).

ثانيًا: فناء عن الوجود، وهو الَّذي علىٰ طريقة ابن عربيٍّ، وعنده أنَّ الصُّوفيَّ لا يكون صوفيًّا إلَّا إذا بلغ إلىٰ منزل يقول فيه: «لا هو إلَّا هو». والأعلىٰ من ذلك أن يقول: «لا أنا إلَّا أنا». وهذا هو منتهىٰ قول الوجودية كما دلَّ علىٰ ذلك قول ابن عربيٍّ:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ عَيْنُهُ

قال الصُّوفيُّ: أنا أعلم أنَّ أوَّل الطَّريق لا إله إلَّا الله، وجميع عوامِّ الطَّريقة عندنا يقولون ذلك، وشيوخنا يقولون: العاميُّ لا يفقه أكثر من ذلك، أمَّا أنا فأقول: لا إله إلَّا هو، وقد كنت قبل ذلك أقول: «الله». وفي بداية الطَّريق كنت أقول: لا إله إلَّا الله.

قال السُّنِّيُّ: أيُّها الصُّوفيُّ: إنَّك بدأت بالتَّوحيد، ولو قلت: «لا هو إلَّا هو». فستنتهي إلىٰ الإلحاد.

قال الصُّوفيُّ: أعوذ بالله. كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: لأنَّك لا تدري معنىٰ «لا هو إلَّا هو»، ولا قول: «لا أنت إلىٰ أنت».

قال الصُّوفيُّ: وما معناهما إذن؟

قال السُّنِّيُّ: معناهما خطير جدًّا علىٰ مسامع كلِّ موحِّد، فهما ينتهيان إلىٰ معتقد وحدة الوجود، فلا فرق بين الخالق والمخلوق. كما سأُبيِّن لك فيما بعد.

قال الصُّوفيُّ: هذا إلحاد كبير لم أكن أعرفه إلَّا الآن، ولكنِّي لن أصل إليه أبدًا.

قال السُّنِّيُّ: قل: إن شاء الله.

قال الصُّوفيُّ: إن شاء الله.

قال السُّنِّيُّ: هذا شيء طيِّب، ولكن لا بدَّ لك من تحقيق كلمة التَّوحيد.

قال الصُّوفيُّ: وما تحقيق كلمة التَّوحيد؟

قال السُّنِّيُّ: أن تقول: «لا معبود بحق إلَّا الله وحده».

قال الصُّوفيُّ: وماذا لو قلت: لا معبود إلَّا لله؟

قال السُّنِّيُّ: معناها أنَّ كلَّ المعبودات الَّتي بحقٍّ أو بغير حقٍّ ستكون هي لله.

قال الصُّوفيُّ: أعوذ بالله.

قال السُّنِّيُّ: ولا بدَّ لتحقيق كلمة التَّوحيد أن تدخل في الإسلام كافَّة، وأن تحذر من رفقاء البدع وأعوان الشَّيطان، كما أمر الله تعالىٰ في كتابه الكريم بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

قال الصُّوفيُّ: أنا أقول لك: إنَّني أقصد أعلىٰ مقامات الدِّين «الإحسان»؛ فكيف يفوتني ما دون الإحسان؟

قال السُّنِّيُّ: أيُّها الصُّوفيُّ، القضيَّة كبيرة والفروع متعدِّدة، لقد أنكرت نفسًا من أنفاس الصُّوفيَّة، والصُّوفيَّة تقول: الطَّريق إلىٰ الله بعدد أنفاس الخلائق.

قال الصُّوفيُّ: ماذا تعني بذلك؟

قال السُّنِّيُّ: أعني: أنَّ الانحرافات متعدِّدة وكثيرة جدًّا، فهي بعدد أنفاس الخلائق.

قال الصُّوفيُّ: هذا يعني: أنَّك تعترض علىٰ التَّصوُّف من جميع جوانبه؟

قال السُّنِّيُّ: لا تنس أنَّك عرَّضت بقضايا أخرىٰ غير الذِّكر.

قال الصُّوفيُّ: مثل ماذا؟

قال السُّنِّيُّ: مثل ظنِّك أنَّ طريق السَّلف بالخيار، وأنَّ المكاشفات أقوىٰ في الدَّلالة علىٰ التَّشريع من أيِّ شيء آخر، وأنَّ العلم من الله والرَّسول مباشرة أوثق من العلم عن طريق حدَّثنا وأخبرنا، والأخيرة أنَّك ظننت أنَّ تعلُّقك بالشَّيخ ينجيك في الدُّنيا والآخرة.

قال الصُّوفيُّ: نعم قد عرضنا تلك المسائل من قبل.

قال السُّنِّيُّ: نبدأ بالقضيَّة الأولىٰ.

قال الصُّوفيُّ: ما وجه اعتراضك علىٰ المكاشفات؟

قال السُّنِّيُّ: المكاشفات منها ما هو حقٌّ ومنها ما هو باطل، وهي علىٰ كلِّ حال لا يمكن أن تنسخ شيئًا في الكتاب ولا في السُّنَّة علىٰ الإطلاق، ولا يمكن أن يأتي الرَّسول ﷺ لأحد في منامه ليحلَّ حرامًا أو يحرِّم حلالًا. فالأصل كتاب الله تعالىٰ وسنَّة رسوله ﷺ والدِّين قد تمَّ.

وإنِّي سائلك أيُّها الصُّوفيُّ: لو كوشف لك في المنام بداية رمضان يوم الأحد، هل تستطيع الصِّيام يوم الأحد والنَّاس قد أجمعوا أنَّه يوم الاثنين مثلًا؟ لا أظنُّك ستجرؤ علىٰ ذلك، فإذا كان هذا في أمر النَّاس، فماذا في أمر الله تعالىٰ وأمر رسوله ﷺ.

قال الصُّوفيُّ: نعم، لا أستطيع لا بدَّ أن ألتزم بالشَّرع؛ لأنَّه قيَّد بداية الشَّهر بالنَّظر وليس بالمنام.

قال السُّنِّيُّ: ولكن بعضكم ربَّما يقول غير ذلك، بحجَّة أن شيخه معصوم لا يخطئ.

قال الصُّوفيُّ: الشَّيخ محفوظ وليس معصومًا.

قال السُّنِّيُّ: هذا ليس كلامك هذا كلام القشيريِّ صاحب «الرِّسالة»، ولا فرق بين قولك: معصوم، وقولك: محفوظ. فالاثنان يرميان إلىٰ معنىٰ واحد، هو أنَّ الوليَّ ممنوع من ارتكاب الكبائر.

قال الصُّوفيُّ: وهل في ذلك خطأ شرعيٌّ، وهل تظنُّ أنَّ الله تعالىٰ يصطفي وليًّا عاصيًا؟

قال السُّنِّيُّ: نعم، الله تعالىٰ لا يصطفي العصاة، ولكنَّه يصطفي الأتقياء، والأتقياء ليس من شروطهم أن يكونوا معصومين من الخطأ.

قال الصُّوفيُّ: لماذا؟

قال السُّنِّيُّ: لأنَّ الله تعالىٰ بيَّن أنَّه يُكفِّر عنهم سيِّئاتهم كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ

عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣-٣٥]. وقال الرَّسول ﷺ: «كلُّ بني آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التَّوَّابون». حسن. رقم (٤٥١٥) في «صحيح الجامع».. وذكر عند النَّبيِّ ﷺ رجل كان يؤتىٰ به في الخمر فلعنه آخر فقال ﷺ: «**لا تلعنه، فإنَّه يحبُّ الله ورسوله**». رواه البخاريُّ، باب: ما يُكره من لعن شارب الخمر (٦٣٩٨). فمن كان لله تقيًّا كان لله وليًّا، ولا يشترط في الوليِّ أن يكون معصومًا من الكبائر.

قال الصُّوفيُّ: أظنُّ أنَّ هذا هو الفرق بيننا وبينكم في مسألة المكاشفات، أنَّنا رتَّبنا العصمة في المكاشفات علىٰ العصمة في الولاية، وأنتم لم ترتِّبوا ذلك علىٰ اعتبار أنَّ الوليَّ قد يعصي الله تعالىٰ وقد يخطئ؛ فلا يترتَّب علىٰ ذلك العصمة في المكاشفات.

قال السُّنِّيُّ: نعم، ولا يضمن الوليُّ من يُصَحِّح له خطأه، كما ضمن الله تعالىٰ لأنبيائه صلوات الله تعالىٰ وسلامه عليهم.

قال الصُّوفيُّ: نعم، فهمت قصدك، لكن لا أدري لماذا يجذبني حبِّي لشيخي من عدم الإذعان لك والتَّصديق لما تقول، ولو أنَّك جئت إلىٰ شيخي لكي تقنعه بذلك لكان خيرًا لي ولك.

قال السُّنِّيُّ: أيُّها الصُّوفيُّ، إنَّ ما يُحزنني أنَّ أحدكم إذا عجز أمام أحد في المحاورة والمناظرة يقول له تعالىٰ إلىٰ الشَّيخ، كلِّم الشَّيخ، وهل هذا الشَّيخ سيسأل نيابة عنك في قبرك؟

قال الصُّوفيُّ: العهد الَّذي بيني وبين شيخي أنَّه سيكون معي في القبر بروحه المطلقة؛ ليخفِّف اللِّقاء بيني وبين منكر ونكير.

قال السُّنِّيُّ: من قال لك هذا؟

قال الصُّوفيُّ: هذا عهد بين وبينه، فهو شيخي في الدُّنيا والآخرة، ومعنىٰ ذلك أنَّه يحفظني ويصونني من كلِّ ما يضرُّني، ويُيسِّر لي كلَّ ما ينفعني، ولن يتركني حتَّىٰ يدخلني الجنَّة بشفاعته.

قال السُّنِّيُّ: وهل تصدِّق هذا الهراء أيُّها الصُّوفيُّ؟

قال الصُّوفيُّ: أن أثق في شيخي ثقة عمياء، فأنا لا أسأل ولا أعترض، وإلَّا فقدت بركة الشَّيخ، وخبت وخسرت في الدُّنيا والآخرة، وقد أوصاني شيخي أن أكون بين يديه كما يكون الميِّت بين يدي المغسِّل، وذلك لأنَّه رجل واصل، ومن أنا بجواره؟

قال السُّنِّيُّ: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، هل تدري ما تقول؟

قال الصُّوفيُّ: نعم.

قال السُّنِّيُّ: أنا لا أظن أحدًا يقول هذا الكلام فيه بقيَّة من عقل، وإلَّا كان الشَّيطان متلبِّسًا به.

قال الصُّوفيُّ: لماذا؟

قال السُّنِّيُّ: لأنَّ الصَّحابة أنفسهم لم يكونوا بين يدي رسول الله ﷺ كالميِّت بين يدي المُغسِّل، فكيف تكون أنت مع شيخك كذلك، إنَّ الصَّحابة كانوا

يفقهون ويتدبَّرون ويذعنون بعلم وفقه، ولم يكونوا أمواتًا، فلِمَ تحتقر نفسك إلىٰ تلك الدَّرجة؟

قال الصُّوفيُّ: وما الاحتقار في هذا؟ ولماذا تنفي العقل عمَّن يكون كالميِّت بين يدي شيخه؟

قال السُّنِّيُّ: أوَّلًا: منذ فترة قلت عن شيخك: إنه يقول في الذِّكر: «الله الله» فقط؛ خشية أن يموت بين النَّفي والإثبات.

قال الصُّوفيُّ: نعم، قلت ذلك.

قال السُّنِّيُّ: أوَّلًا: كيف بمن يخاف علىٰ نفسه الموت بعد النَّفي يُؤمِّن لغيره فتنة اللِّقاء مع منكر ونكير في القبر؟ هذه واحدة.

قال الصُّوفيُّ: حججك موجعة، وما الثَّانية؟

قال السُّنِّيُّ: الثَّانية: أنَّه لو قُدِّر أن مات في ليلة واحدة عشرة من مريدي الشَّيخ في بلاد متفرِّقة، فكيف يتصوَّر عقلك أن يكون الشَّيخ مع العشرة في وقت واحد؟ هذا في الحقيقة لا تؤاخذني فوق الجنون بدرجات عالية. بل هذا من تلبيس الشَّيطان.

قال الصُّوفيُّ: كيف؟

قال السُّنِّيُّ: لأنَّ شيخك لم يترك شيئًا لله تعالىٰ إلَّا ونسبه إلىٰ نفسه، فماذا بقي لله تعالىٰ، إذا كان شيخك هو الحافظ وهو القيُّوم وهو النَّافع الضَّارُّ؟

قال الصُّوفيُّ: هذا هو الَّذي تعلَّمته من شيخي.

قال السُّنِّيُّ: وهذا هو حظُّ الشَّيطان فيكم، فاحفظ هذا الكلام.

قال الصُّوفيُّ: إذن أيُّ شيء في احتقار النَّفس؟

قال السُّنِّيُّ: احتقار النَّفس هو أن لا يكون لك كلمة، ولا حُجَّة، ولا دليل، ولا برهان أمام مخلوق مثلك؛ إذ جعلت نفسك معه كالميِّت، والله تعالىٰ قد كرَّم الإنسان بالعقل، ولم يجعله كالبهيمة تقاد حيث يقودها صاحبها، وكرَّم العقل بالرِّسالات، وخير الهدي هدي محمَّد ﷺ، فكيف تكون مع شيخك كالميِّت، ومع سنَّة محمَّد ﷺ كالسَّبع الضَّاري؟

قال الصُّوفيُّ: لقد عجزت عن الرَّدِّ عليك، ولكن هل بقي في أمر المكاشفات شيء؟

قال السُّنِّيُّ: نعم، سأذكر لك شيئًا يُقِرُّ قلبك.

قال الصُّوفيُّ: ما هذا؟

قال السُّنِّيُّ: أتعلم أنَّ عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأىٰ سارية بن زنيم في بلاد السِّند، وقد اجتمع له جموع من الفرس والأكراد يريدون القضاء عليه، وهناك جبل إن أسندوا إليه لم يؤتوا إلَّا من جهة واحدة؟

قال الصُّوفيُّ: نعم.

قال السُّنِّيُّ: فخطب عمر النَّاس وأخبرهم بصفة ما رأىٰ ثمَّ قال: «يا سارية، الجبل الجبل». فأسمع الله تعالىٰ سارية قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلجأ إلىٰ الجبل فحفظ الله المسلمين، أليس هذا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

قال الصُّوفيُّ: نعم.

قال السُّنِّيُّ: وتعلم أنَّ الرَّسول ﷺ قال: «**إنَّه كان فيمن قبلكم محدَّثون، فإن يكن في هذه الأُمَّة فعمر**». متَّفق عليه.

قال الصُّوفيُّ: نعم أعلم ذلك.

قال السُّنِّيُّ: وتعلم أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الشَّيطان ليفرق منك يا عمر**». رواه أحمد والتِّرمذيُّ عن بريدة. انظر: «صحيح الجامع» (١٦٥٤).

قال الصُّوفيُّ: نعم أعلم ذلك.

قال السُّنِّيُّ: فأخبرني لماذا كان لعمر مستشارون من مشيخة قريش، يستشيرهم في المسائل كما استشارهم في أمر الطَّاعون؟ ولماذا قال عمر في الكلالة: «أقول فيها برأيي، فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأً فمنِّي ومن الشَّيطان». وشاركه علىٰ ذلك أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ولماذا لَمَّا كتب كاتبه يومًا: «هذا ما أرىٰ الله أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب». قال: لا امحه واكتب: هذا ما رأىٰ عمر بن الخطَّاب، فإن كان صوابًا فمن الله، وإن كان خطأً فمن عمر، والله ورسوله منه بريء»؟ أليس للمحدَّث المُلهم أن يقول: أنا رجل تخاف منِّي الشَّياطين، وأوتيت الإلهام من ربِّ العالمين فما لي وآراؤهم؟ خذوا منِّي ولا تختلفوا عليَّ.

قال الصُّوفيُّ: نعم، كان من الممكن أن يقول ذلك.

قال السُّنِّيُّ: فإذا كان عمر لا يقول ذلك وهو مُلهم حقيقة؛ فكيف بمن

دونه في المرتبة والمكانة يدّعون العصمة، ويتنزّهون عن متابعة الكتاب الكريم والنّبيّ ﷺ؛ بحجّة بلوغهم العلوم اللّدنّيّة والمكاشفات؟ مع العلم أنّ الشّياطين تحوم حولهم باللّيل والنّهار.

قال الصُّوفيُّ: كيف تحوم حولهم الشّياطين؟

قال السُّنِّيُّ: سأجيبك بما قاله الشّيخ الأكبر صاحب «الكبريت الأحمر».

قال الصُّوفيُّ: ماذا قال؟

قال السُّنِّيُّ: قال ابن عربيٍّ فيما نقله عنه الشّعرانيُّ في «اليواقيت والجواهر» (٢/ ٨٧): واعلم أنّ الشّيطان لا يزال مراقبًا لقلوب أهل الكشف، سواء كان أحدهم من أهل العلامات أو لم يكن، لأنّ له حرصًا على الإغواء، والتّلبيس. انتهى.

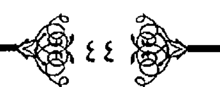
قال الصُّوفيُّ: أنا مرتبك من هذه الحجج!

قال السُّنِّيُّ: ألم تعلم ماذا قال عمر يوم الحديبية، وماذا قال يوم أن مات النّبيُّ ﷺ؟

قال الصُّوفيُّ: نعم أعلم.

قال السُّنِّيُّ: أليس يدلُّك ذلك على أنّ الإلهام مهما كان لا يرقى بصاحبه إلى مقام المعصوم، ولا يغنيه عن متابعة الكتاب والسُّنّة المطهّرة.

قال الصُّوفيُّ: لأوّل مرّة أسمع هذه الحجج، ربّما كنت أعرف بعضها، ولكنّي كنت أتغافل عنها لثقتي في شيوخي الصّالحين.



قال السُّنِّيُّ: فاحفظ ذلك.

قال الصُّوفيُّ: لكن إذا كانت المكاشفات لا قيمة لها عندك والإلهامات؛ فلماذا يمنُّ الله تعالىٰ بها علىٰ عباده؟

قال السُّنِّيُّ: هذا سؤال قيِّم أيُّها الصُّوفي، وكما قلت لك: إذا كنت تريد الحقَّ يسَّر الله لك، أمَّا إذا اتَّبعت هواك فلن تنتهي إلىٰ خير قطُّ. أمَّا ما قيمة المكاشفات والإلهامات فإنَّها نوع من الثَّبات في الدِّين، وذلك إذا كانت موافقة له، وإلَّا فهي استدراج من الله تعالىٰ للعبد.

قال الصُّوفيُّ: يعني ماذا تقول إذا كوشف للشَّيخ ولغيره عدَّة مكاشفات، وجاءت متواطئة، هل لا يعمل بها؟

قال السُّنِّيُّ: اسمع يا صوفيُّ، إذا كانت المكاشفات متواطئة فلا يمكن أن تخالف الشَّرع علىٰ الإطلاق، ولكنَّها ستكون مندرجة تحت تفصيل، ربَّما لا يعرفه أحد ممَّن رآها، فيظنُّ أنَّها مخالفة، وهي ليست بمخالفة.

قال الصُّوفيُّ: يعني من الممكن العمل بالمكاشفات.

قال السُّنِّيُّ: نعم، يمكن العمل بها إذا كانت غير مخالفة للشَّريعة في المقام الأوَّل، أو تكون في أمر من الأمور المباحة، حينئذ يجوز العمل بها وتقديمها علىٰ هوىٰ النَّفس. وهذا من عمق التَّديُّن.

قال الصُّوفيُّ: بما أنَّ لك اطِّلاعًا علىٰ أحوال أئمَّة التَّصوُّف، هل كان أحد منهم يفعل ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: نعم، كان كذلك عبد القادر الجيلانيُّ، لم يكن يُقدِّم المكاشفات علىٰ الشَّريعة أبدًا، وإنَّما يقدِّمها علىٰ هوىٰ النَّفس إذا تعارضت معها.

قال الصُّوفيُّ: من قال ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: ابن تيميَّة في «الفتاوىٰ».

قال الصُّوفيُّ: ابن تيميَّة! الله أكبر، هذا عدوُّنا اللَّدود.

قال السُّنِّيُّ: ابن تيميَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان ثقة عدلًا، يشهد له العدوُّ والصَّديق، ولولا عداوته لكم لاتَّخذتموه سيِّدًا معظَّمًا وإمامًا مبجَّلًا؛ لأنَّه كان صاحب كرامات ومكاشفات كما تعلم، ولا يخفىٰ أنَّ كثيرًا من أئمَّة التَّصوُّف يستدلُّون بأقواله وتحقيقاته كثيرًا؛ لأنَّه كان كثيرًا ما يُقدِّر أئمَّة الصَّدر الأوَّل، الَّذين نُسبوا إلىٰ التَّصوُّف أمثال: الجُنيد، وعبد القادر، ولكنَّه كان يحطُّ علىٰ ابن عربيٍّ، ويجعله من ملاحدة الصُّوفيَّة.

قال الصُّوفيُّ: أريد أن أعرف شيئًا من مكاشفاته وكراماته بعد أن تخبرني بقوله في عبد القادر.

قال السُّنِّيُّ: قال ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ- في تعليقه علىٰ «فتوح الغيب» للشَّيخ عبد القادر (١٠/ ٤٨٨): والشَّيخ عبد القادر ونحوه من أعظم مشائخ زمانهم أمرًا بالتزام الشَّرع، والأمر والنَّهي وتقديمه علىٰ الذَّوق والقدر، ومن أعظم المشائخ أمرًا بترك الهوىٰ، والإرادة النَّفسيَّة، فإنَّ الخطأ في الإرادة من حيث

هي إرادة إنّما تقع من هذه الجهة، فهو يأمر السَّائل أن لا تكون له إرادة من جهة هواه أصلًا، بل يريد ما يريده الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ. انتهىٰ.

قال الصُّوفيُّ: أخبرني عن هذا الرَّجل، أريد أن أعرف شيئًا من كراماته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال السُّنِّيُّ: هذا أمر يطول.

قال الصُّوفيُّ: لقد شوقتني إلىٰ معرفة ترجمة هذا الرجل وكراماته.

قال السُّنِّيُّ: خذ بعضًا ممَّا ذكره الألوسيُّ في الرَّدِّ علىٰ النَّبهانيِّ قال:

١- ذِكْر علمه وحفظه: لمَّا سُجِن -شيخ الإسلام- صنَّف كتبًا كثيرة وذكر فيها الأحاديث والآثار، وأقوال العلماء، وأسماء المحدِّثين والمؤلِّفين ومؤلَّفاتهم، وعزا كلَّ شيء إلىٰ ناقليه وقائليه، وذكر أسماء الكتب الَّتي ذكر ذلك منها، وفي أيِّ موضع هو منها، كلُّ ذلك بديهة من حفظه، لأنَّه لم يكن عنده حينئذ كتاب يطالعه، ونُقِّبت واعتُبِرت، فلم يوجد بحمد الله فيها خلل ولا تغيير.

٢- ذِكْر تعبُّده: فقد قال الأئمَّة النَّاقلون عنه: وكان في ليله منفردًا عن النَّاس كلِّهم، خاليًا بربِّه عَزَّوَجَلَّ، ضارعًا إليه، مواظبًا علىٰ تلاوة القرآن العظيم، مكررًا لأنواع التَّعبُّدات الليلية والنهارية، وكان إذا دخل في الصلاة ترتعد فرائصه، وأعضاؤه.

٣- ذِكْر إيثاره وفقره: وحكىٰ من يوثق به قال: كنت يومًا جالسًا بحضرة شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فجاء إنسان فسلَّم عليه، فرآه الشَّيخ محتاجًا إلىٰ

ما يعتمُّ به، فنزع الشَّيخ عمامته من غير أن يسأله الرَّجل، فقطعها نصفين واعتمَّ بنصفها ودفع النِّصف الآخر لذلك الرَّجل، ولم يحتشم للحاضرين عنده.

٤- ذِكْر شيء من كرامته وفراسته: قال الحافظ أبو حفص عمر البزَّار: جرىٰ بيني وبين بعض الفضلاء منازعة في عدَّة مسائل وطال كلامنا فيه، وجعلنا الشَّيخ المرجع، فلمَّا حضر هممنا بسؤاله عنها، فسبقنا هو وشرع يذكر لنا مسألة ممَّا كنَّا فيه، ويذكر أقوال العلماء فيها، ثمَّ يُرجِّح منها ما رجَّحه الدَّليل حتَّىٰ أتىٰ منها علىٰ آخر ما أردنا، فبقينا ومن حضرنا مبهوتين متعجِّبين...

وكان آخر ما قرأ ابن تيميَّة من القرآن: يقول ابن العماد في «الشَّذرات» (٦/ ٨١): واجتمع عند الشَّيخ خلق كثير من أصحابه يبكون ويثنون عليه، وأخبرهم أخوه زين الدِّين عبد الرَّحمن أنَّه ختم هو والشَّيخ منذ دخلا القلعة ثمانين ختمة، وشرعا في الحادية والثَّمانين، وانتهيا إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

قال الصُّوفيُّ: أليس غير ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: هذا قطرة من بحر، وإذا أردت الزِّيادة فارجع إلىٰ مؤلَّفاته.

قال الصُّوفيُّ: لا أعرف يا أخي ما الَّذي أعماني عن القراءة لهذا الرَّجل؟ فرحمه الله رحمة واسعة.

قال السُّنِّيُّ: أنا أعرف ما الَّذي أعماك.

قال الصُّوفيُّ: ما هو يرحمك الله؟

قال السُّنِّيُّ: أنت تعلَّمت أنَّ العلم عورة، وأنَّ التَّصوُّف لا يحتاج إلىٰ العلم ولا إلىٰ الدِّراسة، ومن طلب التَّصوُّف بالعلم فقد دخل في نفق مظلم، فالتَّصوُّف أحوال ولا يمكن للصُّوفيِّ أن يصل إلىٰ الأحوال إلَّا بالرِّياضات والمجاهدات.

قال أبو سعيد الكِنْديُّ: كنت أنزل في رباط الصُّوفيَّة، وأطلب الحديث في خفية بحيث لا يعلمون، فسقطت الدَّواة يومًا من كمِّي، فقال لي بعض الصُّوفيَّة: استر عورتك. انظر: «تلبيس إبليس» (ص٣٢٨).

وقال أبو حامد الغزاليُّ: اعلم أنَّ ميل أهل التَّصوُّف إلىٰ الإلهيَّة دون التَّعليميَّة، ولذلك لم يتعلَّموا، ولم يحرصوا علىٰ دراسة العلم، وتحصيل ما صنَّفه المصنفون. انظر: «تلبيس إبليس» (ص٣٢٣).

وهذا الدُّكتور عبد الحليم محمود يقول: هل السَّبيل إلىٰ معرفة الغيب مباشرة هو البحث والدَّرس والاستقصاء، ويتفاوت النَّاس في الإشراق بتفاوتهم في شمول الدِّراسة، وعموم التَّحصيل؟ كلا قطعًا. (ص١٥) «المرسي».

قال الصُّوفيُّ: نعم التَّصوُّف حال، لا درس ولا كتابة.

قال السُّنِّيُّ: هذا هو الَّذي ألهاك عن القراءة والتَّعلُّم.

قال الصُّوفيُّ: وهل تعترض علىٰ المجاهدات والرِّياضات إذا كانت ستوصلني إلىٰ نفس ما وصل إليه العلماء ويزيد؟

قال السُّنِّيُّ: لن تصل إلىٰ ما وصل إليه العلماء بغير العلم.

قال الصُّوفيُّ: ولكن شيوخنا أخبرونا أن طريقنا هذا لا يصلح ولا يعتمد إلَّا بالمجاهدات، وفي هذا يقول أبو عبد الله الرمليُّ: ليكن خدنك الخلوة، وطعامك الجوع، وحديثك المناجاة. فإمَّا أن تموت، وإمَّا أن تصل إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. «الرِّسالة» (ص٢٧٤).

قال السُّنِّيُّ: هذا ليس دليلًا علىٰ صحَّة الشَّيء وبطلانه، أنا لا يصلح لي أن أقول لك: الدَّليل قال فلان من الأئمَّة، لأنَّ قول فلان من الأئمَّة ليس دليلًا في ذاته، إنَّما الدَّليل: قال الله، قال رسوله، قال الصَّحابة؛ يعني: إجماعهم، فإنَّهم لا يجتمعون علىٰ الباطل.

قال الصُّوفيُّ: هناك رياضات عليها أدلَّة وأخرىٰ تفتقر إلىٰ الأدلَّة، ولكن بصرف النَّظر عن الأدلَّة هذه أمور ثبتت بالممارسة، فإنَّها توصل إلىٰ قمة الطَّريق عندنا بالفعل.

قال السُّنِّيُّ: لا بدَّ لصحَّة الطَّريق من أمرين لا يفترقان أبدًا كما بيَّن العلماء، **الأوَّل:** أن يكون صوابًا علىٰ السُّنَّة، **والثَّاني:** أن يكون خالصًا لوجه الله الكريم، وهذا مقتضىٰ: ماذا أجبتم المرسلين؟ وماذا كنتم تعبدون؟ قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

فكما أنَّ الله تعالىٰ تعبَّدنا بالغايات تعبَّدنا بالوسائل، فالوسائل توقيفيَّة، ولا بدَّ من ثبوت الدَّليل عليها، لأنَّك تقول هذه عبادة، فالجوع عندكم عبادة! فلا بدَّ من الدَّليل علىٰ أنَّه عبادة، والخلوة عبادة! فلا بدَّ من الدَّليل علىٰ أنَّها عبادة،

والسَّهر عبادة! فلا بدَّ من الدَّليل علىٰ أنَّه عبادة، والذِّكر المفرد والمضمر والمبهم عبادة! فلا بدَّ من الدَّليل علىٰ أنَّه عبادة... إلخ.

فلا بدَّ من إثبات ذلك كلِّه؛ إذا أردت أن تتَّخذه طريقًا إلىٰ الله تعالىٰ، وفي الحقيقة فإنَّ الله تعالىٰ لم يأمر بذلك، والرَّسول ﷺ لم يتَّخذه سبيلًا إلىٰ الله تعالىٰ.

قال الصُّوفيُّ: نعم، هذه عندنا عبادات ضروريَّة؛ لكي يصل الصُّوفيُّ، ولا يمكن أن يصل إلَّا بها. فالجوع يُبيِّض دم الفؤاد ويرقِّقه ويفتح به طريق المكاشفة كما قال أبو طالب المكيُّ في «تلبيس إبليس» (ص٢١٠)، ومن يستنكر الجوع فليلزم السُّوق وليُؤمر بالكسب كما قال أبو عليٍّ الروزباريُّ في «الرِّسالة» (ص٢٠٩).

أمَّا الخلوة فلا تصلح إلَّا في مكان مظلم، ولا تصلح إلَّا بترك العلم والحديث والقرآن، وهذا كما تعلم قاله الإمام أبو حامد الغزاليُّ: ويخلو نفسه في زاوية، ويقتصر علىٰ الفرائض والرَّواتب، ولا يقرن همَّه بقراءة القرآن، ولا بالتَّأمُّل في التَّفسير، ولا يكتب حديثًا ولا غيره، ولا يزال يقول: الله الله الله. إلىٰ أن ينتهي إلىٰ حال يترك تحريك اللِّسان ثمَّ يُمحىٰ عن القلب صورة اللَّفظ. انظر: «تلبيس إبليس» (ص٣٢٣).

قال السُّنِّيُّ: الجوع الَّذي زكَّاه الصُّوفيَّة ليس مشروعًا، ولا يفتح الطَّريق إلىٰ اللَّوح المحفوظ، ولكنَّه يفتح الطَّريق إلىٰ الخبل والجنون والملاخوليا.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: هؤلاء كفَّار قريش لَّما كتب الله تعالىٰ عليهم الجوع رأوا الدُّخان بينهم وبين السَّماء، وهذا أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان إذا جاع يسقط علىٰ الأرض صريعًا، فالجوع لا يوصل أحدًا لا مؤمنًا ولا كافرًا.

والخلوة بالشُّروط الَّتي ذكرتموها كأن تكون في الظَّلام أو بترك العلم والقرآن والحديث فهي سبيل إلىٰ الملاخوليا وتسلُّط الوساوس القهريَّة والوساوس الشَّيطانيَّة، وليست سبيلًا إلىٰ الوصول إلىٰ شيء، فما فتح الله الطَّريق إليه بالابتداع في الدِّين.

أمَّا السَّهر فهو يورث التَّفريط والتَّضييع إذا كان في العبادة، فما بالك بالصُّوفيِّ الَّذي نصح صاحبه أن يقوم اللَّيل علىٰ رأسه بغير عبادة ولا ذكر!!

قال ابن الجوزيِّ في «التَّلبيس» (ص٣٥٢): وقد حكىٰ أبو حامد الغزاليُّ في كتاب «الإحياء» قال: كان بعض الشُّيوخ في بداية إرادته يكسل عن القيام؛ فألزم نفسه القيام علىٰ رأسه طوال اللَّيل؛ لتسمح نفسه بالقيام عن طوع. انتهىٰ.

وقد بيَّن النَّبيُّ ﷺ أثر السَّهر لابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بقوله: «**فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمَتْ عَيْنُكَ وَنَفِهَتْ نَفْسُكَ، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ حَقًّا وَلِأَهْلِكَ حَقًّا، فَصُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنُمْ**». متَّفق عليه.

فهذا هو نهاية السَّهر، وبقوله ﷺ يتبيَّن لك أنَّ سلوك الصُّوفيَّة ليس طريقًا شرعيًّا في أوَّله ولا في منتهاه.

قال الصُّوفيُّ: أليس النَّبيُّ ﷺ كان يخلو بنفسه في غار حراء اللَّيالي ذوات العدد، يتحنَّث فيهنَّ ويتعبَّد؟

قال السُّنِّيُّ: نعم، كان يتعبَّد اللَّيالي ذوات العدد، ولكنَّه لم يشرع ذلك لأمَّته بهذه الطَّريقة الَّتي كان يفعلها قبل النُّبوَّة، وإنَّما شرع لهم الاعتكاف في رمضان علىٰ هيئة تخالف ما أنتم عليه تمامًا من تلك المجاهدات، ولم يكن قلبه متعلِّقًا بأحد غير الله تعالىٰ كما تشترطون في الخلوة أن يدخلها مستمدًّا من أرواح مشايخه كما ذكر التِّيجانيُّ وغيره، فهذا دجل عظيم وشرك بالله تعالىٰ.

قال الصُّوفيُّ: لا تزال الصُّورة عندك سوداء تمامًا.

قال السُّنِّيُّ: اسمع يا صوفيُّ، سأذكر لك محصِّلة هذا الطَّريق، حتَّىٰ لا تظنَّ ظنًّا سيِّئًا، فهذا ما ذكره أبو حامد الغزاليُّ في كتابه «الإحياء» من الخرافات عن حال أحد أعيان بسطام مع أبي يزيد البسطاميِّ، وسترىٰ كيف اتَّخذ الصُّوفيَّة المجاهدات والرِّياضات تكأة لتضليل أصحاب السُّنن وازدراء الشَّريعة.

قال الصُّوفيُّ: ما قصة هذا الرجل؟

قال السُّنِّيُّ: قال هذا الرَّجل لأبي يزيد: أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدَّهر ولا أُفطر، وأقوم ولا أنام، ولا أجد في قلبي من هذا العلم الَّذي تذكر شيئًا -يقصد: علم المكاشفات- وأنا أصدق به وأُحبُّه.

فقال أبو يزيد: ولو صمت ثلاثمائة سنة وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرَّة!!

قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّك محجوب بنفسك. قال: ألهذا دواء؟

قال: نعم. قال: قل لي حتَّىٰ أعمله. قال: لا تقبله.

قال: فاذكره لي حتَّىٰ أعمل.

قال: اذهب إلىٰ المزيِّن، فاحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللِّباس واتَّزر بعباءة، وعلِّق في عنقك مخلاة مملوءة جوزًا، واجمع الصِّبيان حولك، وقل: كلُّ من صفعني صفعة أعطيته جوزة، وادخل السُّوق، وطُف الأسواق كلَّها عند الشُّهود وعند من يعرفك، وأنت علىٰ ذلك.

فقال الرجل: سبحان الله، تقول لي مثل هذا؟

قال: سبحان الله شرك!

قال له: لِمَ؟

قال: لأنَّك عظَّمت نفسك فسبَّحتها وما سبَّحت ربَّك.

فقال: هذا لا أفعله، ولكن دلَّني علىٰ غيره.

فقال: ابتدئ بهذا قبل كلِّ شيء.

فقال: لا أطيقه.

قال: قد قلت لك إنَّك لا تقبل. «الإحياء» (٤/ ٣٥٨).

أتدري ماذا قال الغزاليُّ تعليقًا علىٰ هذا الكلام الَّذي قاله أبو يزيد.

قال الصُّوفيُّ: ماذا قال؟

قال السُّنِّيُّ: قال أبو حامد: هذا الَّذي ذكره أبو يزيد هو جزاء من اعتلَّ بنظره إلىٰ نفسه.

قال الصُّوفيُّ: وماذا في هذا؟

قال السُّنِّيُّ: فيه استهانة بالسُّنَّة، وأنَّ تسبيح الله تعالىٰ شرك، وأنَّ إهانة النَّفس هي طريق الاطِّلاع علىٰ الغيب والتَّصريف في الكون. وقد قطع الله تعالىٰ أطماع الخلائق في ذلك، فلا يعلم الغيب إلَّا الله، والأمر كلُّه والتَّصريف لله، فلا العبادة ولا غيرها يوصل إلىٰ ذلك.

ثمَّ هل قدَّر الله تعالىٰ العبادة من أجل المكاشفة حتَّىٰ تسلك لها تلك الضَّلالات؟ والجواب: لم يكن ذلك، فضلًا أنَّ المكاشفة إن لم تنته إلىٰ الاستقامة فلا ينبغي الاغترار بها؛ فكيف نطلب المكاشفة بهدم الاستقامة؟

قال الصُّوفيُّ: يعني أنت ترىٰ أنَّني أبغض العلم والعلماء لأجل ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: نعم، فالعلم لا يوصلك إلىٰ مقامات التَّصوُّف -الجمع والفرق والصَّحو والسُّكر، والغيبة، والحضور، والبسط، والقبض، والطَّوالع، واللَّوامع.

لا يمكن بالعلم أن تقول للشَّيء كن فيكون، ولا أن تنظر في اللَّوح المحفوظ، وتلك أمنيتك، ولذا فالعلم لا يساوي عندك جناح بعوضة. وهذا بلا شكٍّ مخالف للدِّين، فالله تعالىٰ زكَّىٰ أهل العلم في الشَّهادة له بالوحدانيَّة، قال تعالىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨]. وفي هذا كفاية لبيان قدر العلم والعلماء.

قال الصُّوفيُّ: نعم، صدق الله العظيم.

قال السُّنِّيُّ: لقد تركتم تلك النُّصوص الصَّريحة، وعرَّجتم إلىٰ كلام أبي يزيد البسطاميِّ وغيره.

قال الصُّوفيُّ: وماذا قال أبو يزيد؟

قال السُّنِّيُّ: قال: أخذتم علمكم ميِّتًا عن ميِّت، وأخذنا علمنا عن الحيِّ الَّذي لا يموت. يقول أمثالنا: حدَّثني قلبي عن ربِّي، وأنتم تقولون: حدَّثني فلان. وأين هو؟ قالوا: مات. عن فلان. وأين هو؟ قالوا: مات. «الفتوحات» لابن عربيٍّ (١/ ٣٦٥).

وهذا باختصار هو الَّذي صرفكم عن علم الحديث، الَّذي جعله الله تعالىٰ نورًا يتلىٰ، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٧٤]. وحكمة ترفع في بيوت نساء النَّبيِّ الكريم ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]. وحقًّا: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٢]. تركتم ذلك كلَّه إلىٰ من لا يدري من أين نقل كلامه، ولعلَّه نقله من الشَّيطان، وقد تقدَّم من كلام ابن عربيٍّ ما يدلُّ علىٰ أنَّ الشَّيطان حريص علىٰ إغواء أصحاب العلامات.

قال الصُّوفيُّ: نعم قد يكون ذلك.

قال السُّنِّيُّ: هل وجدت عليَّ فيما قلته لك عن أبي حامد الغزاليِّ في «الإحياء»؟

قال الصُّوفيُّ: نعم، فلقد قلتَ: إن كتاب أبي حامد مليء بالخرافات، وأبو حامد حُجَّة الإسلام، فكيف تجرَّأت علىٰ هذا الرَّجل؟

قال السُّنِّيُّ: أبو حامد -رحمه الله تعالىٰ- ملأ كتابه بالحكم والخرافات والفلسفات في آن واحد، وقد حاول أبو حامد أن يُقرِّب الفلسفة إلىٰ المسلمين بعبارات إسلاميَّة، وقد كثر في كتابه ذكر البدع والضَّلالات بسبب ضعفه الشَّديد في علم الحديث.

قال الصُّوفيُّ: كيف يكون فقير البضاعة في علم الحديث، وطريقنا هذا لا يصلح فيه الرَّجل إلَّا بالقرآن والحديث كما قال الجُنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟

قال السُّنِّيُّ: أنا لا أتقوَّل عليه، فهذه الأدلَّة بين يديك. فقد قال في كتابه «رسالة قانون التَّأويل» (ص١٦): بضاعتي في علم الحديث مزجاة. انتهىٰ.

وقال الذَّهبيُّ في «السِّير» (١٩/ ٣٤٠): أمَّا «الإحياء» ففيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير، لولا ما فيه من آداب ورسوم، وزهد من طرائق الحكماء، ومنحرفي الصُّوفيَّة. نسأل الله علمًا نافعًا. انتهىٰ. وقال أبو بكر ابن العربيِّ: شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلاسفة، ثمَّ أراد أن يخرج منها فما قدر...

فأنت تعلم أنَّ أبا حامد مرَّ بمرحلة اضطراب، هجر بعدها المدرسة النِّظاميَّة، ودخل الفلسفة وتركها، وتوغَّل في مذاهب الباطنيَّة ثمَّ انتقدها، ثمَّ انتهىٰ به الأمر إلىٰ التَّصوُّف، ولكنَّه كان متأثِّرًا بالفلسفة في كتاباته. ولكن أُزيدك علمًا أنَّ أبا حامد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مات وعلىٰ صدره «صحيح البخاريِّ»، وكان مُقبلًا علىٰ هدي المصطفىٰ ﷺ كما نقل ذلك ابن عساكر «في تبيين كذب المفتري» (ص٢٩٦)، ولكنَّه لم يتب مثل توبة أبي الحسن الأشعريِّ، إذ صعد المنبر وخلع

مذهب الاعتزال كما يخلع الرَّجل ملابسه، وخلع ملابسه وهو علىٰ المنبر، فكان من الواجب علىٰ أبي حامد أن يفعل كما فعل الأشعريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويعلن براءته من التَّصوُّف علىٰ الملإ.

قال الصُّوفيُّ: فأنت تريد منِّي أن أكون علىٰ حذر من كتب أبي حامد؟

قال السُّنِّيُّ: نعم، فأنت تعلم أنَّ الفلسفة تناهض التَّصوُّف وتعاديه، فهذا طريق وذاك طريق آخر. الفلسفة طريق العقل، والتَّصوُّف طريق الوجدان. وأبو حامد تأثَّر بالاثنين في كتاباته.

قال الصُّوفيُّ: أنا أعلم أنَّكم تُعادون التَّصوُّف والفلسفة في آن واحد.

قال السُّنِّيُّ: نحن نعادي كلَّ ما يخالف الحقَّ الَّذي جاء من عند الله تعالىٰ، ولو كان في قعر بيوتنا، فالحقُّ أحبُّ إلينا من أيِّ شيء؛ لأنَّ الله تعالىٰ هو الحقُّ، فمن عادىٰ الحقَّ فقد عادىٰ الله تعالىٰ.

قال الصُّوفيُّ: الطَّريق معك طويل أيُّها السُّنِّيُّ، وأنا لم أعد أقدر علىٰ الصَّبر فيما تقوله لي، فهو أشدُّ عليَّ من المرِّ، بل أشدُّ من وقع السَّيف.

قال السُّنِّيُّ: عجيب أمركم أيُّها الصُّوفيَّة تصبرون علىٰ الجوع، ومن لم يصبر علىٰ الجوع يلزم السُّوق، وتصبرون علىٰ الخلوة، ومن لم يُجرِّب الخلوة لا تظهر له المكاشفات، وتصبرون علىٰ السَّهر، ومن لم يصبر علىٰ السَّهر يدهن حواجبه بالملح كما كان يفعل الشبليُّ، ومع ذلك لا تصبرون علىٰ العلم، وهو الحقُّ الَّذي يقرِّبنا إلىٰ الله تعالىٰ.

قال الصُّوفيُّ: يا سنِّيُّ، كلُّ هذا يهون لعزِّ الوصول، ولكن العلم يقطع النُّفوس، العلم طريق شاقٌّ، العلم أشقُّ علينا من كلِّ شيء، أنا أجوع عامًا ولا أقدر علىٰ هذا العلم، وأخلو عشر سنين وأصل، أما طريقكم هذا فلا يقدر كلُّ أحد أن يصل به.

قال السُّنِّيُّ: الله أكبر، صدق الشَّافعيُّ وابن الجوزيِّ -رحمهما الله تعالىٰ.

قال الصُّوفيُّ: وما المناسبة؟

قال السُّنِّيُّ:لأنَّك وصلت إلىٰ الَّذي انتهىٰ إليه هذان الإمامان، فاسمع ما قاله الإمام الشَّافعيُّ -رحمه الله تعالىٰ: أُسِّس التَّصوُّف علىٰ الكسل. انظر: «تلبيس إبليس» (ص٣٢٠)، وخذ ما قاله ابن الجوزي:

وقد دخل علىٰ الصُّوفيَّة في هذا الفنِّ من أبواب؛ أحدها: أنَّه منع جمهورهم من العلم أصلًا، وأراهم أنَّه يحتاج إلىٰ تعب وكلف؛ فحسَّن عندهم الرَّاحة؛ فلبسوا المرقَّع، وجلسوا علىٰ بساط البطالة. انظر: «تلبيس إبليس» (ص٣٢٠).

قال الصُّوفيُّ: أيُّها السُّنِّي، كلامك يفجِّر دماغي.

قال السُّنِّيُّ: هذا كلام الأئمَّة، ولو أنَّك رضيت به لصار عليك بردًا وسلامًا.

قال الصُّوفيُّ: أسأل الله بحقِّ جاه أوليائه وأنبيائه وأهل بيته الكرام أن يجعل جلوسي معك بردًا وسلامًا عليَّ.

قال السُّنِّيُّ: أيُّها الصُّوفي، أنت لا تحسن الدُّعاء.

قال الصُّوفيُّ: وهل أخطأت أنا في الدُّعاء؟

قال السُّنِّيُّ: نعم أخطأت.

قال الصُّوفيُّ: وما الخطأ فيه؟

قال السُّنِّيُّ: الخطأ في قولك: بحقِّ جاه النَّبيِّ وأوليائه وأهل البيت الكرام.

قال الصُّوفيُّ: أنتم أيُّها السُّنِّية تكرهون أولياء الله الصَّالحين، ولا تحبُّون أهل البيت الكرام، وتظنُّون أنَّ جاه النَّبيِّ ﷺ لا يُستشفع به إلىٰ الله تعالىٰ.

قال السُّنِّيُّ: أنا لا أتعجَّب من قولك هذا، فقد سمعت منكم من يلوك هذا الكلام بلسانه، ويتَّخذه دخلًا للوقيعة بين السَّلاطين والأئمَّة، وهذا كذب مفترًىٰ علينا.

قال الصُّوفيُّ: يعني أنَّكم تُجوِّزون الدُّعاء بجاه النَّبيِّ ﷺ، وتحبُّون أولياء الله الصَّالحين وأهل بيت النَّبيِّ ﷺ.

قال السُّنِّيُّ: أمَّا أنَّنا نحبُّ النَّبيَّ ﷺ وآل بيته الطَّيِّبين الكرام، وأولياء الله الصَّالحين فهذا لا ينتطح فيه كبشان، ولا يقول بخلاف ذلك إلَّا جاهل مفترٍ علينا، وعلىٰ الله تعالىٰ، وعلىٰ نبيِّه ﷺ، فحبُّ النَّبيِّ ﷺ وآل بيته الطَّيِّبين الكرام من الإيمان، ومن أبغض النبي ﷺ فقد كفر، ومن أبغض آل بيته فقد كفر، ومن أبغض أولياء الله الصَّالحين فقد عرَّض نفسه لحرب الله تعالىٰ لقوله ﷺ: «**من عادىٰ لي وليًّا فقد آذنته بالحرب**». رواه البخاريُّ في كتاب: الرِّقاق، (٦١٣٧). فحبُّهم من الإيمان، وبغضهم من النِّفاق، والأدلَّة علىٰ ذلك كثيرة. وكيف يتَّفق مع السُّنَّة بغض النَّبيِّ ﷺ وآل بيته، لا يقول بذلك إلَّا منكوس العقل والفؤاد،

أمَّا سؤال الله تعالىٰ بجاه النَّبيِّ ﷺ فهذا غير جائز، ولا يمارىٰ في جاه النَّبيِّ ﷺ، فالنَّبيُّ أشرف مخلوق علىٰ الإطلاق في الوجود، ولكن مع ذلك لم يكن مجرَّد الجاه وسيلة حتَّىٰ للنَّبيِّ ﷺ نفسه، ولذا ينبغي أن تعرف الوسائل الشَّرعيَّة والوسائل غير الشَّرعيَّة، فالوسيلة: هي القربة إلىٰ الله تعالىٰ بأسمائه وصفاته، وبالإيمان، وبما يحبُّ من الأعمال والأقوال الظَّاهرة والباطنة، الَّتي جاء الشَّرع بجواز التَّوسُّل إلىٰ الله تعالىٰ بها؛ كتوسُّل أصحاب الغار. والتَّوسُّل بدعاء الصَّالح الحيِّ الحاضر المشروع دعاؤه، والأدلَّة عليه كثيرة، منها ما كان من أمر النَّبيِّ ﷺ لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يسأل أُوَيس القرنيَّ الاستغفار له، ومنه ما كان من تقديم عمر للعبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ ليدعو لهم في دعاء الاستسقاء، وكذا تقديم معاوية ليزيد بن الأسود الجرشيِّ لنفس الغرض.

قال الصُّوفيُّ: ألم يكن السَّلف الصَّالح يتوسَّلون إلىٰ الله تعالىٰ بذوات الأولياء والصَّالحين؟

قال السُّنِّيُّ: لا، لم يكن منهم أحد يتوسَّل إلىٰ الله تعالىٰ بذات أحد أو بجاهه.

قال الصُّوفيُّ: ولِمَ؟

قال السُّنِّيُّ: للجواب علىٰ ذلك أقول لك كما تقدَّم: لا يُقبل العمل في الدِّين إلَّا إذا كان خالصًا صوابًا. والخالص: ما كان لله تعالىٰ وحده، والصَّواب: ما كان علىٰ نهج السُّنَّة المطهَّرة، وليس من السُّنَّة التَّوجُّه إلىٰ الله تعالىٰ بذات أحد ولا بجاهه. فجاه كلِّ إنسان ليس سببًا مناسبًا لغيره، لأنَّه ليس من كسبه، وليس

للإنسان إلَّا ما سعىٰ كما بيَّن القرآن الكريم. قال تعالىٰ: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]. والتَّوسُّل إلىٰ الله تعالىٰ بأسمائه وصفاته يكفي في التَّقرُّب إليه -تعالىٰ ذكره- واستمداد الخير منه، وهو أفضل من أيِّ شيء آخر، بل وهو الأصل في التَّقرُّب، فلا حاجة للإنسان أن يتحنَّن لله تعالىٰ بذوات أحد من المخلوقين، فذات الله أعلىٰ وأجلُّ. وعلىٰ ذلك لم يكن السَّلف الصَّالح يتوسَّلون بذوات الصَّالحين منهم أبدًا.

قال الصُّوفيُّ: الصُّوفيَّة حين أباحوا التَّوسُّل بجاه رسول الله ﷺ إنَّما اعتمدوا علىٰ آثار نبويَّة وردت في الدلَّالة علىٰ ذلك.

قال السُّنِّيُّ: ما تلك الآثار؟

قال الصُّوفيُّ: آثار كثيرة منها قوله ﷺ: «**توسَّلوا بجاهي؛ فإنَّ جاهي عند الله عظيم**». وقوله ﷺ: «**أسألك بحقِّ السَّائلين وبحقِّ ممشاي هذا**». وبقوله للأعمىٰ: «**قل: اللَّهمَّ إنِّي أتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّد نبيِّ الرَّحمة...**». إلخ.

قال السُّنِّيُّ: ممَّا يُؤسف له أنَّكم تبنون طريقكم علىٰ الآثار الموضوعة، والأحاديث الضَّعيفة، والمنامات المقلوبة.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: كلُّ ما ذكرت إمَّا موضوع أو لا أصل له، وإمَّا موجَّه إلىٰ معنىً غير الَّذي قصدت.

قال الصُّوفيُّ: وضِّح لي ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: أمَّا قولك عن رسول الله ﷺ: «**توسَّلوا بجاهي؛ فإنَّ جاهي عند الله عظيم**». فهذا لا أصل له، وانظر: «السِّلسلة الضَّعيفة» للعلَّامة الألبانيِّ رحمه الله تعالىٰ، رقم (٢٢).

أمَّا حديث: «**اللَّهمَّ إنِّي أسألك بحقِّ السَّائلين وبحقِّ ممشاي هذا**». فهو حديث ضعَّفه كثير من أهل العلم من عدَّة جهات، وفيه عطيَّة العوفيُّ، قال ابن حجر في «التَّقريب»: صدوق يخطئ كثيرًا كان شيعيًّا مدلِّسًا. «التَّقريب» (١/ ٣٩٣).

وعلىٰ فرض صحَّته ففيه أمران:

الأوَّل: أنَّ الله تعالىٰ لا يجب عليه حقٌّ لأحد إلَّا ما أوجب هو علىٰ نفسه وتفضَّل. قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

الثَّاني: أنَّ السَّائل إن ظنَّ أنَّه يقسم علىٰ الله تعالىٰ بالسَّائلين فهذا محرَّم؛ لأنَّ الله تعالىٰ لا يرضىٰ أن يُقسم عليه بذات مخلوق؛ لقوله في الحديث الَّذي رواه أحمد عن ابن عمر أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّهُ مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ دُونَ الله فَقَدْ أَشْرَكَ**».رواه أحمد في «المسند» (٣١١)، انظر: «السِّلسلة الصَّحيحة» للألبانيِّ (٥/ ٧٠)، أمَّا إذا فهم أنَّ سؤال الله تعالىٰ بحقِّ السَّائلين وبحقِّ الممشىٰ أنَّه سؤال الله تعالىٰ بشيء من صفاته الفعليَّة؛ فحقُّ السَّائلين: أن يجيب دعاءهم، فهو مجيب الدَّعوات وقاضي الحاجات، وحقُّ الممشىٰ: المثوبة من عنده، فهو المثيب لمن أطاعه فلا شيء في ذلك ولا حُجَّة فيه للمبتدعة، الَّذين يسألون بالذَّات،

فهذا ليس توسُّلًا بذات أحد ولا بجاهه، إنَّما هو توسُّل بصفات الله تعالىٰ الفعليَّة، كما في قوله في الحديث الصَّحيح: «**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**». رواه مسلم وغيره. انظر: كتاب: الصَّلاة (٤٨٦).

أمَّا حديث الأعمىٰ ودعاؤه: «**اللَّهمَّ إنِّي أتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّد نبيِّ الرَّحمة**»... إلخ.

فهذا الحديث ضعَّفه بعض أهل العلم وحسَّنه آخرون، ففيه اضطراب في المتن والسَّند، ويعرف ذلك أهل العلم بالحديث، وعلىٰ فرض صحَّته فغاية ما فيه أنَّ الصَّحابيَّ طلب من الله تعالىٰ أن يقبل منه شفاعة النَّبيِّ محمَّد ﷺ له، وقدَّم بين يدي ذلك الوضوء والصَّلاة؛ تقرُّبًا إلىٰ الله تعالىٰ أن يقبل دعاء النَّبيِّ ﷺ فيه، وهذا هو الشَّاهد من الحديث، ففي أوَّله قال له: «**ادعُ الله أن يعافيني**». وفي آخره قال: «**اللَّهمَّ فشفِّعه فيَّ**». وهذا تفسير قوله: «**إنِّي توجهت بك إلىٰ ربِّي**». أي: توسَّلت بدعائك.

وباستقراء السُّنَّة تبيَّن أنَّ هذا الموقف خاصٌّ بهذا الرَّجل فقط؛ وعليه فليس لغيره أن يستنَّ به، ولو كان الصَّحابة يفعلون ذلك لما بقي فيهم أعمىٰ.

ثمَّ إن قُدِّر أنَّ هذا ثابت فهو من المتشابه المحتمل، والواجب ردُّ المتشابه إلىٰ المُحكم البيِّن. والمُحكم يدور حول توحيد الله تعالىٰ بلا مراء.

وبمناسبة ذكر هذا الحديث فقد أخطأ بعضهم، فاقتبس من هذا الموقف سنَّة لكلِّ من أراد أن يدعو له أن يذهب فيتوضَّأ، ثمَّ يصلِّي ركعتين، يسأل الله تعالىٰ فيهما أن يستجيب له دعاء من يدعو له، وهذا تأصيل علىٰ غير وجه، فضلًا عن كونه تشريعًا لم يسبقنا إليه أحد من الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهذا الَّذي فعله الأعمىٰ كان أمرًا خاصًّا به لا ينازع في ذلك أحد.

قال الصُّوفيُّ: عندي حديث آخر ذكره الأئمَّة، إن دلَّ فإنَّما يدلُّ علىٰ أنَّ أمر التَّوصُّل بجاه سيِّدنا محمَّد ﷺ قديم.

قال السُّنِّيُّ: ما هذا الحديث؟

قال الصُّوفيُّ: لمَّا اقترف آدم الخطيئة قال: يا ربِّ أسألك بحقِّ محمَّد لما غفرت لي... إلخ. أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦١٥).

قال السُّنِّيُّ: هذا حديث موضوع. قال العلَّامة الألبانيُّ: موضوع ونقل تعليق الذَّهبيِّ عليه، وفيه قال الذَّهبيُّ: موضوع، وعبد الرَّحمن واهٍ، وعبد الله بن مسلم الفهريُّ لا أدري من هو. انظر: «الضَّعيفة» (١/ ٨٩).

قال الصُّوفيُّ: أتؤمن أنَّ آدم قال كلمات فتاب الله عليه؟

قال السُّنِّيُّ: نعم، أومن بذلك بنصِّ القرآن.

قال الصُّوفيُّ: إن لم تكن تلك الكلمات هي الَّتي ذكرتها فما هي إذن؟

قال السُّنِّيُّ: الكلمات هي قوله تعالىٰ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

قال ابن كثير في «التَّفسير» (١/ ٨١): قيل: إنَّ هذه الكلمات مفسَّرة بقوله تعالىٰ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

فهذه هي الكلمات الَّتي قالها آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومن قال غير ذلك فليُسنِد قوله إلىٰ من يُعتبر به في أخذ الحُجَّة، وإلَّا فقوله مردود عليه ولا حُجَّة فيه.

وعندي لك أيُّها الصُّوفيُّ فائدة مهمَّة:

قال الصُّوفيُّ: ما تلك الفائدة؟

قال السُّنِّيُّ: هذا الحديث مع ضعفه واستدلال الصُّوفيَّة به، إلَّا أنَّه يردُّ عليهم في قولهم: إنَّ محمَّدًا أوَّل خَلْق الله تعالىٰ.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: هذا واضح في قوله: «**وكيف عرفت محمَّدًا ولم أخلقه؟**».

قال الصُّوفيُّ: أيُّها السُّنِّيُّ لو بقيت معك إلىٰ آخر الحوار ربَّما تخرج روحي مع انتهاء هذا الحوار، فلو تركتني وشأني كي أستريح من عناء تلك الأدلَّة الشَّائقة الشَّائكة، فأنت تستدلُّ من أقوالنا علىٰ بطلان حججنا، في الحقيقة أنا لا أقدر علىٰ ذلك.

قال السُّنِّيُّ: أودُّ أن أُذكِّرك بالعهد الَّذي بيني وبينك علىٰ الصَّبر والرُّجوع إلىٰ الكتاب والسُّنَّة، وأنا أرىٰ أنَّك تريد أن تعرف الحقَّ، فلعلَّ الله تعالىٰ يشرح صدرك له.

قال الصُّوفيُّ: يعجبني إصرارك علىٰ مواصلة الطَّريق مع شدَّة زهدي فيك.

قال السُّنِّيُّ: إن زهدت فيَّ فلا تزهدنَّ في الكتاب والسُّنَّة، فهما العهد الَّذي أصَّلناه آنفًا، كي نرجع إليه عند الخلاف.

قال الصُّوفيُّ: نعم، أنا لا أزهد في الكتاب ولا في السُّنَّة.

قال السُّنِّيُّ: إذن نتوكَّل علىٰ الله وحده لنتُمَّ ما بدأناه.

قال الصُّوفيُّ: نعم، توكَّلنا علىٰ الله مدد يا بدويُّ، مدد يا أهل البيت، مدد يا أولياء الله الصَّالحين، الفاتحة للنَّبيِّ والمسلكين، توكَّلنا علىٰ الله.

قال السُّنِّيُّ: أيُّها الصُّوفيُّ كلَّما تخرج من مصيبة تدخل فيما هو أشدُّ منها.

قال الصُّوفيُّ: وما تلك المصيبة؟

قال السُّنِّيُّ: لعلَّك أنت الَّذي تريد منِّي أن أُفارقك، فأنت قد حملت جميع أوزار التَّصوُّف.

قال الصُّوفيُّ: وما تلك المصيبة؟

قال السُّنِّيُّ: أنت تطلب المدد من الأموات، والحقيقة الغائبة عنك أنَّ الأموات في حاجة إلىٰ الأحياء دون العكس، فالأموات لا يقدرون علىٰ مدِّ أحد بشيء، ثمَّ أنت متضارب فتارة تقول: توكَّلنا علىٰ الله. وتارة تقول: مدد يا بدويُّ. وهذه ضدُّ تلك، فالتَّوكُّل علىٰ الله تعالىٰ هو اعتماد القلب عليه وحده، والتَّوكُّل لا يجوز فيه المشاركة أبدًا؛ لأنَّه عمل القلب، والقلب لا

يقبل القسمة أبدًا، فلا يصحُّ أن أقول: «توكَّلت علىٰ الله ثمَّ فلان»، ولا أن أقول: «توكَّلت علىٰ الله وفلان».

قال الصُّوفيُّ: يا أستاذ يا سنِّيُّ، أنت تفهم المدد غلط.

قال السُّنِّيُّ: كيف ذلك؟

قال الصُّوفيُّ: دعني أُوضِّح لك الأمر. فنحن الصُّوفيَّة نرىٰ أنَّ الاستغاثة بوليٍّ من الأولياء من باب الأخذ بالأسباب، أو من باب الوسائل وليست من باب المقاصد.

قال السُّنِّيُّ: وضِّح كلامك.

قال الصُّوفيُّ: هذا كلام الشَّيخ عبد القادر عيسىٰ أحد أئمَّة الصُّوفيَّة في دمشق في كتاب «حقيقة التَّصوُّف» (ص٥٣٨): فإنَّ المريد إذا تعلَّق بشيخه وطلب المدد منه لا يكون قد أشرك بالله تعالىٰ؛ لأنَّه يلاحظ هنا السَّبب كما أوضحنا سابقًا، مع اعتقاده أنَّ الهادي والمُمدَّ هو الله تعالىٰ. انتهىٰ.

قال السُّنِّيُّ: هذا كلام مردود ومقلوب.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: لأنَّ هناك فرقًا بين المدعوِّ والمدعوِّ به، والمستغاث والمستغاث به، أو بمعنىٰ أدقَّ بين المستغاث به والمتوسَّل به، فيكف تجعل الاثنين شيئًا واحدًا؟

قال الصُّوفيُّ: وضِّح كلامك.

قال السُّنِّيُّ: يقول شيخ الإسلام تقيُّ الدِّين ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ: فإنَّ المستغيث بالشَّيء طالب منه سائل له، والمتوسَّل به لا يُدعىٰ ولا يُطلب منه ولا يُسأل، وإنَّما يُطلب به وحده، وكلُّ أحد يفرِّق بين المدعوِّ به والمدعوِّ. وقال أيضًا في ردِّه علىٰ البكريِّ:

إنَّه جعل المتوسَّل به بعد موته في دعاء الله مستغاثًا به، وهذا لا يُعرف في لغة أحد من الأمم، لا حقيقة ولا مجازًا، مع دعواه الإجماع علىٰ ذلك، فإنَّ المستغاث هو المسئول المطلوب منه، لا المسئول به. انظر: «غاية الأماني» (٢/ ٢٨٩، ٣٤٣).

فأنت أيُّها الصُّوفيُّ تقول: «مدد يا بدويُّ». فأصبح البدويُّ مطلوبًا وليس مطلوبًا به؛ وهذا شرك أكبر، وقد اتَّضح لك الأمر، فصاحب الشِّرك الأكبر إذا مات دون توبة منه دخل النَّار وخُلِّد فيها.

قال الصُّوفيُّ: طيِّب أنت تعترض علىٰ مدد فما المصيبة في المسلكين؟

قال السُّنِّيُّ: هل تعرف معنىٰ المسلكين أيُّها الصُّوفيُّ؟

قال الصُّوفيُّ: كنت عندما أصاحب شيخي في السَّفر يقول ذلك.

قال السُّنِّيُّ: إذن أنت لا تعرف المسلكين.

قال الصُّوفيُّ: لا، بل أعرف معناها.

قال السُّنِّيُّ: ما معناها؟

قال الصُّوفيُّ: اسمع أيُّها السُّنِّي: لقد وكَّل الله تعالىٰ لإدارة هذا الكون المتَّسع الفسيح أقطابًا كبارًا، منهم: البدويُّ، وأبو يزيد، والدُّسوقيُّ، والرِّفاعيُّ وغيرهم،

وهم سبعة أقطاب، وكَّلهم الله تعالىٰ بإدارة شئون الممالك، والقطب الغوث هو موضع نظر الله تعالىٰ في الأرض، وهو الغيَّاث باعتبار إغاثته للملهوفين وإجابته للمضطرين.

قال السُّنِّيُّ: **أوَّلًا**: لا يجيب دعاء المضطر أحد إلَّا الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]. لا أحد إلَّا الله تعالىٰ، **ثانيًا**: في الحقيقة أيُّها الصُّوفيُّ أنا أعرف ما تقول، وأعرف أنَّ مصطلح القطب من مصطلحات الشِّيعة والصُّوفيَّة، يريدون به من دار عليه الأمر وصار سيِّدًا علىٰ أهل زمانه، وهذا هو أعظم مفتريات الصُّوفيَّة، ويبنون عليه القول بالرَّجل المتمكِّن أو صاحب الوقت الَّذي يقول للشَّيء: كن. فيكون، وزعم ابن الملقن في «طبقات الأولياء» (ص٩٨، ٩٩) عن أحمد الرِّفاعيِّ قال: الشَّيخ من يمحو اسم مريده من ديوان الأشقياء.

ثمَّ قال: ودخل عليه شخص، وكان علىٰ جبهته مكتوب سطر الشَّقاوة، فمحي ببركته، وقال له رجل: ما صفة الرَّجل المتمكِّن؟ فقال: أن يُعطىٰ التَّصريف العامَّ في جميع الخلائق، وعلامته أن يقول لبقايا هذه الأسماك: قومي فاسعي. فتقوم وتسعىٰ. انتهىٰ.

وهذا الشَّاذليُّ: كان إذا ركب تمشي أكابر الفقراء، وأهل الدُّنيا حوله، وتُنشر الأعلام علىٰ رأسه، وتضرب الكوسات بين يديه، وينادي النَّقيب أمامه بأمره: من أراد القضب الغوث فعليه بالشَّاذليِّ. انتهىٰ.

قال الجرجانيُّ في «التَّعاريف» (٢/ ٢٢٧): القطب قد يُسمَّىٰ غوثًا باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الَّذي هو موضوع نظر الله في كلِّ زمان. انتهىٰ.

ويستندون علىٰ أقوال ضعيفة أو موضوعة كقولهم: إنَّ الله تعالىٰ قال: «**عبدي، أطعني أجعلك عبدًا ربَّانيًا، تقول للشَّيء: كن. فيكون**». وهذا افتراء علىٰ الله تعالىٰ؛ لأنَّه لا يقول للشَّيء: كن. فيكون إلَّا واحدٌ فقط، وهو الله تعالىٰ.

ومن ملاحدة الصُّوفيَّة من يدَّعي أنَّ الأقطاب مستقلُّون بالرُّبوبيَّة والملك والتَّدبير كما قال الجيليُّ في كتابه «الإنسان الكامل» (ص٢٢)، وقد شاركهم في ذلك أئمَّة الشِّيعة. فهذا الخمينيُّ في كتابه «الحكومة الإسلاميَّة» تحت عنوان: الولاية التَّكوينيَّة (ص٥٢) يقول: إنَّ للأئمَّة مقامًا محمودًا ودرجة سامية وخلافة تكوينيَّة، تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرَّات هذا الكون. انتهىٰ.

وهؤلاء الَّذين يعتقدون أنَّ شيوخهم أقطاب الكون، وأغواث الخلائق، والأمم استقلالًا عن الله تعالىٰ أو اشتراكًا قد برعوا في الافتراء علىٰ الله تعالىٰ، فلا متصرِّف في الوجود إلَّا الله تعالىٰ، والله تعالىٰ لا يعطي بواسطة، ومن اعتقد ذلك فقد كفر أو أشرك، فليس لله وزراء ولا معاونون، فهو وحده مغيث المستغيثين لا ندَّ له ولا شريك له.

قال الصُّوفيُّ: إذن أنت درست هذا الأمر؟

قال السُّنِّيُّ:لا شأن لك الآن درست أم لم أدرس، ولكن أجب علىٰ هذين السُّؤالين؟

قال الصُّوفيُّ: وما هما؟

قال السُّنِّيُّ: الأوَّل: لقد قسمتم الأقطاب علىٰ سبعة أقطاب فقط، يدور عليهم الأمر، ليس بينهم صحابيٌّ واحد، فهل تظنُّون أنَّ هؤلاء الَّذين سمَّيتموهم أفضل من صحابة رسول الله ﷺ؟

قال الصُّوفيُّ: أنت تُضيِّق عليَّ الأمر تمامًا. وما السُّؤال الثَّاني؟

قال السُّنِّيُّ: وما حاجة الله تعالىٰ بهؤلاء الأقطاب؟ أليس الله تعالىٰ يقدر أن يُقدِّر أمور الممالك، ويقوم علىٰ الحوائج، ويجيب المضطر؟

قال الصُّوفيُّ: نعم، الله يقدر علىٰ ذلك.

قال السُّنِّيُّ: إذن لماذا قلت: هذا الكون المتَّسع الفسيح؟

قال الصُّوفيُّ: أقصد أنَّ هؤلاء وكلاء لله تعالىٰ في هذا الأمر.

قال السُّنِّيُّ: قولك: «في هذا المتَّسع الفسيح». لا يُفهم منه إلَّا أنَّ الله تعالىٰ لا يقدر علىٰ تدبير أمر الكون بمفرده، بل لا بدَّ له من مشارك، وهذا المشارك هو القطب. وهذا الكلام متناقض مع ما قاله عبد القادر عيسىٰ: «أنَّكم في قولكم: «مدد يا بدويُّ». تلاحظون السَّبب، وتعتقدون أنَّ الهادي المُمدَّ هو الله». بل أنتم تعتقدون فيمن تطلبون منهم المدد، وإلا ما طلبتم منهم شيئًا.

قال الصُّوفيُّ: نحن نعتقد أنَّهم أقطاب يقومون علىٰ رعاية الخلائق بتقدير من الله تعالىٰ، ونوقن أنَّ من هؤلاء الأقطاب حاملي السِّرِّ من البُله والمجانين.

قال السُّنِّيُّ: أوَّلًا: البُله والمجانين قد رفع الله تعالىٰ عنهم التَّكاليف، فكيف يوكِّلهم بأمور غيرهم وهم لم يستطيعوا أن يقوموا بأمور أنفسهم؟ ثانيًا: وما الدَّليل علىٰ صحَّة هذا الكلام؟ من الَّذي سبقكم من أئمَّة السَّلف الصَّالح رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بذلك؟ هذه قضيَّة خطيرة، وهذا رجم بالغيب.

قال الصُّوفيُّ: هذا هو كلام مشايخي، وأنا لا أقدر علىٰ تكذيبهم.

قال السُّنِّيُّ: ولكن هذا كذب علىٰ الله تعالىٰ، وعلىٰ رسول الله ﷺ.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: أرجو أن تنتبه إلىٰ ذلك، فعندي ثلاث آيات أرجو أن تفقهها جيِّدًا، وتتدبَّر ما جاء فيها؛ لعلَّ الله يشرح صدرك للحقِّ.

قال الصُّوفيُّ: وما تلك الآيات؟

قال السُّنِّيُّ: قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وقوله ﷺ لكفَّار قريش: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣]. وقول الملائكة لإبراهيم ﷺ: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [هود: ٧٦].

قال الصُّوفيُّ: وماذا في تلك الآيات؟

قال السُّنِّيُّ: ألم يتَّضح لك منها شيء؟

قال الصُّوفيُّ: لم يظهر لي منها شيء.

قال السُّنِّيُّ: اسمع أيُّها الصُّوفيُّ، هذه الآيات تدفع مفهوم القطبيَّة الَّذي تؤمن به من جذوره.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: أمَّا الآية الأولىٰ من قوله تعالىٰ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ فقد نزلت بسبب ما استبعده النَّبيُّ ﷺ من هداية الَّذين كسروا رباعيته، وشجُّوا رأسه يوم أحد، ففيها تقريب للأمر، وأنَّ هداية الخلق ليست بيد النَّبيِّ ﷺ، إنَّما هي بيد الله تعالىٰ وحده، وقد ثبت ذلك بتوبة هؤلاء الَّذين كان يستبعد النَّبيُّ ﷺ توبتهم وهدايتهم. إذن لو كان محمَّد ﷺ يدبِّر أمر الخلائق أو له وكالة عليهم لدبَّر أمر هؤلاء، ولكن لَمَّا لم يكن له فيهم تدبير ولا وكالة دلَّ علىٰ أنَّ طلب الحوائج لا يكون من غير الله تعالىٰ، فلا مدد فيما لا يقدر عليه الخلائق إلَّا من الله تعالىٰ وحده؛ لأنَّه هو وحده المدبِّر. أمَّا الآية الثَّانية: فقد قيلت في معرض ما اشترطه كفَّار قريش علىٰ الرَّسول ﷺ؛ كي يدخلوا الإسلام: من تفجير الأرض بالماء إلىٰ إخراج الجنان وإسقاط السَّماء... إلخ.

﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ﴾ فرد عليهم قائلًا: ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣]. فالله تعالىٰ يقول له: قل لهم يا محمد: إنَّ هذه الأمور الَّتي طلبتموها منِّي إنَّما هي بقدرة الله تعالىٰ وحده، ولست أنا وكيلًا ولا مستقلًّا بالأمر، ولا بالفعل ولا بالتَّصريف.

أمَّا الآية الثَّالثة: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ﴾ [هود: ٧٦]. فذلك حين جادل إبراهيم ﷺ الملائكة في أمر لوط عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لَمَّا نزلت لإهلاك قومه: فقال لهم إبراهيم ﷺ: أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها؟ قالوا: لا. فقال إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عند ذلك: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ﴾ [العنكبوت: ٣٢]. قالوا: ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ [العنكبوت: ٣٢]. فسكت عنهم، واطمأنَّت نفسه. حكاه سعيد بن جبير. انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٥٢). فبيَّن الله تعالىٰ أنَّ ذلك الأمر ليس من شأن إبراهيم ﷺ ولا غيره، فإذا جاء أمر الله تعالىٰ فلا مردَّ له. فأين موقع الأقطاب من هذا؛ حتَّىٰ يكون لهم وكالة أو تصريف؟

قال الصُّوفيُّ: تقصد أنَّ الأقطاب ليس لهم طريق إلىٰ تدبير شئون الممالك، ولا وكالة لهم أبدًا.

قال السُّنِّيُّ: التَّدبير لله وحده وليس بين الله تعالىٰ وملائكته وزراء ولا معاونون، وليس بين الملائكة والخلائق وسطاء ولا أقطاب. انظر إلىٰ هذا الحديث فهو مهمٌّ جدًّا في بيان ذلك؛ لتعرف أنَّ أكذوبة الأقطاب مفتراة علىٰ الإسلام، ولا تروج إلَّا علىٰ السُّذَّج من النَّاس. عن أبي هريرة، يبلغ به النَّبيَّ ﷺ قال: «**إذا قضىٰ الله الأمر في السَّماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كالسِّلسة علىٰ صفوان**»، قال عليٌّ وقال غيره: صفوان، ينفذه ذلك فإذا فُزِّع عن قلوبهم، قالوا: «**ماذا قال ربُّكم، قالوا للذي قال: الحقُّ، وهو العليُّ الكبير**». رواه البخاريُّ.

هذا الحديث واضح، فالملائكة يأخذهم الفزع، فإذا زال الفزع، قالوا: «**ماذا قال ربكم**». فليس هناك أقطاب يصعقون أو يسمعون، إنَّما الملائكة تأخذهم الفزعة، فإذا أفاقوا أخبر بعضهم بعضًا فقط بها أمر الله، ثمَّ ينزلون إلىٰ الأرض؛ لينفذ فيها أمر الله تعالىٰ، فملك للنَّبات، وملك للأرواح، وملك للجبال، وملك لتصوير النُّطفة وكتابة المقادير، وملك لحفظ الإنسان أن يصيبه ما لم يُقدِّره الله تعالىٰ عليه.

يقول الإمام ابن القيِّم -رحمه الله تعالىٰ: وكلُّ حركة في السَّموات والأرض من حركات الأفلاك والنُّجوم والشَّمس والقمر والرِّياح والسَّحاب والنَّبات والحيوان فهي ناشئة عن الملائكة الموكَّلين بالسَّموات والأرض كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ [النازعات: ٥]. وقال تعالىٰ: ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾ [الذاريات: ٤]. وهي الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرُّسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ. «إغاثة اللَّهفان» (٢/ ١٧٠).

فالملائكة مسخَّرون لله تعالىٰ: ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧]. أي بأمر الله تعالىٰ وحده فقط يعملون لا بأمر غيره؛ فأين هم الأقطاب حينئذ؟ وأين هو الأمر الموجَّه للأقطاب؟ لو كان حقًّا لأخبرنا به الله تعالىٰ.

قال الصُّوفيُّ: لقد قطعت عليَّ الطَّريق.

قال السُّنِّيُّ: ولِمَ؟

قال الصُّوفيُّ: لأنَّني كنت سأكلِّمك عن الدِّيوان والحكومات الباطنيَّة الصُّوفيَّة.

قال السُّنِّيُّ: نعم، لهم ديوان كبير، يجتمع فيه الأولياء والأقطاب والأبدال والنُّجباء، في غار حراء؛ لإدارة شئون الكون، والتَّصرُّف في العوالم العلويَّة والسُّفليَّة والخواطر والحجب يوميًّا، في الثُّلث الأخير من اللَّيل، لغتهم السُّريانيَّة، فهم العالمون بأسرار الكون، وكلُّ ذرَّة في الوجود تخضع لهم وتدين بطاعتهم، وذلك كلُّه بأمر الغوث لا بأمر الله كما تزعمون، ويحضره النِّساء وصفوفهنَّ ثلاثة، ويحضره بعض الكُمَّل من الأحياء، ويكونون في الصُّفوف مع الأموات. وقد يقتل بعضهم بعضًا إذا غاب الغوث كما يقول الدَّبَّاغ في «الإبريز».. وهذا كلُّه عند ابن عربيٍّ هباء لا حقيقة له. فليس عنده أقطاب ولا حكومات، بل هو مبدأ عام يسري في الكون كلِّه، لا يختصُّ بمكان دون مكان، ولا حال دون حال.

قال الصُّوفيُّ: نعم، كنت سأذكر لك بعضًا من هذا.

قال السُّنِّيُّ: إنَّ طفلًا درس العقيدة على منهاج السَّلف الصَّالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يعرف أزمنة المقادير بالتَّفصيل لا يؤمن أنَّ لأحد من الأقطاب شيئًا في المشيئة والتَّدبير. فالتَّدبير كلُّه لله تعالىٰ.

قال الصُّوفيُّ: وما أزمنة المقادير؟

قال السُّنِّيُّ: التَّدبير الأوَّل، كان قبل خلق السَّموات والأرض بخمسين ألف سنة، وفي الصَّحيح عن عبد الله بن عمرو قال ﷺ: «**قدَّر الله المقادير قبل أن يخلق السَّماوات والأرض بخمسين ألف سنة**». رواه مسلم وغيره. والتَّدبير الثَّاني في يوم الميثاق حين مسح الله علىٰ ظهر آدم ﷺ واستخرج منه

ذرِّيَّته، وأخذ عليه العهد ألَّا يشركوا به شيئًا، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. والتَّدبير الحوليُّ هو الَّذي في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣-٤]. والتَّدبير اليوميُّ في قوله تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]. والتَّدبير العمريُّ هو الَّذي يُكتب في صحف الملائكة حين يدخلون إلىٰ رحم المرأة فيكتبون عمر الجنين ورزقه وعمله وشقي أم سعيد، وينفخ فيه الرُّوح كما في حديث ابن مسعود الَّذي رواه مسلم وغيره.

قال الصُّوفيُّ: كلام طيِّب وجميل.

قال السُّنِّيُّ: هل وجدت في هذا التَّدبير الَّذي أخذ الإنسان من أوَّل الأمر إلىٰ آخره شيئًا للأقطاب؟

قال الصُّوفيُّ: كلَّا لم أجد ولا حرفًا واحدًا عن الأقطاب.

قال السُّنِّيُّ: فالله قائم علىٰ كلِّ نفس بما كسبت، وكلُّ شيء قائم بالله تعالىٰ وحده، ولذا نحن نقول: «ما شاء الله وحده». ولا نقول: «ما شاء الله وشاء فلان».

قال الصُّوفيُّ: أنا أرىٰ إلىٰ الآن أنَّ التَّصوُّف بالنِّسبة لك صورة مظلمة تمامًا، ليس فيه شيء حسن.

قال السُّنِّيُّ: لو كان عند القائلين بالقطبيَّة حياء ما قالوا بهذا المصطلح.

قال الصُّوفيُّ: ولم ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: عندما تقرأ في ترجمة الشَّاذليِّ لابن العماد في «الشَّذرات» (٥/ ٢٧٩): وأخرجوه بجماعته من المغرب، وكتبوا إلىٰ نائب إسكندريَّة أنَّه يقدم عليكم مغربيٌّ زنديق، وقد أخرجناه من بلدنا فاحذروه. ثمَّ قال: ومات بصحراء عيذاب وهو قاصد الحجِّ عام (٦٥٦ هجريَّة)، ودفن هناك. انتهىٰ.

تتعجَّب أشدَّ العجب كيف لمَّا جاء إلىٰ مصر كما في «الشَّذرات» أيضًا (٥/ ٢٧٩): إذا ركب تمشي أكابر الفقراء، وأهل الدُّنيا حوله، وتنشر الأعلام علىٰ رأسه، وتضرب الكوسات بين يديه، وينادي النَّقيب أمامه بأمره: من أراد القطب الغوث فعليه بالشَّاذليِّ. انتهىٰ.

وكيف استطاع أن يستخفَّ بالنَّاس إلىٰ هذا الحدِّ، وهو مطرود مدحور، فلو كان قطبًا مغيثًا للخلائق كما ادَّعىٰ لنفسه لأقام علىٰ الأقل لنفسه سلطانًا علىٰ خصومه وأعدائه في بلاد المغرب في وسط قوم يعرفهم ويعرفونه، بدلًا من أن يأتي إلىٰ الإسكندريَّة متخفِّيًا في زيِّ النُّسَّاك لينشر فيها الفساد الَّذي عجز عن نشره وسط قومه. وليس وحده الَّذي طُرِد من المغرب، بل إنَّ أكثر من خرج من المغرب وسكن مصر أمثال: البدويِّ، والدُّسوقيِّ، والمرسيِّ وغيرهم خرجوا من المغرب منبوذين مكروهين.

واختيارهم الهجرة إلىٰ مصر في عهد الدَّولة الفاطميَّة الشِّيعيَّة يزيد من حدَّة الشُّكوك تجاه ما كانوا يضمرونه من السُّوء تجاه الإسلام والمسلمين من

أهل السُّنَّة فيها. فهذا يا صوفيُّ من أعظم الضَّلالات في التَّصوُّف، ولكن إذا كان التَّصوُّف مجرَّد زُهد وخلق وذكر مشروع فلا إنكار في ذلك، إلَّا أنَّ الإسلام في غنًى عن أسماء بديلة له كالتَّصوُّف وغيره، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨]. ولم يقل: «هو سماكم المتصوِّفين». ولكنَّ القضيَّة أن التَّصوُّف أيُّها الصُّوفيُّ لم يترك موضعًا للشُّبهات إلَّا ولج فيه.

قال الصُّوفيُّ: نحن طُرُق كثيرة وسجاجيد متعدِّدة، وأنتم قلَّة في كلِّ مكان، انظر إلىٰ مولد البدويِّ يحضره في العام ما يزيد علىٰ ثلاثة ملايين مريد، وأنتم في مساجدكم تعدُّون علىٰ أصابع اليد، ولا يخفىٰ عليك أنَّ أكثر العلماء من الصُّوفيَّة ويحضرون موالد الأولياء، وهذا دليل علىٰ صحَّة تلك الطُّرُق وعظم مكانتها في الدِّين.

قال السُّنِّيُّ: لا بدَّ أن تعرف أوَّلًا أنَّ كثرة الأتباع لا يدلُّ علىٰ رسوخ الحقِّ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]. والاحتجاج بالكثرة ليس من دين النَّبيِّين، وإنَّما هو من دين المشركين، كما حكىٰ الله تعالىٰ عنهم في كتابه: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥]. ولكن لتعلم: الحقُّ لا يُعرف بالرِّجال، وإنَّما يُعرف الرِّجال بالحقِّ. فإنَّ النَّبيَّ يأتي يوم القيامة ولا يكون معه أحد، ويأتي النَّبيُّ ومعه الرَّجل، ويأتي النَّبيُّ ومعه الرَّجلان كما في الصَّحيح عنه ﷺ

فقلَّة الأتباع لا تطعن في النَّبيِّ ولا في رسالته. فهذا نوح ﷺ لبث في قومه ألف سنة إلَّا خمسين عامًا فما آمن معه إلَّا قليل... إلخ. فإن كنت تتفاخر بكثرة الطُّرق، فكثرة الطُّرق دليل علىٰ بطلانها.

قال الصُّوفيُّ: فالكلُّ من رسول الله ملتمس؟

قال السُّنِّيُّ: هذه الطُّرق يا صوفيُّ متشعِّبة، والحقُّ واحد؛ فكيف تكون من الرَّسول ﷺ ملتمسة؟ فهل جاء الرَّسول ﷺ بعدة طُرُق؟ كلَّا، إنَّما هو طريق واحد.

قال الصُّوفيُّ: وما وجه البطلان بالضَّبط؟

قال السُّنِّيُّ: يقول مُطرِّف بن الشِّخِّير: لو كانت هذه الأهواء كلُّها هوًىٰ واحدًا لقال القائل: الحقُّ فيه، فلمَّا تشعَّبت واختلفت، عرف كلُّ ذي عقل أنَّ الحقَّ لا يتفرَّق. «المنتقىٰ من شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة» اللَّالكائيُّ (ص٥٠).

وهذا تراه عند غلاة الصُّوفيَّة، فما من شيء إلَّا وهم فيه متفرِّقون مضطربون، لتعدد مشاربهم، وتنوُّع مدارسهم وشيوخهم، وهذا لا يخفىٰ علىٰ اللَّبيب، وقد نهىٰ الله تعالىٰ عن اقتفاء آثار الشَّياطين، وتتبُّع خطواتهم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩]. وكذلك نهىٰ النَّبيُّ ﷺ عن تتبُّع خطوات الشَّياطين، وبيَّن أنَّها صُرُط متعدِّدة، فقال فيما رواه أحمد وغيره عن عبد الله بن مسعود: قال: خطَّ لنا

رسول الله ﷺ خطًّا ثمَّ قال: «**هذا سبيل الله**». ثمَّ خطَّ خطوطًا عن يمينيه وعن شماله ثمَّ قال: «**هذه سبل**». قال يزيد: «**متفرِّقة علىٰ كلِّ سبيل منها شيطان يدعو إليه**». ثمَّ قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. رواه أحمد وغيره.

وأمر بمخالفة المشركين والمجوس واليهود والنَّصارىٰ، ونهىٰ عن التَّشبُّه بهم وولايتهم، كما ثبت في صحيح السُّنن. ومع ذلك جالس الصُّوفيَّة أهل الأهواء والبدع؛ حتَّىٰ تمكَّنت الخيالات من رءوسهم، والأهواء من أسماعهم وقلوبهم؛ فتركوا السُّنن والآثار، وجاءوا بما نأىٰ عنه كفَّار قريش واليهود والنَّصارىٰ. وهذا في حدِّ ذاته دليل علىٰ بطلان مذاهبهم، وفساد طرائقهم؛ وذلك لأنَّ الحقَّ واحد لا يتغيَّر، أمَّا طالما تفرَّق وتشعَّب فهذا دليل علىٰ سقوطه وهوانه.

أما ما ذكرت من أمر العلماء فأنا لا أُقلِّل من قدر العلم ولا العلماء، ولكن إذا كنت تستدلُّ بالرِّجال علىٰ صحَّة الطُّرُق فهذا غير صحيح؛ لأنَّ الحقَّ لا يُعرَف بالرِّجال، إنَّما يُعرَف الرِّجال بالحقِّ، أمَّا إذا كنت لا تستطيع أن تُميِّز بين الحقِّ والباطل إلَّا بالرِّجال كشأن عامَّة النَّاس، فاعلم أنَّ علماء الأزهر كانوا من ألدِّ أعداء الطُّرُق الصُّوفيَّة.

قال الصُّوفيُّ: الأزهر!!

قال السُّنِّيُّ: نعم الأزهر، فالأزهر علم شريعة، والتَّصوُّف علم باطنيٌّ. والاثنان متضاربان حتمًا.

قال الصُّوفيُّ: متىٰ ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: يقول د/ زكي مبارك في كتاب «التَّصوُّف» (ص٢٠٧): فالأزهر لا يريد أبدًا نشر الثَّقافة الصُّوفيَّة، ثمَّ قال: وقد حدث في العام الماضي سنة (١٣٥٤هـ) أن فكَّرت مشيخة الأزهر في مقاومة التَّصوُّف مقاومة رسميَّة، وكتب فضيلة الأستاذ الأكبر الشَّيخ محمَّد مصطفىٰ المراغيُّ كتابًا في ذلك إلىٰ وزير الأوقاف السَّابق سعادة عبد العزيز بك محمَّد، ولكن وقع أن ردَّ عليه السَّيِّد عبد الحميد البكريُّ بجواب فيه عنف، وكانت هذه المصاولة إحياء للاصطدامات القديمة بين الشَّريعة والحقيقة. انتهىٰ.

وقد بيَّن الشَّيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السَّابق أنَّ انتشار البدع في بلاد المسلمين بدأ عن طريق التَّصوُّف فقال في كتاب «أسباب البدع» (ص٤٥): يرجع ذيوع البدع وانتشارها بين النَّاس إلىٰ أمرين شديدي الخطر علىٰ سلامة الدِّين من التَّحريف والزِّيادة والنَّقص: أوَّلهما: اعتقاد العصمة في غير المعصوم. والآخر: التَّهاون في بيان الشَّريعة علىٰ الوجه الَّذي به نقلت عن الرَّسول ﷺ.

وكثيرًا ما ترىٰ الأوَّل فيمن ينتسبون إلىٰ طرق التَّصوُّف، وأنَّهم يقرءون عن شيخ طريقتهم شيئًا من الأحوال، الَّتي تنافي الأحكام الشَّرعيَّة، فيعتقدون أنَّها من التَّشريع الَّذي خصَّ الله به عباده المقرَّبين، وأنَّ شيخهم لا يفعل إلَّا حقًّا، ولا يقول إلَّا صدقًا، والفقه للعموم وهذه طريقة الخصوص، فيتَّبعونه في كلِّ ما يؤثر عنه من قول أو فعل علىٰ أنَّه الطَّريق المقرِّب إلىٰ الله الموصِّل إلىٰ رضاه. انتهىٰ.

وقال الشَّيخ محمَّد حسنين مخلوف في مقدِّمة كتاب «رسالة المسترشدين»: وهناك تصوُّف زائف انتحله قديمًا فئام من النَّاس، أُشربوا تعاليم الباطنيَّة الحلوليَّة، وتدثَّروا بدثار الصُّوفيَّة اجتذابًا للعامَّة، وتغريرًا وخداعًا وتلبيسًا. ودسُّوا في التَّصوُّف إلحادهم ومقالتهم الشَّنيعة في الدِّين إضلالًا للمسلمين...

إلىٰ أن قال: وقد كشف خبثهم، وفنَّد مزاعمهم وأبطل تصوُّفهم كثير من الأئمَّة، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيميَّة والإمام ابن القيِّم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. انتهىٰ.

قال الصُّوفيُّ: لا يُعرف الحقُّ بالرِّجال، ولكن يُعرف الرِّجال بالحقِّ، هذه كلمة كبيرة المقام، ولكنِّي في حيرة من أمري، ربَّما أنَّ عقلي لا يقدر علىٰ التَّمييز بين تلك القضايا وفهم هذه الخلافات. إنَّا لله وإنا إليه راجعون.

قال السُّنِّيُّ: ولم يعد عقلك يفقه لماذا اختارت فرق الصُّوفيَّة أن يكون لها مشيخة مستقلَّة عن مشيخة الأزهر.

قال الصُّوفيُّ: ولماذا؟

قال السُّنِّيُّ: لا بدَّ أنَّ العداء أو بعض الفوارق المنهجيَّة لا تتيح لمشيخة الصُّوفيَّة أن تخضع لسلطان الأزهر.

قال الصُّوفيُّ: إذن التَّصوُّف له استقلاله عن الجميع، ولو كان هذا الجميع يمثِّل الإسلام أو شيئًا منه.

قال السُّنِّيُّ: مع كونكم مختلفين فيما بينكم إذ بلغتم خمسة آلاف طريقة؛ منها في مصر سبعون طريقة، كلُّها تبغض بعضًا وتنكر علىٰ بعض بما لا يخفىٰ علىٰ القاصي والدَّاني.

قال الصُّوفيُّ: نعم، هناك اختلاف كبير...

قال السُّنِّيُّ: إذن فاحذر نهايات تلك الطُّرق المبتدعة المختلفة وأصحابها.

قال الصُّوفيُّ: ما نهايات أصحاب الطُّرق؟

قال السُّنِّيُّ: إنَّ سوء خاتمة المرء تدلُّ علىٰ فساد منهجه وقبح طريقه، واسمع إلىٰ ما قاله الشَّيخ إبراهيم الجعبريُّ عن ابن عربيٍّ وابن الفارض: رأيت في منامي ابن عربيٍّ وابن الفارض، وهما شيخان أعميان يمشيان ويتعثَّران، ويقولان كيف الطَّريق؟ أين الطَّريق؟ (ف: ٢/ ٢٤٦). نعوذ بالله من الخذلان ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

قال الصُّوفيُّ: نحن لسنا من أتباع ابن عربيٍّ ولا ابن الفارض، فهما كما تعلم ليس لهما شيوخ، هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ فإنَّهما قالا أقوالًا تخالف صريح الإسلام.

قال السُّنِّيُّ: نعم، ولكن لغالطي التَّصوُّف عمومًا نهايات سيِّئة.

قال الصُّوفيُّ: أراك حزينًا علىٰ هذا التَّشرذم الحاصل في الأُمَّة الإسلاميَّة؟

قال السُّنِّيُّ: إنَّ الَّذي يخفىٰ عليك أيُّها الصُّوفيُّ أنَّ التَّصوُّف هو الصُّورة الحقيقيَّة للتَّشرذم، وهو الَّذي أرخص الأمَّة الإسلاميَّة لأعدائها علىٰ مرِّ الزَّمان، واقرأ التَّاريخ جيِّدًا لترىٰ ماذا قدَّم الصُّوفيَّة للاستعمار في بلاد المسلمين -وقد بيَّنت ذلك في كتابنا «موازين الصُّوفيَّة في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، فارجع إليه إذا أردت الكفاية في ذلك الأمر- والتَّصوُّف في حقيقته صورة من صور التَّشيُّع الَّذي أُقيم علىٰ حرب السُّنَّة وأهلها، بل الإسلام وأهله.

قال الصُّوفيُّ: كيف يكون ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: الشِّيعة لَمَّا أرادوا أن يتكلَّموا مع أهل السُّنَّة بمعتقداتهم الفاسدة المكذوبة علىٰ العقل والشَّرع وجدوا الطَّريق وعرًا؛ فاخترعوا التَّصوُّف بديلًا عن التَّشيُّع؛ ليروج ذلك علىٰ أهل السُّنَّة؛ فيتيسَّر لهم نشر معتقداتهم دون نكارة وغرابة؛ ويظهر الفساد في الإسلام ومن ثَمَّ إذلال المسلمين، وتسلُّط أعدائهم عليهم، وهذا كلُّه حقد من الفرس علىٰ العرب والمسلمين.

وتتبلور معتقدات الشِّيعة في الغلوِّ في شرك العبادة، والقول بالأقطاب والقول بالعصمة، والقول بالتَّقيَّة، والقول بانتقال النُّور الإلهيِّ في أصلاب الأئمَّة أبناء عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وعند الشِّيعة موالد وأيَّام مبتدعة، وهذا كلُّه بحدِّه وحديده عند غلاة الصُّوفيَّة.

قال الصُّوفيُّ: إذن أنت تنكر أنَّ محمَّدًا ﷺ خُلِق من نور الله تعالىٰ، وأنَّ الله تعالىٰ خَلَق السَّموات والأرض من أجل محمَّد ﷺ، هذا هو الَّذي أعرفه، فإنَّ الله تعالىٰ قبض قبضة من نوره، وقال لها: «**كوني محمَّدًا**»؛ ففاض من نور محمَّد علىٰ كلِّ الأنبياء منذ خلق السَّموات والأرض إلىٰ أن بُعث النَّبيُّ ﷺ. وأنَّ هذا النُّور ينتقل في أصلاب الأئمَّة، فالخليفة عندنا لا بدَّ أن يرجع نسبه إلىٰ الرَّسول ﷺ.

قال السُّنِّيُّ: نعم يدَّعي الصُّوفيَّة أنَّ الله تعالىٰ خلق السَّموات والأرض من أجل محمَّد ﷺ بحديث لا أصل له وفيه: «**لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك**».

قال الصُّوفيُّ: وهل عندك اعتراض علىٰ ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: أيُّها الصُّوفي: ما خلق الله تعالىٰ السموات والأرض من أجل أحد من خلقه، وإنَّما خلقهما ليعرف الخلائق سعة علم الله تعالىٰ وعظيم قدرته، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]. ومقتضىٰ تلك المعرفة تتحقَّق في إفراد الله تعالىٰ بالعبادة. قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فما خلقت آية في الكون لأحد من الخلائق، وإنَّما خلقت تخويفًا وسبيلًا لمعرفة الله تعالىٰ وعبادته، فلمَّا كسف الشَّمس عقب موت إبراهيم قال النَّاس: إنَّ الشمس كسفت حزنًا علىٰ موت إبراهيم؛ فقال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ الشَّمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته، إنَّما يخوِّف الله بهما عباده، فإذا رأيتموهما فصلُّوا**». متَّفق عليه.

أمَّا قول الصُّوفيَّة: «إنَّ الله قبض قبضة من نوره وقال لها كوني محمَّدًا».

قال ابن تيميَّة في «الفتاوىٰ» (١٨/ ٣٦٧): ما ذكر من أنَّ الله قبض من نور وجهه قبضة ونظر إليها فعرقت ودلقت، فخلق من كلِّ قطرة نبيًّا، وأنَّ القبضة كانت هي النَّبيُّ ﷺ، وأنَّه بقي كوكبًا درِّيًّا؛ فهذا أيضًا كذب باتِّفاق أهل المعرفة بحديثه ﷺ. انتهىٰ.

ولو كان محمَّد ﷺ مخلوقًا من نور الله تعالىٰ المضاف إليه أو من النُّور الَّذي هو من خلقه فما الضَّرورة في عدم الإشارة إلىٰ ذلك حين قال النَّبيُّ ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجانُّ من مارج من نار، وخلق آدم ممَّا وُصف لكم**». رواه مسلم برقم (٢٩٩٦)، وأحمد في مسند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

إنَّ أهل السُّنَّة لا يعرفون أنَّ الله تعالىٰ خلق محمَّدًا ﷺ من نوره ولا من أيِّ نور، وإنَّما الَّذي يعرفون أنَّ محمَّدًا ﷺ أشرف مخلوق كُتِب في الوجود علىٰ الإطلاق، وذلك لما رواه أحمد عن ميسرة الفجر قال: يا رسول الله! متىٰ كُتِبتَ نبيًّا. قال: «وآدم بين الرُّوح والجسد». انظر: «صحيح الجامع» (٤٥٨١). وإنَّ العجيب الَّذي خفي عليكم أنَّ الله تعالىٰ لم يجعل الرُّسل من الملائكة.

قال الصُّوفيُّ: ذلك حتَّىٰ لا يلتبس الأمر علىٰ النَّاس.

قال السُّنِّيُّ: إذا أرسل الله رسلًا من الملائكة أدَّىٰ ذلك إلىٰ التباس الأمر علىٰ النَّاس، فماذا إذا كان الرَّسول جزءًا من نور الله تعالىٰ؟

قال الصُّوفيُّ: إن لم يكن محمَّد من نور الله فهو نور عرش الله.

قال السُّنِّيُّ: قولكم: إنَّ محمَّدًا ﷺ نور عرش الله تعالىٰ سفه عقول؛ لأنَّ هذا معناه أنَّ العرش كان مظلمًا قبل خلق محمَّد ﷺ.

ثانيًا: ومعناه أيضًا أنَّ نور محمَّد ﷺ أقوىٰ من نور الله تعالىٰ، إذ الأولىٰ أن تضفي آثار أنوار الله تعالىٰ علىٰ العرش، بل علىٰ السَّموات والأرض.

ثالثًا: أنَّ محمَّدًا ﷺ لم يكن يضيء الغرفة الَّتي كان ينام فيها، فكيف يضيء العرش الَّذي تعتبر المخلوقات جميعًا بالنِّسبة له كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض.

رابعًا: أن لا دليل علىٰ هذا الكلام من الكتاب ولا من السُّنَّة.

قال الصُّوفيُّ: وما المقصود بقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

قال السُّنِّيُّ: المقصود من ذلك النُّور هو نور الهدىٰ والإيمان، والحكمة الَّتي أُنزلت علىٰ النَّبيِّ ﷺ مع القرآن الكريم، والدَّليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا۟ النُّورَ الَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. فلم يكن محمَّد نورَ العرش، ولا نورَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. فاللَّهمَّ نوِّر قلوبنا بهداك يا ربَّ العالمين.

قال الصُّوفيُّ: إذن أنت تعترض علىٰ الشِّيعة وعلىٰ غلاة الصُّوفيَّة، القائلين بحلول نور الله تعالىٰ في آدم وفي ذرِّيَّة عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

قال السُّنِّيُّ: هذا هو مبدأ القول بالحلول عند غلاة الشِّيعة الرَّوافض والصُّوفيَّة، فهم يقولون: إنَّ الله تعالىٰ يحلُّ في جسد المقرَّبين إليه من أوليائه، خُصَّ بذلك عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وذرِّيَّته، وهذا كذب علىٰ الله تعالىٰ ورسوله ﷺ، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]. فالله تعالىٰ أكبر وأعلىٰ وأجلُّ من أن يحلَّ في أحد من مخلوقاته، وكيف يحلُّ فيه والكلُّ في قبضته يوم القيامة؟ قال تعالىٰ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَالسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

قال الصُّوفيُّ: لكنَّ بعض شيوخنا الكبار يستدلُّون بقول الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]. وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]. علىٰ صحَّة هذا المعتقد.

قال السُّنِّيُّ: هذا معتقد الحسين بن منصور الحلَّاج، واستدلالهم بهذه الآيات دليل علىٰ جهلهم بالدِّين من وجهين:

وجه: أنَّ الرُّوح مربوبة مخلوقة حادثة بإجماع المسلمين، ولم يقل أحدٌ من أئمَّة المسلمين أنَّها أزليَّة قديمة.

ووجه: أنَّ المضاف إلىٰ الله تعالىٰ قسمان: أحدهما: مضاف إليه إضافة الصِّفة إلىٰ الموصوف، وهذا المضاف قائم بالله تعالىٰ؛ كعلم الله، وقدرة الله، ووجه الله، ويد الله، وعين الله، فهذه كلُّها صفات لله تعالىٰ ليست مستقلَّة ولا منفصلة عنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وثانيهما: مضاف إلىٰ الله تعالىٰ إضافة ملك وتشريف وتخصيص؛ كأرض الله، وعبد الله، وبيت الله، فلا شكَّ أنَّ هذه الأشياء مستقلَّة منفصلة بذاتها عن الله تعالىٰ.

وبتطبيق تلك القاعدة علىٰ الرُّوح نجد أنَّ الرُّوح من المعاني المضافة إلىٰ الله تعالىٰ إضافة ملك وتخصيص، لا إضافة صفة إلىٰ موصوف.

أمَّا قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]. فالمعنىٰ أنَّها جاءت بأمر الله تعالىٰ وليست هي ذات الأمر، وقد وضَّح ذلك شيخ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ- في «الفتاوىٰ» (١٩/ ٢٩١) قائلًا: وقد يُعبَّر بلفظ المصدر عن المفعول به، فيُسمَّىٰ المعلوم عِلمًا والمقدور قدرة، والمأمور به أمرًا، والمخلوق بالكلمة كلمة، فيكون ذلك مخلوقًا كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]. انتهىٰ.

قال الصُّوفيُّ: هذا كلام معقَّد أيُّها السُّنِّيُّ.

قال السُّنِّيُّ: ولكنَّه يسير علىٰ من يسَّره الله تعالىٰ عليه.

قال الصُّوفيُّ: معنىٰ ذلك أنَّك تنكر أنَّ رسول الله ﷺ أوَّل خلق الله تعالىٰ!

قال السُّنِّيُّ: لقد صرت تسأل كثيرًا أيُّها الصُّوفي؛ فيا ليتك تنتفع بتلك الأجوبة.

قال الصُّوفيُّ: إنَّ هذا المنهج السَّلفيَّ الَّذي تنطلق منه أفكارك قد علَّمني الصَّبر الشَّديد، ولعلَّ الله يلهمني التَّوفيق بالصَّبر معك. فأنت تريد ألَّا تحكَّ أظافرك إلَّا بأثر ودليل.

قال السُّنِّيُّ: هذا هو الحقُّ، ولا بدَّ من الدَّليل، فأنت بخير ما سألت عن الدَّليل، ولذا فاسمع أيُّها الصُّوفيُّ: لم يكن نبيُّنا محمَّد ﷺ أوَّل مخلوق خلقه الله تعالىٰ، بل الثَّابت خلاف ذلك، روىٰ البخاريُّ وغيره من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: قال النَّبيُّ ﷺ: «**كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه علىٰ الماء، وكتب في الذكر كل شيء**». فهذا الحديث كما بين أهل العلم يدل علىٰ ترتيب الموجودات في هذا الوجود. الماء العرش القلم. هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ فقد كان النَّبيُّ ﷺ يقول: «**خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلىٰ أن ولدني أبي وأمِّي، لم يصبني من سفاح الجاهليَّة شيء**». حديث حسن. انظر: «صحيح الجامع» رقم (٣٢٢٥). فلم يقل: أنا أوَّل الأنبياء في الخلق كما يفتري الصُّوفيَّة.

قال الصُّوفيُّ: باعتبارك علىٰ دراية بالتَّصوُّف، فهل من الممكن أن تخبرني لماذا يعتقد الصُّوفيَّة أنَّ محمَّدًا أوَّل خلق الله تعالىٰ، بالرُّغم من مخالفة ذلك للنَّقل والعقل؟

قال السُّنِّيُّ: هذا سؤال جيِّد جدًّا، وللجواب علىٰ ذلك أقول: إنَّهم أرادوا أن يقولوا: إنَّ محمَّدًا ﷺ هو الَّذي أمدَّ الأنبياء من نوره وفيوضاته. أو أنَّه جزء من الله تعالىٰ. أمَّا أنَّه جزء من نور الله تعالىٰ فهذا ضلال مبين، أمَّا أنَّه كان يمدُّ الأنبياء من نوره وهو متأخِّر عنهم فهذا من الانتكاس في العقل؛ إذ كيف يمدُّ المتأخِّر المتقدِّم، فضلًا أنَّه ﷺ لم يكن يعرف الأنبياء جميعًا حتَّىٰ يكون ممدًّا لهم، قال تعالىٰ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]. والصُّوفيَّة يزعمون في حديث التَّوسُّل الموضوع أنَّ الله تعالىٰ قال لآدم: «**وكيف عرفت محمَّدًا ولم أخلقه بعد**». فلمَّا خلق الله تعالىٰ آدم لم يكن محمَّد موجودًا حينئذ.

قال الصُّوفيُّ: أنا أعرف أيُّها السُّنِّيُّ أنَّك لا تُصلِّي في المساجد الَّتي بها قبور الأولياء!

قال السُّنِّيُّ: نعم، لا أُصلِّي فيها. وكيف أُصلِّي فيها والإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو الإمام الظَّاهر بشهادة الأئمَّة يرىٰ بطلان الصَّلاة في المساجد الَّتي بها قبور لقوله ﷺ: «**لعنة الله علىٰ اليهود والنَّصارىٰ؛ اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». يُحذِّر ما صنعوا. متَّفق عليه.

قال الصُّوفيُّ: وكيف لا تصلِّي فيها مع ما فيها من رحمة وبركة عظيمة جدًّا؟ أرجو ألَّا تفوتك، ولعلَّك تنتفع بها أكثر من غيرك؛ لما عندك من اطِّلاع ودراسة.

قال السُّنِّيُّ: مع ثبوت هروبك ممَّا كنَّا نتكلَّم فيه، ولم تقرَّ ولم تنفِ، ولكنِّي سأجيبك: اعلم أيُّها الصُّوفيُّ أنَّ تلك المساجد بُنيت علىٰ معصية الله تعالىٰ ومخالفة أمره تعالىٰ.

قال الصُّوفيُّ: الله تعالىٰ لم ينه عن بناء المساجد علىٰ القبور. بل حضَّ علىٰ ذلك كما في قوله تعالىٰ عن أهل الكهف: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [الكهف: ٢١].

قال السُّنِّيُّ: لقد أمر الله تعالىٰ ببناء المساجد ورفعها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ولم يأمر ببناء المشاهد ولا برفع المقابر، قال تعالىٰ: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ [النور: ٣٦]. ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٧]. ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٨]. ولم يقل: في مشاهد أذن الله أن تُرفع، ولا قال: إنَّما يعمر مشاهد الله. هذا إضافة إلىٰ أنَّ النَّبيَّ ﷺ أمر بألَّا يُبنىٰ المسجد علىٰ القبر ولا يدخل القبر علىٰ المسجد، فقال ﷺ في آخر وصاياه، وقد علم أنَّه مرتحل، فخشي علىٰ الأُمَّة أن يصيبها ما أصاب الأمم السَّابقة من شرك ووهن: «**لعنة الله علىٰ اليهود والنَّصارىٰ، اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». يُحذِّر ما صنعوا. متَّفق عليه. فأراد أن يوصي وصيَّة يعضُّون عليها بالنَّواجذ فلا يضلُّوا أبدًا، فحفظ أهل السُّنَّة وصيَّة رسول الله ﷺ فنجوا، ولكنَّ الصُّوفيَّة وأهل البدع لم يحفظوا الوصيَّة ولم يعبئوا بها فضلُّوا وأضلُّوا. وذلك لأنَّهم استدلوا بهذه المتشابهات كالآية الَّتي ذكرتها من قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ

﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١]. وهذا الفهم مردود من وجهين:

الأوَّل: أنَّ النَّبيَّ ﷺ بيَّن أنَّ فعل الأمم السَّابقة ببناء المساجد علىٰ القبور منسوخ بشريعته للحديث السَّابق.

الثَّاني: أنَّ الَّذين بنوا المسجد علىٰ أهل الكهف كما في الآية هم الَّذين غلبوا من الأمراء والسَّلاطين، أمَّا أهل العلم فلم يكن لهم غلبة في ذلك، وهذا هو قول المفسِّرين؛ وعليه فلا حجَّة فيها فعله السَّلاطين إذا خالفوا أهل العلم. فهذه المواضع أيُّها الصُّوفيُّ مواضع لعنة، فكيف تقول: إنَّها مواضع رحمة!!

قال الصُّوفيُّ: ولكنِّي أستشعر راحة شديدة إذا ذهبت إلىٰ تلك المساجد.

قال السُّنِّيُّ: الرَّاحة لها أسبابٌ؛ منها ما هو من الإيمان والسُّنَّة، ومنها ما هو من الكفر والبدعة، فهناك راحة صادقة، وهناك راحة كاذبة.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: أوَّلًا لمَّا كان الطَّلب من غير الله، والاستعاذة، والخشية، والمحبَّة، والخوف من غير الله تعالىٰ عند تلك المواضع ممَّا يرضي الشَّيطان وأعوانه قام الشَّيطان برفع يده عن روَّاد تلك الأماكن؛ حتَّىٰ يستشعروا الرَّاحة فيها؛ فيظنُّوا أنَّها رحمة وبركة، وهي بخلاف ذلك. هذه واحدة، أمَّا الثَّانية: فلو أنَّك تدبَّرت قوله تعالىٰ: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣]. لعلمت حقيقة تلك الرَّاحة. قال قتادة: أُشربوا حبَّه حتَّىٰ خلص ذلك إلىٰ قلوبهم.

«تفسير الطَّبريِّ» (١/ ٤٢٢). والمعنىٰ أنَّه تغلغل في دواخلهم حتَّىٰ صار له ذوق، ولذَّة ظاهرة، ولكنَّها لذَّة مؤقَّتة؛ يعقبها ألم وحسرة، لا تُصلح دينًا ولا دنيا.

فإنَّ الزَّاني يزني ويجد لذلك لذَّة، فهل تبرِّر تلك اللَّذَّة فعلته الشَّنيعة؟ كلَّا. والسَّارق يسرق ويجد لاقتناء الأموال المسروقة لذَّة وفرحة، فهل تبرِّر تلك اللَّذَّة ما فعله من السَّلب والنَّهب؟ كلَّا. لأنَّها مخالفة للشَّريعة، ثمَّ لِمَا يعقبها من حسرة وألم، فلو فرض وجود لذَّة في تلك المواضع فلا يمكن أبدًا أن تكون دليلًا علىٰ جواز بناء المساجد علىٰ المقابر ولا الصَّلاة فيها؛ لأنَّ الشَّرع نهىٰ عن ذلك، فلا يعتدُّ حينئذ بالأذواق ولا بالمشاعر. فهناك ضوابط تبيِّن صدق اللَّذة والفرحة: منها صحَّة التَّوحيد وقوَّة الإخلاص، ومنها صدق النِّيَّة والعزيمة، ومنها حسن الاتِّباع.

قال الصُّوفيُّ: ولكنَّك تعلم أنَّ النَّبيَّ ﷺ دُفن في مسجده؟ وهذه حجَّة عظيمة علىٰ من ينكر دفن أولياء الله الصَّالحين في المساجد.

قال السُّنِّيُّ: عندي لك سؤال؟

قال الصُّوفيُّ: ما هو؟

قال السُّنِّيُّ: هل أوصىٰ النَّبيُّ ﷺ أن يدفن في مسجده الشَّريف؟

قال الصُّوفيُّ: كلَّا. لم يوصِ بذلك.

قال السُّنِّيُّ: كان من الواجب أن تسأل نفسك: أين دُفِن؟

قال الصُّوفيُّ: دُفِن في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قال السُّنِّيُّ: جميل جدًّا، فلقد رجعت عن قولك؛ وكان من الواجب عليك أن تسأل كيف دخل بيت النَّبيِّ ﷺ مسجده الشَّريف؟ ولا تقل: إنَّه دُفن في المسجد. فهذا تدليس علىٰ الأُمَّة.

قال الصُّوفيُّ: إذن أخبرني كيف دخل البيت المسجد؟

قال السُّنِّيُّ: دخل بيت النَّبيِّ ﷺ الَّذي دُفِن فيه المسجد الشَّريف في زمن الوليد بن عبد الملك، وأنكر ذلك أشدَّ الإنكار كبار التَّابعين، الَّذين أدركوا إدخال حجرات نساء النَّبيِّ ﷺ، ومنهم سعيد بن المسيَّب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأنكر ذلك أيضًا الإمام محمَّد بن شهاب الزُّهريُّ، وقال لعامل الوليد: إنَّ ذلك لا يرضي أهل المدينة فأبىٰ. فهذا هو موقف أهل العلم.

قال الصُّوفيُّ: ولماذا فعل الوليد ذلك الفعل الَّذي أغضب أهل المدينة جميعًا.

قال السُّنِّيُّ: الوليد لم يفعل ذلك ديانة، وإنَّما فعل ذلك علوًّا وفسادًا، وغيظًا لأهل البيت، فقد كان يبغضهم، وقيل: إنَّه أصدر أمره هذا بعد أن رأىٰ الحسين بن الحسن سبط النَّبيِّ ﷺ ينظر في مرآة في بيت فاطمة، بينما كان هو يخطب علىٰ المنبر؛ فأغاظه ذلك فأمر عامله عمر بهدم الحجرات، فبكىٰ لذلك أهل المدينة بكاء شديدًا؛ بسبب هذا الهجوم علىٰ حجرات نساء النَّبيِّ ﷺ، لأوَّل مرَّة في تاريخ الإسلام.

فالبيت لم يدخل المسجد ديانة، إنَّما دخل عدوانًا وظلمًا، وأنتم في بناء المساجد علىٰ القبور والقبور علىٰ المساجد تتَّبعون العدوان والظُّلم، ولا تتَّبعون الإسلام، بل وتخالفون الأئمَّة الكبار في ذلك.

قال الصُّوفيُّ: وهل الأئمَّة ينكرون ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: نعم ينكرون ذلك، فلا يجتمع في الإسلام مسجد وقبر أبدًا.

قال الصُّوفيُّ: اضرب لي مثلًا من أحدهم.

قال السُّنِّيُّ: بيّن الإمام الشَّافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علَّة النَّهي عن اتِّخاذ القبور مساجد؛ لئلَّا تصير ذريعة للشِّرك والضَّلال، وفي كتاب «الأمِّ»: كره الإمام الشَّافعيُّ -رحمه الله تعالىٰ- أن يُعظَّم أحد من المسلمين؛ يعني: يُتَّخذ قبره مسجدًا، ولم تُؤمَن بذلك الفتنة والضَّلال. «الأمُّ» (١/ ٤٢٥).

وقال شيخ الإسلام: لا يجوز دفن ميِّت في مسجد، فإن كان المسجد قبل الدَّفن غُيِّر إمَّا بتسوية القبر، وإمَّا بنبشه إن كان جديدًا، وإن كان المسجد بُنِي بعد القبر فإمَّا أن يُزال المسجد، وإمَّا أن تُزال صورة القبر. فالمسجد الَّذي علىٰ القبر لا يُصلَّىٰ فيه فرض ولا نفل؛ فإنَّه منهيٌّ عنه. «الفتاوىٰ» (٢٢/ ١٩٥).

قال الصُّوفيُّ: يعني هذا من باب سدِّ الذَّرائع كما يقول الفقهاء.

قال السُّنِّيُّ: نعم، وأُحيطك علمًا أنَّ الَّذين أدخلوا البيت في المسجد راعوا ذلك!

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: أحاطوا القبر بثلاثة جدران، فلا يستطيع أحد أن يُصلِّي فيه، أو يدخل فيه ليقرأ شيئًا من القرآن أو يتوجَّه إليه، فعلوا ذلك سدًّا لذرائع

الشِّرك. هذا إضافة إلىٰ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**اللَّهمَّ لا تجعل قبري من بعدي وثنًا يُعبَد**». رواه مالك. وقال ﷺ: «**لا تجعلوا قبري عيدًا**». رواه أبو داود. انظر: «صحيح الجامع» (٧٢٢٦). يعني: تعتادون الذَّهاب إليه من أجل السَّلام عليه، هذا في قبر النَّبيِّ ﷺ فكيف بقبور أولياء الله الصَّالحين وغير الصَّالحين تُتَّخذَا معتكفًا للشِّرك والبدعة وارتكاب المحرَّمات؟

قال الصُّوفيُّ: في بلادنا مشاهد وقباب كثيرة لأولياء الله الصَّالحين، وأهل القرية دائمًا ما يتبرَّكون بها، ويعتادون الذَّهاب إليها والاعتكاف عندها.

قال السُّنِّيُّ: هذا مخالف لما كان عليه الصَّدر الأوَّل في الإسلام.

قال الصُّوفيُّ: أفهم من كلامك هذا أنَّ هذه القباب وتلك المشاهد محدثة في الإسلام؟

قال السُّنِّيُّ: نعم هي محدثة.

قال الصُّوفيُّ: ومتىٰ ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: أوَّلًا: هذا عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول لأبي الهياج الأسديِّ كما في «صحيح مسلم»: ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «**ألا تدع قبرًا مشرفًا إلَّا سوَّيته، ولا صورة إلَّا طمستها**». رواه مسلم.

فهذا دليل ابتدائيٌّ في النَّهيِّ عن رفع القبور. وانظر ماذا فعل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سدًّا لذرائع الشِّرك.

قال الصُّوفيُّ: ماذا فعل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؟

قال السُّنِّيُّ: لما فُتِحت تَسْتُر في عهد عمر بن الخطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أخفوا قبر دانيال؛ خشية أن يفتتن به النَّاس، ويئول بهم الأمر إلىٰ ما آل إليه قوم نوح؛ فيعبدونه من دون الله تعالىٰ، وما فعله عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في قبر دانيال فعله في الشجرة الَّتي بايع عندها الصَّحابة رسول الله ﷺ إذ قام فقطعها ولم يُبقِ لها أثرًا، وذلك سدًّا لذرائع الشِّرك بالكلِّيَّة.

قال الصُّوفيُّ: إذن متىٰ نشأت القباب في الإسلام؟

قال السُّنِّيُّ: هذا هو الأمر الثَّاني: ولقد بحثت عن ذلك حتَّىٰ وقفت علىٰ نشأة القباب والمشاهد وكان ذلك في دولة بني بويه، ذكر شيخ الإسلام في «الفتاوىٰ» (٢٧/ ١٦٧): ولم يكن في العصور المفضَّلة مشاهد علىٰ القبور، وإنَّما ظهر ذلك وكثر في دولة بني بويه، لَّما ظهرت القرامطة بأرض المشرق والمغرب، وكان بها زنادقةٌ كفَّارٌ مقصودهم تبديل دين الإسلام، وكان في بني بويه من الموافقة لهم علىٰ بعض ذلك. انتهىٰ.

قال الصُّوفيُّ: ولكنَّ هذه القباب وتلك المشاهد أصبحت علامةً علىٰ الإسلام.

قال السُّنِّيُّ: حاشا وكلَّا، وإنَّما هي علامةٌ علىٰ التَّصوُّف، بل وإشارةٌ في الغالب إلىٰ كلِّ ما يعبد من دون الله تعالىٰ، وأذكر أنَّ بعض الشُّيوخ الكبار وأظنُّه العلَّامة الإمام عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالىٰ- كان ينهىٰ عن تصوير المساجد بالمشاهد والقباب؛ حتَّىٰ تنطفئ تلك الإشارة، وينسىٰ النَّاس تاريخ الدَّولة الفاطميَّة، الَّتي أرهقت البلاد والعباد في الكفر والشِّرك والبدعة كما أجمع علىٰ ذلك المؤرِّخون.

قال الصُّوفيُّ: لكن هناك كراماتٌ تظهر عند تلك المشاهد والقباب.

قال السُّنِّيُّ: مثل ماذا؟

قال الصُّوفيُّ: ذهب أحد الصُّوفيَّة ليزور قبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأخرج الحسين يده ليسلم عليه.

قال السُّنِّيُّ: كلامك هذه يذكِّرني بما حكاه النَّبهانيُّ من أنَّ الرِّفاعيَّ لَّما زار النَّبيَّ ﷺ مدَّ النَّبيُّ ﷺ إليه يده من القبر الشَّريف، وكان ذلك في حضرة مائة ألف رجلٍ. وهذا كذبٌ ومينٌ، وسأسقط كلامك في شأن مشهد الحسين دون عناءٍ.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: أنتم تقولون دفن رأس الحسين في المشهد الموجود بالقاهرة؛ فكيف تخرج يده وتسلِّم علىٰ الرَّجل في القاهرة وليس إلَّا رأسه؟

قال الصُّوفيُّ: هو خرج من كربلاء ليسلِّم علىٰ الرَّجل في القاهرة.

قال السُّنِّيُّ: أنت تذكِّرني بخرافات الهيكل الصَّمدانيِّ المزعوم.

قال: ما هذا الهيكل؟

قال السُّنِّيُّ: لا تخف ليس هيكل اليهود المزعوم، وإنَّما هو عبد الوهَّاب الشَّعرانيُّ صاحب الطَّبقات.

قال الصُّوفيُّ: وما الَّذي ذكَّرك به؟

قال السُّنِّيُّ: زعم أنَّ البدويَّ وهو في العراق مدَّ يده لينقذ تلميذه عبد العال من رأس الثَّور في طندتا -طنطا حاليًا.

قال الصُّوفيُّ: وكيف كان عبد العال؟

قال السُّنِّيُّ: زعم الشَّعرانيُّ أنَّ عبد العال وضعته أمُّه في طاولة التِّبن، الَّتي كان يأكل منها الثَّور، فتعلَّق القفص في قرن الثَّور، فهاج الثَّور، فمدَّ البدويُّ يده فأنقذه من قرن الثَّور. وهذه القصَّة مكذوبةٌ بلا شكٍّ.

قال الصُّوفيُّ: ولماذا؟

قال السُّنِّيُّ: لأنَّ عبد العال كان قرينًا في السِّنِّ للبدويِّ فمتىٰ كان في القفص؟

قال الصُّوفيُّ: لعلَّهم كانوا في عالم الأرواح.

قال السُّنِّيُّ: لعلَّك تمزح.

قال الصُّوفيُّ: نعم.

قال السُّنِّيُّ: أنت تذكِّرني برجلٍ ذكر في أحد البرامج الإذاعيَّة أنَّ أحد النَّاس قال له: هل تعرفني يا رجل؟ قال له: لا. قال: ولكنِّي أعرفك. قال: متىٰ عرفتني؟ قال: كنَّا نجلس بجوار بعض لَمَّا أخذ الله تعالىٰ العهد علىٰ ذرِّيَّة آدم حين استخرجهم من ظهره وأشهدهم علىٰ أنفسهم.

قلت: إذا كنَّا لم نذكر هذا الميثاق إلَّا بتذكير الله تعالىٰ لنا به في القرآن فما الَّذي ذكَّر هذا الرَّجل بأصحابه في عالم الذَّرِّ؟

قال الصُّوفيُّ: أنتم غير قادرين علىٰ فهم لغة الأرواح؟

قال السُّنِّيُّ: أنت تذكِّرني بنصيحة أحد الصُّوفيَّة لأحد تلامذته ألَّا يتكلَّم عن الصُّوفيَّة مع غير الصُّوفيِّ، فقال له: ولم: قال: إنَّك إن تكلَّمت معه كنت كمن يصف الشَّهوة لطفلٍ صغيرٍ.

وأنت تظنُّ أنَّ الدِّين أذواقٌ، ولغة الأرواح أذواقٌ، وكلَّ شيءٍ أذواقٌ، ونحن لم نذق إذن لن نفهم.

وأنا أقول لك: إنَّ الأرواح وغير الأرواح وكلَّ شيءٍ في الوجود إنَّما يوزن بالكتاب والسُّنَّة، قال تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. فأين ما تقول أنت وغيرك من الكتاب والسُّنَّة؟ هذه ليست لغة الأرواح، ولا حتَّىٰ لغة أذواقٍ، إنَّما هي لغة الاستخفاف بتاريخ الأمَّة وميراثها، الَّذي تفخر به علىٰ الأمم.

قال الصُّوفيُّ: أتهزأ بي يا رجل؟

قال السُّنِّيُّ: أنا لا أهزأ بأحدٍ، ولكن كفىٰ جنايةً علىٰ الإسلام وأهله، فالإسلام ليس كهنوتًا ما يحلُّه بولس في الأرض يحلُّه الرَّبُّ في السَّماء، لا بدَّ أن تذكر الدَّليل وتسنده إلىٰ من يعتبر في الأخذ منه. أَلَا تتشدَّق بحبِّ الله تعالىٰ وحبِّ الرَّسول ﷺ؟

قال الصُّوفيُّ: نعم أفتخر بذلك.

قال السُّنِّيُّ: إذن لتعلم أنَّ الله تعالىٰ طالب الكفَّار بذكر الدَّليل علىٰ ما افتروا من العبادات الباطلة، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

فإمَّا أن تأتيني بعلمٍ من الكتاب المنزَّل أو أثرٍ من آثار الصَّحابة والتَّابعين تثبت بها مزاعمكم.

قال الصُّوفيُّ: إذن أنت تريد أن تقول: إنَّ المشهد الموجود للحسين في القاهرة كذبٌ وافتراءٌ.

قال السُّنِّيُّ: لا تزال تهرب وعلىٰ كلٍّ فسأجيبك: ليس هذا قولي، بل هو قول أشياخ التَّاريخ.

قال الصُّوفيُّ: من قال هذا؟ .

قال السُّنِّيُّ: قال ابن تيميَّة في «الفتاوىٰ» (٤/ ٥٠٨، ٥٠٩): اتَّفق العلماء كلُّهم علىٰ أنَّ هذا المشهد الَّذي بقاهرة مصر الَّذي يقال له: مشهد الحسين باطلٌ ليس فيه رأس الحسين ولا شيءٌ منه. وإنَّما أحدث في أواخر دولة بني عبيد بن القدَّاح، الَّذين كانوا ملوكًا بالدِّيار المصريَّة مائتي عامٍ، إلىٰ أن انقرضت دولتهم في أيَّام نور الدِّين محمود، وكانوا يقولون: إنَّهم من أولاد فاطمة، ويدَّعون الشَّرف.

وأهل العلم بالنَّسَبِ يقولون: ليس لهم نسبٌ صحيحٌ، ويقال: إنَّ جدَّهم كان ربيب الشَّريف الحسينيِّ فادَّعوا الشَّرف لذلك. فأمَّا مذاهبهم وعقائدهم فكانت منكرةً باتِّفاق أهل العلم بدين الإسلام، وكانوا يظهرون التَّشيُّع، وكان كثيرٌ من كبرائهم وأتباعهم يبطنون مذهب القرامطة الباطنيَّة، وهو من أخبث مذاهب أهل الأرض، أفسد من اليهود والنَّصارىٰ. ثم قال: والَّذي رجَّحه أهل العلم في موضع رأس الحسين بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هو ما ذكره الزُّبير بن بكار في كتاب «أنساب قريشٍ»، والزُّبير بن بكَّارٍ هو من أعلم النَّاس وأوثقهم في مثل هذا، ذكر أنَّ الرَّأس حمل إلىٰ المدينة النَّبويَّة ودفن هناك، وهذا مناسبٌ، فإنَّ هناك قبر أخيه الحسن وعمِّ أبيه العبَّاس وابنه عليٍّ وأمثالهم. انتهىٰ.

قال الصُّوفيُّ: القضيَّة ليست موجود ولا غير موجود، القضيَّة أنَّه وليٌّ، وأنَّ له كراماتٍ، ومن الممكن أنَّه يخرج يده لمن يريد أن يسلِّم عليه، كما أنَّ جدَّه ﷺ أخرج يده لسيِّدنا الرِّفاعيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

قال السُّنِّيُّ: أنت تعلم أنَّنا نثبت الكرامات.

قال الصُّوفيُّ: نعم أعلم ذلك.

قال السُّنِّيُّ: ولكن لا بدَّ من التَّثبُّت منها، لئلَّا تُتَّخذَ غرضًا يتلاعب به السُّفهاء.

قال الصُّوفيُّ: نعم لا بدَّ من التَّثبُّت، فهل عندك اعتراضٌ علىٰ ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: نعم عندي اعتراضاتٌ علىٰ تلك المسألة.

قال الصُّوفيُّ: ما تلك الاعتراضات؟

قال السُّنِّيُّ: الاعتراض الأوَّل علىٰ ثبوت ذلك، والثَّاني: هل من الممكن أن يخرج النَّبيُّ ﷺ من قبره لملاقاة أحدٍ من النَّاس كما يزعم أولياء الصُّوفيَّة؟ هذا هو السُّؤال.

قال الصُّوفيُّ: نأخذ الاعتراض الأوَّل:

قال السُّنِّيُّ: وهو ثبوت ذلك من عدمه، أقول وبالله التَّوفيق: هذا القول حكاه النَّبهانيُّ فقد زعم أنَّ النَّبيَّ ﷺ مدَّ يده من القبر ليسلِّم علىٰ أحمد الرِّفاعيِّ عند زيارته له، وزعم أنَّه أنشد بيتين من الشِّعر بين يديه هما:

فِي حَالِ البُعْدِ رُوحِي كُنْتُ أُرْسِلُهَا　　تُقَبِّلُ الأَرْضَ عَنِّي وَهِيَ نَائِبَتِي

وَهَذِهِ دَوْلَةُ الأَشْبَاحِ قَدْ حَضَرَتْ　　فَامْدُدْ يَمِينَكَ كَيْ تَحْظَىٰ بِهَا شَفَتِي

قال الصُّوفيُّ: لقد أقمت الدَّليل علىٰ صحَّة القصَّة.

قال السُّنِّيُّ: أيُّ دليلٍ أقمت، وهو ذكر قصَّة في أحد الكتب يدلُّ علىٰ صحَّتها.

قال الصُّوفيُّ: هذا إمامٌ من أئمَّة التَّصوُّف.

قال السُّنِّيُّ: ومع ذلك فهذه الحكاية كذبٌ -كما بيَّن أهل العلم كالألوسيِّ وغيره في الرَّدِّ علىٰ النَّبهانيِّ- لعدَّة أسبابٍ منها:

١- أنَّها مع عظمتها لم ينقلها الحفَّاظ الثِّقات، وإنَّما اختصَّ بنقلها الكاذبون.

٢- أنَّ أهل العلم نسبوا البيتين لابن الفارض حين التقىٰ بالشِّهاب السَّهرورديِّ في مكَّة.

٣- أنَّ الَّذين نقلوا تلك القصَّة زعموا رؤية مائة ألفٍ ليد النَّبيِّ ﷺ وهي تخرج من الشُّبَّاك ولم يكن ثمَّة شبَّاك، لأنَّ القبر كان قد أحيط بالجدران.

قال الصُّوفيُّ: علىٰ كلِّ حالٍ فمقابر الأولياء مواضع مقصودةٌ للاستغاثة والتَّبرُّك بها.

قال السُّنِّيُّ: لم يكن الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يقصدون المقابر للاستشفاء بتربتها أو للدُّعاء عندها والاستغاثة لأهلها؟

قال الصُّوفيُّ: لم يتوفَّر لديَّ الآن عن الصَّحابة في هذا شيءٌ، لكن ربَّما كان من التَّابعين من فعل ذلك.

قال السُّنِّيُّ: ربَّما تقصد قصَّة الأعرابيِّ.

قال الصُّوفيُّ: وما الأعرابيُّ؟

قال السُّنِّيُّ: ذلك الرَّجل قدم إلىٰ قبر الرَّسول ﷺ، وحثا من ترابه علىٰ رأسه، وقال: يا رسول الله! قلْتَ فسَمِعْنا قولك، ووَعَيْتَ عن الله فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ

﴿وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ٦٤]. وقد ظلمتُ نفسي، وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر: أنَّه قد غُفِرَ لك.

قال الصُّوفيُّ: نعم أقصدُ ذلك.

قال السُّنِّيُّ: هذا الأثر مكذوبٌ وفيه: الهيثم بن عديٍّ الطَّائيُّ متروكٌ.

قال الصُّوفيُّ: إذا كان هذا الأثر مكذوبًا للهيثم أو لغيره أو منامًا لأحد الأئمَّة، فالآية تدلُّ علىٰ جواز سؤال النَّبيِّ بعد موته ﷺ.

قال السُّنِّيُّ: كلَّا، لا تدلُّ بحالٍ.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: أولًا: لأنَّ «إذ» في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ﴾ ظرفٌ لما مضىٰ من الزَّمان، فهذا أمرٌ انتهىٰ لجماعةٍ من النَّاس كانوا قد أذنبوا، وكان من الواجب عليهم أن يذهبوا إلىٰ الرَّسول ﷺ؛ فيستغفروا الله تعالىٰ ويسألوه طلب العفو من الله تعالىٰ لهم، ولو فعلوا ذلك لتاب الله عليهم، وهذا كما قلت لك أمرٌ قد انتهىٰ، وهذه الآية كقوله تعالىٰ: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا﴾ [طه: ٩، ١٠]. فهل النَّار موجودةٌ في هذا المكان إلىٰ الآن؟ والجواب: كلَّا. كذلك طلب الدُّعاء من النَّبيِّ ﷺ ليس مشروعًا بعد موته، ولو كان مشروعًا لقال: «إذا» بدلًا من: «إذ»؟ وهنا أمرٌ مهمٌّ.

قال الصُّوفيُّ: ما هو هذا الأمر؟

قال السُّنِّيُّ: إنَّ الله تعالىٰ وعد برفع العذاب عن النَّاس بأمرين **الأوَّل:** بوجود النَّبيِّ ﷺ بينهم، **والثَّاني:** باستغفارهم الله تعالىٰ. روىٰ الإمام أحمد

عن أبي موسىٰ قال: أمانان كانا علىٰ عهد رسول الله ﷺ رفع أحدهما وبقي الآخر ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]. فلا يلزم حينئذ طلب الاستغفار من النَّبيِّ ﷺ وهو في قبره طالما أنَّ استغفار النَّاس يكفي في رفع العذاب وجلب الخيرات. هذا من جهة، إضافة إلىٰ أنَّه لا دليل علىٰ طلب الاستغفار من النَّبيِّ ﷺ بعد مماته، هذا إضافةً إلىٰ أنَّ الَّذي يؤتىٰ إليه بعد موت النَّبيِّ ﷺ هو القبر وليس النَّبيُّ ﷺ، ولذا فإنَّك تجد النُّصوص تقول: «**لا تتَّخذوا قبري عيدًا**»، «**اللَّهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يعبد**».

ولذا فلا فائدة من طلب الدُّعاء من النَّبيِّ ﷺ. ثمَّ أمرٌ آخر وهو أنَّ النَّبيَّ ﷺ لا يدري ولا يسمع تلك الأدعية الشِّركيَّة، وإن كانت الملائكة تبلِّغه سلام من يسلِّم عليه، والدَّليل علىٰ ذلك أنَّه ﷺ حين يرىٰ الملائكة تردُّ جمعًا من النَّاس عن حوضه يوم القيامة يقول: «**يا ربِّ أصحابي**». فيقال له: «إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك». قال: «**فأقول كما قال العبد الصَّالح**: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧]». متَّفقٌ عليه.

ثانيًا: لم يكن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مع كثرة الكربات والمدلهمَّات والحروب يلجئون إلىٰ قبر النَّبيِّ ﷺ؛ كي يستغيثوا به أو يستشفعوا به عند الله تعالىٰ كما يفعل غلاة الصُّوفيَّة؛ ذلك لأنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يعلِّمهم التَّوحيد ويأمرهم أن يستغيثوا بالله تعالىٰ وحده علىٰ كلِّ حالٍ، فهو المغيث الغيَّاث سبحانه جَلَّ جَلَالُهُ، فالاستغاثة

من آكد حقوق الله تعالىٰ في العبادة، قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]. وقال ﷺ عن المسيح الدَّجَّال: «**فمن ابتلي بناره فليستغث بالله وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه بردًا وسلامًا كما كانت النَّار علىٰ إبراهيم**». رواه ابن ماجه. انظر: «صحيح الجامع» (٧٨٧٥). وقال ﷺ: «**إنَّه لا يستغاث بي إنَّما يستغاث بالله**». قال الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» (١٠/ ١٥٩). رواه الطَّبرانيُّ ورجاله رجال الصَّحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث، وقد رواه أحمد بغير هذا السِّياق وهو في الأدب في باب القيام. انتهىٰ.

والنَّهي عن الاستغاثة به ﷺ ينصرف إلىٰ الأمور الَّتي يقدر عليها، والأمور الَّتي لا يقدر عليها، ونهيه أن يستغاث به فيما يقدر عليه دليلٌ علىٰ عظم تواضعه لله تعالىٰ وجليل أدبه ﷺ.

ثمَّ أمر آخر: وهو أنَّ هؤلاء الصَّحابة كانوا قبل الإسلام لا يتوجَّهون إلىٰ غير الله تعالىٰ عند الاضطرار، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]. فكيف مع الإسلام يلجئون عند الاضطرار أو غيره لغير الله تعالىٰ؟!

وعندنا عدَّة مسائل توضِّح أنَّ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يكونوا يتوجَّهون إلىٰ المقابر للدُّعاء أو للاستغاثة أو للتَّبرُّك أو للصَّلاة أو للذَّبح أو للنَّذر لغير الله تعالىٰ أو لطلب الشَّفاعة من الأموات منها:

١ - النَّهي عن الذَّبح في موضعٍ يعبد فيه غير الله تعالىٰ.

فقد قال رسول الله ﷺ للصَّحابيِّ الَّذي أراد أن يذبح إبله ببُوانَةَ: «**أوف بنذرك فإنَّه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله**». رواه أبو داود. انظر: «صحيح الجامع»

(٢٥٥١). وذلك بعد أن تيقَّن أنَّه لا يوجد فيها عيدٌ من أعياد المشركين ولا صنمٌ يُعبَد.

٢- الأمر بالزِّيارة الشَّرعيَّة دون الشِّركيَّة... فقد نهىٰ النَّبيُّ ﷺ في أوَّل الأمر عن زيارة القبور؛ سدًّا لذريعة الشِّرك، ثمَّ لَمَّا استتبَّ الأمر للتَّوحيد أذن النَّبيُّ ﷺ بزيارة القبور، لا للتَّعبُّد عندها، ولا للتَّبرُّك بأهلها، ولا للاستشفاع بهم عند الله، وإنَّما لكونها تذكِّر بالآخرة فقط، فلو كان الأمر كما يظنُّ الصُّوفيَّة لما كان للنَّهي الأوَّل فائدةٌ. قال النَّبيُّ ﷺ: «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنَّها تذكِّركم الموت**». رواه الحاكم في «المستدرك». «صحيح الجامع» (٦٧٩٠).

٣- أنَّ النَّبيَّ ﷺ أمر بطلب الاستغفار من الأحياء الحاضرين الصَّالحين، ولم يأمر بطلب الاستغفار من الأموات كما في أمره عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن يسأل أويسًا القرنيَّ الاستغفار له. فقال له ﷺ: «**فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**». رواه مسلم في فضائل أويس (٢٥٤٢). وكان بارًّا بأمِّه ولو أقسم علىٰ الله لأبرَّه، فلمَّا لقيه عمر طلب منه أن يستغفر له فاستغفر له.

٤- أنَّ الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لم يستسقوا بالنَّبيِّ ﷺ بعد وفاته، مع عظم ذاته وجاهه عند الله، وإنَّما استسقوا بالعبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وبيزيد الجرشي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

٥- أنَّ الله تعالىٰ لم يأمر بتعمير المشاهد، وإنَّما أمر بتعمير المساجد والاعتكاف عندها، ونهىٰ النَّبيُّ ﷺ عن اعتياد المقابر وأمر بتسويتها بالأرض إذا كانت مشرفة، كلُّ ذلك حتَّىٰ لا تُتَّخذ محلًّا للعبادة.

٦- أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يفعل عند القبور إلَّا الدُّعاء والاستغفار للميِّت أو صلاة الجنازة، وكذا الصَّحابة من بعده -رضوان الله عليهم. وكان يقول: «**استغفروا لأخيكم واسألوا له التَّثبيت فإنَّه الآن يسأل**». رواه أبو داود وغيره. انظر: «صحيح الجامع» (٤٧٦٠). وما قال: اسألوا أخاكم الاستغفار.

قال الصُّوفيُّ: معنىٰ ذلك أنَّك تمنع شدَّ الرِّحال إلىٰ المقابر منعًا باتًّا.

قال السُّنِّيُّ: لم يثبت قطُّ في الإسلام جواز شدِّ الرِّحال لغير المساجد الثَّلاثة. وهذا هو مقتضىٰ قوله ﷺ: «**لا تشدُّ الرِّحال إلَّا إلىٰ ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصىٰ**»... رواه البخاريُّ وغيره.

قال الصُّوفيُّ: وما المقصود من النَّهي؟

قال السُّنِّيُّ: المقصود النَّهي عن شدِّ الرِّحال إلىٰ بقعةٍ معيَّنةٍ بقصد التَّبرُّك بها والدُّعاء والاستغاثة عندها، غير تلك المواضع، فلا تشدُّ الرِّحال إلىٰ الموالد ولا إلىٰ القبور، لكن يجوز شدُّ الرِّحال للتِّجارة وإلىٰ طلب العلم، وهذا سفر مباح أقرَّته الشَّريعة، والدَّلالة عليه واضحةٌ وثابتةٌ.

قال الصُّوفيُّ: لكن مجرَّد الزِّيارة لا شيء فيه.

قال السُّنِّيُّ: بشرط أن تكون شرعيَّة.

قال الصُّوفيُّ: إذن فما اعتراضكم علىٰ إخراج النَّبيِّ ﷺ يده المباركة لسيِّدي أحمد الرِّفاعيِّ؟

قال السُّنِّيُّ: إنَّ النَّبيَّ ﷺ لا يخرج من قبره لأحد، ولو كان النَّبيُّ ﷺ أخرج يده للرِّفاعيِّ من قبره الشَّريف لخرج لخواصِّ أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، مع

وجود الضَّرورة إلىٰ ذلك، فلم يخرج ليفضَّ الخلاف بين الصَّحابة يوم الثَّقيفة في اختيار الخليفة من بعده، حتَّىٰ تُركَ النَّبيُّ ﷺ ثلاثة أيَّام ولم يدفن؛ ولم يخرج ليفض الخصومة الَّتي بين أبي بكر وفاطمة، وذلك حين سألته ميراث أبيها وأصرَّت علىٰ ذلك، وأصرَّ أبو بكر علىٰ الرَّفض مستندًا إلىٰ قوله ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث، ما تركناه صدقة**». متَّفقٌ عليه.

وكلاهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من أحبِّ النَّاس إلىٰ رسول الله ﷺ، ولم يخرج ليفضَّ النِّزاع بين الزُّبير وطلحة وعائشة من جهةٍ وبين عليٍّ من جهةٍ أخرىٰ، وقد وقعت بينهما معركة الجمل، ولم يخرج ليفضَّ النِّزاع بين عليٍّ ومعاوية، وقد حدث بينهما نزاعاتٌ كثيرةٌ مات بسببها خلقٌ كثيرٌ من الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فكيف مع ذلك يخرج لمن هم دونهم في المرتبة؟ ولمثل ما يزعمون من هذه التَّفاهات الَّتي ينسبونها إليه كذبًا وزورًا وبهتانًا.

أنت تعلم أيُّها الصُّوفيُّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ تُعرَض عليه صلاة من صلَّىٰ عليه من النَّاس؛ فما الضَّرورة للخروج إليهم. ولا يخفاك أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**أنا أوَّل من تنشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة**». رواه البخاريُّ ومسلم، وهذا لفظ أحمد. ولمَّا مات الرَّسول ﷺ فزع الصَّحابة فزعًا عظيمًا، فمنهم من دعا علىٰ نفسه بالموت، ومنهم من دعا علىٰ نفسه بالعمىٰ، وظنَّ بعضهم أنَّه لم يمت، وليس إلَّا أنَّه ذهب للقاء الله تعالىٰ كما ذهب موسىٰ ﷺ وسوف يعود، فثبَّتهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأكَّد لهم موته، ولو كان الرَّسول ﷺ أعلمهم أنَّه سيلقاهم

في المحافل والمساجد والخلوات لما كان هناك ضرورة لهذا الفزع، ولما دعا أحدٌ علىٰ نفسه بالموت ولا بالعمىٰ.

قال الصُّوفيُّ: نحن نتغنَّىٰ بخروج النَّبيِّ ﷺ من قبره، ونذهب إلىٰ الموالد لنسمع القصائد في ذلك، لأنَّ الأولياء يحضرون ومعهم الأنبياء وفيهم النَّبيُّ ﷺ، فلعلَّك تريد أن تحرمنا من الموالد والسَّماع، ونحن يا شيخ نسمع القصائد فنتأثَّر بها أشدَّ من تأثُّرنا بالقرآن.

قال السُّنِّيُّ: لقد سردت لك الأدلَّة الَّتي تمنع خروج النَّبيِّ ﷺ من قبره فاحفظها، أمَّا قولك أنَّكم تتأثَّرون بالسَّماع أشدَّ من تأثُّركم بالقرآن فهذا هو نفس ما حكاه الغزاليُّ.

قال الصُّوفيُّ: ماذا قال الغزاليُّ؟

قال السُّنِّيُّ: قال: «إنَّ أبا الحسن الدَّارج زار يوسف الرَّازيَّ ببلدة الرَّيِّ، فلمَّا التقىٰ به ألقىٰ عليه بيتين من الشِّعر، وكان هذا الرَّجل يقرأ القرآن، فلمَّا سمع البيتين أطبق المصحف، ثمَّ قال: يا بنيَّ تلوم أهل الرَّيِّ يقولون: يوسف زنديقٌ، ها أنا ذا من صلاة الغداة أقرأ في المصحف لم تقطر من عيني قطرةٌ، وقد قامت القيامة عليَّ لهذين البيتين»...

قال الصُّوفيُّ: بماذا علَّق الغزاليُّ علىٰ هذا الحال؟

قال السُّنِّيُّ: قال الغزاليُّ كلامًا مؤسفًا للغاية جاء فيه: القلوب وإن كانت محترقة في حبِّ الله تعالىٰ فإنَّ البيت الغريب يهيِّج منها ما لا تهيِّج تلاوة القرآن؛

وذلك لوزن الشِّعر ومشاكلته للطِّباع. «الإحياء» (٢/ ٣٠١). وذكر الغزاليُّ في «الإحياء» أنَّ السَّماع والشِّعر أفضل في تهييج القلوب من القرآن من سبعة أوجهٍ، وذكرها بناءً علىٰ هذا المنوال.

قال الصُّوفيُّ: هذا كلامٌ خطيرٌ، ولكن يشفع له أنَّه في حبِّ الله تعالىٰ.

قال السُّنِّيُّ: أيُّ حبٍّ لله هذا الَّذي يجعل كلام البشر أعظم تأثيرًا من كلام الله تعالىٰ، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]. ويقول: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]. وأنتم تزعمون حبَّ الله بالشِّعر والغناء والرَّقص ولا تتأثَّرون بالقرآن الَّذي هو كلام الله تعالىٰ وصفةٌ من صفاته، فأيُّ حبٍّ لله هذا؟!

أَقَالَ اللهُ حِينَ عَشَقْتُمُوهُ كُلُوا   أَكْلَ البَهَائِمِ وَارْقُصُوا لِي

قال الصُّوفيُّ: أنت تعلم أنَّ الصُّوفيَّة تميَّزت بالحبِّ المجرَّد لله تعالىٰ، ولم يشاركهم في ذلك أحدٌ.

قال السُّنِّيُّ: حبُّ الله تعالىٰ والعمل لوجهه الكريم ليس مقصورًا علىٰ الصُّوفيَّة، بل هو في قلب كلِّ مؤمنٍ موحِّدٍ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. وقال تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٩-٢٠]. وقال تعالىٰ في

الحديث القدسيِّ: «يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي». متَّفقٌ عليه. فهذا هو الحبُّ الحقيقيُّ والقصد المجرَّد، أمَّا الحبُّ عندكم فهو نوعٌ من العشق والهيام الأنثويِّ، كما نقل السَّرَّاج عن أحد الصُّوفيَّة أنَّه قال: أن أعشق الله عَزَّوَجَلَّ والله يعشقني. انظر: «التَّلبيس» (ص١٧٠). وكان ابن الفارض من المولعين بشعر الحبِّ والعشق؛ حتَّىٰ جعل للحقيقة الإلهيَّة صورة الأنثىٰ، الَّتي ظهرت لآدم في صورة حوَّاء، ولقيس بصورة لبنىٰ، ولجميل بصورة بثينة، ولكُثيِّر بصورة عزَّة، وقال في شعره ما يؤكِّد ذلك، وصدق فيه قول الله تعالىٰ: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ [النساء: ١١٧]. انتهىٰ.

ولذا سَمَّوا ابنَ الفارض بسلطان العاشقين، وكان حقًّا من العاشقين، ولكن من العاشقين للنِّسوان، وقد نقل ابن حجرٍ في «اللِّسان» (٤/ ٣١٩)، عن الإمام الذَّهبيِّ ما يفيد أنَّه: كان يرقص مع الجواري وينهىٰ عن الإنكار عن ذلك. انتهىٰ.

هذا هو عشق ابن الفارض، ظلماتٌ بعضها فوق بعضٍ، ولما حضرته الوفاة، تبيَّن له ضلال حبِّه، وفساد معتقده، فتأسَّف علىٰ ضياع أيَّامه وقال:

إِنْ كَانَ مَنْزِلَتِي فِي الحُبِّ عِنْدَكُمُ ... مَا قَدْ لَقِيتُ فَقَدْ ضَيَّعْتُ أَيَّامِي

أُمْنِيَّةٌ ظَفَرَتْ بِهَا نَفْسِي زَمَنًا ... وَاليَوْمَ أَحْسَبُهَا أَضْغَاثَ أَحْلَامِ

قَالَ الصُّوفيُّ: إنَّه تأسَّف علىٰ كون المقام الَّذي كان يأمله ينتهي إلىٰ هذا الحدِّ، الَّذي يستوي فيه مع عامَّة النَّاس، فقد كان يأمل في مقام المقرَّبين فوجد نفسه دون ذلك.

قال السُّنِّيُّ: أعلم من يَعْرِف بهذا منكم، ولكن لا يمكن لمن تأتيه البشرىٰ الحسنة أن يقول: لقد ضيَّعتُ أيَّامي. بل ينبغي إنَّه يطير فرحًا مسرورًا ويقول: ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٠]. والبشرىٰ عند الموت كما قال ابن عبَّاسٍ ثلاثةٌ: «**أبشر يا حبيب الله بالجنَّة، أبشر يا حبيب الله بالجنَّة بعد الانتقام، والثَّالثة: أبشر يا عدوَّ الله بالنَّار**».

وإذا بشِّر المؤمن بالجنَّة فإنَّه يفرح بلقاء الله تعالىٰ لأنَّه سيراه، ومن فرح بلقاء الله تعالىٰ فرح الله تعالىٰ بلقائه. روىٰ مسلمٌ عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحبَّ لقاء الله، أحبَّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه**». فقلت: يا نبيَّ الله أكراهية الموت؟ فكلُّنا نكره الموت. فقال: «**ليس كذلك. ولكنَّ المؤمن إذا بشِّر برحمة الله ورضوانه وجنَّته، أحبَّ لقاء الله، فأحبَّ الله لقاءه. وإنَّ الكافر إذا بشِّر بعذاب الله وسخطه، كره لقاء الله، وكره الله لقاءه**». متَّفقٌ عليه.

أمَّا هذا الَّذي قال: فقد ضيَّعت أيَّامي. فلعلَّ البشرىٰ الَّتي بشِّر بها هي بشرىٰ أصحاب الشِّمال، أعاذنا الله تعالىٰ من عذاب النَّار.

قال الصُّوفيُّ: أعوذ بالله، إذن أنت ترىٰ أنَّ مقام العشق لا يليق بالله تعالىٰ؟

قال السُّنِّيُّ: مقام العشق لا يليق بالله تعالىٰ ولا يوصف به، بل ولا يوصف به وليٌّ من أولياء الله تعالىٰ في حبِّه لله، ووصف الله تعالىٰ بأنَّه يَعْشق

ويُعْشق وصف شاذٌّ، بل هو إلحادٌ في صفات الله تعالىٰ، وذلك لأنَّ لفظ العشق إنَّما يعبَّر به عمَّا ينكح فقط، وقد نشأ منه مفهوم الأخت في الطَّريقة ومفهوم انتقال النُّور الإلهيِّ.

قال الصُّوفيُّ: الأخت في الطَّريقة. للأسف عملٌ فاسدٌ ينتشر في الخيام، ولكن ليس هذا يضرُّ الوليَّ شيئًا، وهل يضرُّ البحر تبوُّل النَّاس فيه؟

قال السُّنِّيُّ: تلك الخلَّة تعبِّر عن التَّطبيق العمليِّ لمفاهيم التَّصوُّف الإلحاديَّة.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: هؤلاء يعتبرون خلَّة الأخت في الطَّريقة ومضاجعتها في الخيام بتلك المناسبة بركةً من البركات، وعلامةً من علامات الوصال وتمازج الأنوار، فعندهم أنَّ في كلِّ جسمٍ نورًا إلهيًّا ينتقل في الأجساد بالجماع. ومِنْ غَالِطِي الصُّوفيَّة من يعبِّر عن هذا النَّوع من العشق بصحبة المردان، حتَّىٰ ذكر أنَّ إبليس نعىٰ حظَّه لأبي سعيدٍ الخرَّاز في ترك الصُّوفيَّة الدُّنيا وزهدهم فيها كما نقل ذلك ابن العماد في «الشَّذرات» (٢/ ١٩٢)، لكنَّه ظفر بهم في صحبة المردان، ومن ضلال الصُّوفيَّة من يرىٰ هذا النَّوع من العشق في البهائم، حكىٰ الشَّعرانيُّ في «الطَّبقات» (٢/ ١٣٥) عن عليٍّ وحيش أنَّه: كان إذا رأىٰ شيخ بلدة أو غيره ينزله من علىٰ حماره ويقول له: امسك رأسها حتَّىٰ أفعل بها. انتهىٰ.

قال الصُّوفيُّ: نحن ننكر هذا كلَّه، وكما قلت لك هذا بحرٌ لا يضرُّه تبوُّل النَّاس فيه، لكن أودُّ أن أقول لك بشأن مفهوم الحبِّ: إنَّكم يا أهل السُّنَّة

تشركون في حبّكم لله تعالىٰ الرَّغبة في الجنَّة والرَّهبة من النَّار، ونحن نحبُّ الله لذاته كما قالت رابعة العدويَّة: إذا كنت أعبدك طمعًا في جنَّتك فلا تدخلنيها، وإذا كنت أعبدك خوفًا من نارك فأدخلنيها..

قال السُّنِّيُّ: **أوَّلًا:** هذا الَّذي يفعله هؤلاء ليس بحرًا لا يضرُّه تبوُّل النَّاس فيه، إنَّما هو مستنقعٌ آسنٌ، أمَّا قول رابعة العدويَّة -رحمها الله تعالىٰ- فإن كان منها فهو خطأٌ شديدٌ.

قال الصُّوفيُّ: وما وجه الخطأ فيه؟

قال السُّنِّيُّ: **أوَّلًا:** الجنَّة اسم لمطلق النَّعيم، فإذا كانت لا تعبد الله طمعًا في الجنَّة ومن نعيم الجنَّة رؤية وجه الله تعالىٰ فقولها باطلٌ، بل ومتناقضٌ في نفس الوقت؛ لأنَّها قصرت غاية عبادتها في طلب رؤية وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهي في نفس الوقت ترفض عبادته لأجل نعيم الجنَّة، ومن نعيم الجنَّة رؤية وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثانيًا: في هذا الكلام لمزٌ لدعوة الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم-، لأنَّهم كانوا يعبدون الله تعالىٰ طمعًا في جنَّته وخوفًا من ناره؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. والأمر في الطَّمع في الجنَّة إنَّما هو طمعٌ في رحمة الله تعالىٰ، الَّتي لولاها ما عظَّمنا الجنَّة، أمَّا الخوف من النَّار فهو في حقيقته خوفٌ من صفات القهر، والَّتي لولاها ما عظَّمنا النَّار، ولا صدَّقنا ما فيها من عذاب.

فحبُّنا للجنَّة وخوفنا من النَّار لا يتعارض مع حبِّنا لله تعالىٰ، فحبُّنا لله تعالىٰ هو الأصل الَّذي ترتَّب عليه الرَّغبة والرَّهبة، فليس في هذا شركٌ كما يزعم جهلة الصُّوفيَّة، ولو كان فيه شركٌ فهل القرآن يدعو إلىٰ الشِّرك؟

قال الصُّوفيُّ: كلَّا، لا يدعو إلىٰ الشِّرك.

قال السُّنِّيُّ: الحمد لله أنَّك قلت ذلك.

قال الصُّوفيُّ: ولِمَ؟

قال السُّنِّيُّ: لأنَّ التِّلمسانيَّ قال: القرآن كلُّه شركٌ.

قال الصُّوفيُّ: من الَّذي نقل عنه ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: شيخ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ.

قال الصُّوفيُّ: ابن تيميَّة أضبط في النَّقل عن الفرق من أصحابها، ماذا قال؟

قال السُّنِّيُّ: لقد زعم التِّلمسانيُّ لَمَّا قيل له: القرآن يخالف فصوصكم فقال: «القرآن كلُّه شركٌ، وإنَّما التَّوحيد في كلامنا».

قال الصُّوفيُّ: ولماذا قال ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: لأنَّ القرآن يفرِّق بين الخالق والمخلوق والشَّرع والقدر، أمَّا التِّلمسانيُّ فإنَّه يقول: الزَّوج والأخت والأمُّ شيءٌ واحدٌ، ومن يرىٰ بخلاف ذلك عنده فهو محجوبٌ غير واصلٍ.

قال الصُّوفيُّ: وهل ردَّ ابن تيميَّة علىٰ هذا الكلام؟

قال السُّنِّيُّ: نعم، ردَّ عليه ردًّا ينقض ما انتهىٰ إليه.

قال الصُّوفيُّ: ما هو؟

قال السُّنِّيُّ: قال ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا مع كفره العظيم متناقضٌ ظاهرٌ. فإنَّ الوجود إذا كان واحدًا فمن المحجوب ومن الحاجب؟ ولهذا قال بعض شيوخهم لمريده: من قال لك: إنَّ في الكون سوىٰ الله فقد كذب، فقال له مريده: فمن هو الَّذي يكذب؟

وقالوا لآخر: هذه مظاهر فقال لهم: المظاهر غير الظَّاهر أم هي؟ فإن كانت غيرها فقد قلتم بالنِّسبة، إن كانت إيَّاها فلا فرق. انتهىٰ.

قال الصُّوفيُّ: حجج هذا الرَّجل كالصَّاعقة المدمِّرة، لا يقدر عليه أحدٌ ممَّن يخالفه، فهذه كلُّها أدلَّة عقليَّة تنقض معتقد وحدة الوجود من جذوره.

قال السُّنِّيُّ: نعم كان هذا الرَّجل آيةً من آيات الله تعالىٰ.

قال الصُّوفيُّ: لكن ابن عربيٍّ كان أيضًا وليًّا من أكابر الأولياء، وأنت تعرف أنَّ كثيرًا من الصُّوفيَّة يسمُّونه الشَّيخ الأكبر.

قال السُّنِّيُّ: أنت تزعم محبَّة الرَّسول ﷺ؟

قال الصُّوفيُّ: نعم أحبُّ الرَّسول ﷺ حبًّا كبيرًا.

قال السُّنِّيُّ: وهل ترىٰ أحدًا من الأولياء بلغ منزلة النُّبوَّة.

قال الصُّوفيُّ: ومَنْ مِنَ الأولياء يبلغ تلك المنزلة مهما كانت مجاهداته.

قال السُّنِّيُّ: ابن عربيٍّ هذا الَّذي تزعم أنَّه وليٌّ قال بأنَّ مقام الولاية فوق مقام النُّبوَّة.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: قال ابن عربي:

مَقَــامُ النُّبُــوَّةِ فِــي بَــرْزَخٍ فُوَيْــقَ الرَّسُــولِ وَدُونَ الــوَلِيِّ

قال الصُّوفيُّ: وهذا بالتَّأكيد مخالفٌ لمعتقد أهل السُّنَّة.

قال السُّنِّيُّ: نعم مخالفٌ.

قال الإمام الطَّحاويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عقيدته: ولا نفضِّل أحدًا من الأولياء علىٰ أحدٍ من الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ونقول: نبيٌّ واحدٌ أفضل من جميع الأولياء. انتهىٰ.

قال الصُّوفيُّ: لكن بصفتك مطَّلعٌ علىٰ مفاهيم هؤلاء، هل من الممكن أن تخبرني ما حجَّتهم في تفضيل الولاية علىٰ النُّبوَّة؟

قال السُّنِّيُّ: هؤلاء يقولون: الوليُّ يأخذ من الله بلا واسطةٍ، يعني: يأخذ من المعدن الَّذي يأخذ منه الملك؛ فيكون لذلك متقدِّمًا علىٰ النَّبيِّ الَّذي يأخذ من الملك فقط.

قال الصُّوفيُّ: وماذا يريد ابن عربيٍّ بذلك؟

قال السُّنِّيُّ: يريد تغيير الشَّريعة بالولاية، لأنَّه لو ادَّعىٰ النُّبوَّة لانكشف أمره علىٰ عامَّة النَّاس، لكن حينما يقول: أنا وليٌّ ويأتيني العلم اللَّدنِّيُّ فمن الممكن أن يطوِّع النَّاس لضلالاته، ويسوقهم إلىٰ مراده دون عناءٍ أو تعبٍ.

قال ابن أبي العزِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح الطَّحاوية» (ص٥٥٥): وهؤلاء ظنُّوا أنَّ الوجود المخلوق هو الوجود الخالق كابن عربيٍّ وأمثاله، وهو لمَّا

رأىٰ أنَّ الشَّرع الظَّاهر لا سبيل إلىٰ تغييره، قال النُّبوَّة ختمت، لكنَّ الولاية لم تختم، وادَّعىٰ أنَّ من الولاية ما هو أعظم من النُّبوَّة وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأنَّ الأنبياء مستفيدون منها، كما قال:

مَقَـامُ النُّبُـوَّةِ فِـي بَـرْزَخٍ فُوَيْـقَ الرَّسُـولِ وَدُونَ الـوَلِيِّ

وهذا قلب للشَّريعة، فإنَّ الولاية ثابتةٌ للمؤمنين المتَّقين؛ كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]. انظر: (ص٥٥٦).

فقولهم الأنبياء مستفيدون من الأولياء أو من خاتم الأولياء انتكاسٌ في العقل، إذ كيف يمدُّ المتأخِّر المتقدِّم، ورحم الله ابن تيميَّة إذ قال في شأنهم: وكانوا في ذلك كما يقال فيمن قال: «فخرَّ عليهم السَّقف من تحتهم». لا عقل ولا قرآن، فإنَّ الأنبياء أقدم فكيف يستفيد المتقدِّم من المتأخِّر، وهم عند المسلمين واليهود والنَّصارىٰ ليسوا أفضل من الأنبياء. فخرج هؤلاء عن العقل والدِّين، دين المسلمين واليهود والنَّصارىٰ. انتهىٰ.

قال الصُّوفيُّ: هل ترىٰ أنَّ ابن عربيٍّ تأثَّر بمناهج الفلاسفة كما قال د/ زكي مبارك.

قال السُّنِّيُّ: نعم هذا صحيحٌ تمامًا، فمعتقد ابن عربيٍّ هذا مبنيٌّ علىٰ أخذه من الفلاسفة. قال الدُّكتور زكي مبارك في كتاب «التَّصوُّف» (١/ ٢٠١): تأثُّر ابن عربيٍّ بمذاهب الحكماء ظاهرٌ جدًّا، والواقع أنَّنا لا نستطيع أن نتصوَّر ابن عربيٍّ

باحثًا يقف عند أصول الشَّرع أو عند وحي قلبه. هو بالفعل متأثِّرٌ بالمذاهب الفلسفيَّة، لكنَّه لقوَّة عارضته ومرونة قلمه يكاد يقنعك بأنَّ ما عنده هو ثمرة الكشف أو علىٰ الأقل من فيض العلم الإسلاميِّ الصِّرف. انتهىٰ.

وقد أكَّد الدُّكتور زكي مبارك أنَّ مفهوم ابن عربيٍّ مفهومٌ وجوديٌّ إلحاديٌّ، بدليل أنَّ القاشانيَّ لمَّا شرح «الفصوص» شرحها علىٰ هذا الاعتبار.

فقال في كتاب «التَّصوُّف» (١/ ٢٠٣): القاشانيُّ شارح «الفصوص» المتوفَّىٰ سنة ٨٨٧هـ: وهذا الرَّجل يختلف عن الشَّعرانيِّ كلَّ الاختلاف، فهو يفهم أنَّ ابن عربيٍّ يقول بوحدة الوجود، وهو يشرح «الفصوص» علىٰ هذا الأساس. انتهىٰ.

وأنت تعلم أنَّ الفلاسفة يقدِّمون الفيلسوف علىٰ النَّبيِّ، ويقولون: النَّبيُّ للعوامِّ والفليسوف للخواصِّ، وابن عربيٍّ ينتهي إلىٰ أنَّ النُّبوَّة للعوامِّ والولاية للخواصِّ، فإذا رأيت عاميًّا في التَّصوُّف يقف علىٰ الشَّريعة فاعلم أنَّ وقوفه ليس وقوف تقديرٍ، وإنَّما هو من باب أنَّ علوم الحقيقة أكبر من قدره، فهي للأقطاب والنُّجباء فقط، ويوافقنا علىٰ ذلك الدُّكتور زكي مبارك.

قال الصُّوفيُّ: ماذا قال في ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: يقول د/ زكي مبارك في كتاب «التَّصوُّف» (١/ ١٨٢): إنَّ ابن عربيٍّ يحلُّ هذه المشكلة حلًّا طريفًا، وهو ينصح للعوامِّ أن يكتفوا بالشَّريعة، فيفهموا الثَّواب والعقاب علىٰ نحو ما يفهم جمهور المسلمين، ويحتفظ بذلك

السُّموِّ الرَّوحانيِّ للأقطاب الواصلين فمَنْ سَمَتْ له التَّجلِّيات إلىٰ مقام الفناء عرف أنَّه لا موجود إلَّا الله، واستطاع أن يقول: أنا الله، ولهذا الرَّأي خطرٌ عظيمٌ من الوجهة الأخلاقيَّة، فالعارف يرىٰ النَّاس جميعًا مُضلَّلين ولكنَّه يعذرهم، وينظر إليهم كما ينظر الرَّجل إلىٰ صغار الأطفال. انتهىٰ.

قال الصُّوفيُّ: هل الفلاسفة يعتقدون أنَّ النُّبوَّة مكتسبةٌ؟

قال السُّنِّيُّ: الفلاسفة لا يؤمنون بدعوة الأنبياء ولا بالبعث ولا بالحساب ويرون النُّبوَّة مكتسبةً، وقد راج هذا الكلام علىٰ أحد الصُّوفيَّة فراح يبحث عنها علىٰ طريقة الفلاسفة.

قال الصُّوفيُّ: من هذا الرَّجل؟

قال السُّنِّيُّ: هو ابن سبعين، ولمَّا لم يبلغ تلك الدَّرجة قال مقولته الشَّنيعة: «لقد ضيَّق ابن آمنة واسعًا». يقصد النُّبوَّة.

قال الإمام الذَّهبيُّ -رحمه الله تعالىٰ- في ترجمته لابن سبعين: اشتهر عنه أنَّه قال: لقد تحجَّر ابن آمنة واسعًا بقوله: «**لا نبيَّ بعدي**». وجاء من وجهٍ آخر أنَّه قال: لقد زرب ابن آمنة علىٰ نفسه حيث قال: «**لا نبيَّ بعدي**». انتهىٰ.

فعاقبه الله علىٰ تلك المقولة بأن حرمه من دخول المسجد النَّبويِّ الشَّريف، وكان كلَّما أراد الدُّخول يحيض كما تحيض النِّساء، فيرجع ويغتسل، ثم يعاود الكرَّة فيحيض، ولم يزل كذلك حتَّىٰ رحل. انظر: «التَّصوُّف في ميزان البحث والتَّحقيق» للسِّنديِّ (ص٢٠٥)، و«العقد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين» للفاسي المكيِّ (٥/ ٣٢٦).

قال الصُّوفيُّ: اللَّهمَّ أحسن ختامنا يا ربِّ. لكن أنا لي تعليقٌ علىٰ كلام الولاية والنُّبوَّة.

قال السُّنِّيُّ: ماذا تريد؟

قال الصُّوفيُّ: أذكر أنَّ بعضهم قال: إنَّ ابن عربيٍّ لم يقصد أنَّ الوليَّ أعظم من النَّبيِّ، وإنَّما قصد أنَّ النَّبيَّ بكونه وليًّا أعظم من كونه مجرَّد نبيٍّ فقط.

قال السُّنِّيُّ: نعم أوَّلَ بعضُهُم كلام ابن عربيٍّ علىٰ ذلك، وهذا جهلٌ واضحٌ؛ لأنَّ الولاية لا تفارق النُّبوَّة علىٰ أيِّ حالٍ، فالنَّبيُّ وليٌّ في كلِّ أحواله.

قال الصُّوفيُّ: هل ادَّعىٰ ابن عربيٍّ مقام خاتم الأولياء؟

قال السُّنِّيُّ: نعم زعم أنَّ الولاية خُتِمَت به، وشاركه التِّيجانيُّ وغيره، وكان أوَّل من تكلَّم في تلك المرتبة رجلٌ يقال له: الحكيم التِّرمذيُّ، ونفوه من ترمذ لأجل ذلك، ورحل إلىٰ بلخٍ، وقد كانوا يوافقونه علىٰ ذلك.

قال الصُّوفيُّ: وما الخطأ في القول بخاتم الأولياء؟

قال السُّنِّيُّ: لفظ خاتم الولاية لا ينصرف إلَّا علىٰ آخر من يموت من أمَّة محمَّدٍ ﷺ، وخير الأولياء علىٰ الإطلاق بعد الأنبياء هو أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأولياء الله هم المتَّقون إلىٰ قيام السَّاعة، الَّذين إذا رُؤُوا ذكَّروا النَّاس بالله تعالىٰ، فمن كان لله تقيًّا كان لله وليًّا، فكلُّ مسلمٍ تقيٌّ فهو لله تعالىٰ وليٌّ، قال تعالىٰ: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

قال الصُّوفيُّ: هذا فقط هو وجه اعتراضك علىٰ ابن عربيٍّ الحاتميِّ الأندلسيِّ؟

قال السُّنِّيُّ: كلَّا، هناك اعتراضاتٌ كثيرةٌ.

قال الصُّوفيُّ: إذن أخبرني عن محور فلسفة ابن عربي؟

قال السُّنِّيُّ: تدور فلسفة ابن عربيٍّ حول وحدة الوجود، فلا فرق عنده بين أرضٍ ولا سماءٍ، ولا إنسٍ ولا جانٍّ، ولا صالحٍ ولا طالحٍ، ولا نباتٍ ولا حيوانٍ، ولا وليٍّ ولا شيطانٍ، ولا شرعٍ ولا قدرٍ، ولا أختٍ ولا زوجةٍ، فالكلُّ عند ابن عربيٍّ شيءٌ واحدٌ، وهذا الشَّيءُ الواحد هو الله -تعالىٰ الله عمَّا يقول علوًّا كبيرًا-، ومن ثمَّ فالدِّين الحقُّ عند ابن عربيٍّ هو مجموع الأديان؛ لأنَّ الكلَّ هو الله، ومن أشعاره في ذلك:

فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ عَيْنُه

وقال:

عَقَدَ البَرِيَّةُ فِي الإِلَهِ عَقَائِدًا ... وَأَنَا اعْتَقَدْتُ جَمِيعَ مَا اعْتَقَدُوهُ

وقال كما في «ترجمان الأشواق» (ص٣٩):

لَقَدْ صَارَ قَلْبِي قَابِلًا كُلَّ صُورَةٍ ... فَمَرْعَىٰ لِغُزْلَانٍ وَدَيْرُ رُهْبَانِ

وَبَيْتٌ لِأَوْثَانٍ وَكَعْبَةُ طَائِفٍ ... وَأَلْوَاحُ تَوْرَاةٍ وَمُصْحَفُ قُرْآنِ

وقد شارك الحلَّاجُ ابنَ عربيٍّ في معتقد وحدة الأديان، فقال لأبي عبد الله الأزديِّ: اعلم أنَّ اليهوديَّة والنَّصرانيَّة والإسلام وغير ذلك من الأديان هي ألقابٌ مختلفةٌ، وأسامي متغايرةٌ، والمقصود منها لا يتغيَّر ولا يختلف. «أخبار الحلَّاج» (ص٣٩).

فالحلَّاج وابن عربيٍّ شيءٌ واحدٌ، إلَّا أنَّ ابن عربيٍّ يقول بوحدة الوجود، والحلَّاج يقول بثنائيَّة الوجود، وأنَّ الخالق يحلُّ في المخلوق، ومن أشعاره في ذلك:

مُزِجَتْ رُوحُكَ فِي رُوحِي كَمَا ... تُمْـزَجُ الخَمْـرَةُ بِالمَـاءِ الـزُّلَالِ
فَـإِذَا مَـسَّكَ شَـيْءٌ مَـسَّنِي ... فَـإِذَا أَنَـا أَنْـتَ فِـي كُـلِّ حَـالِ

قال الصُّوفيُّ: يعني تقصد أنَّ قول ابن عربيٍّ في الفصِّ الموسويِّ: إنَّ فرعون مات مؤمنًا وقبض طاهرًا؟ يؤوَّل علىٰ معتقد وحدة الوجود؟

قال السُّنِّيُّ: نعم يؤوَّل علىٰ ذلك. فهذا هو الأصل عنده.

قال الصُّوفيُّ: ولكن الرُّدود السُّنِّيَّة إنَّما تنفي أن يكون فرعون مات مؤمنًا بالله تعالىٰ.

قال السُّنِّيُّ: نعم هذا صحيحٌ لأنَّ كثيرًا من أتباع الصُّوفيَّة لا يفقهون كلام ابن عربيٍّ ومقاصده، وكلامه قد يفهم منه ذلك؛ فاقتضىٰ الأمر من الأئمَّة الكبار إنكار تلك الجزئيَّة الخاصَّة بإيمان فرعون بالله تعالىٰ، هذا بالرُّغم أنَّ بعض الَّذين تعقَّبوا أقوال ابن عربيٍّ في فرعون قالوا: إنَّه كان مذبذبًا في اعتقاده بإيمان فرعون، فتارةً يجعله من أهل النَّار، وتارةً يقول: مات مؤمنًا وقبض طاهرًا مطهَّرًا.

وقد زعم غلاة الصُّوفيَّة أنَّ فرعون لم يدخل في آل فرعون الموعودين بالنَّار في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وقالوا: إنَّه سيورد قومه النَّار، أمَّا هو فلن يدخلها استنادًا إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨].

وهذا غير صحيحٍ من عدَّة أوجهٍ:

١- إجماع أهل الملل جميعًا من مسلمين ويهود ونصارىٰ علىٰ أنَّ فرعون من أهل النَّار.

٢- أنَّ ذكره في القرآن لا يخلو من مذمَّةٍ وقبحٍ، ولا يمكن أن يبقىٰ هذا الوصف ملازمًا له بعد إسلامه وإيمانه كما يزعمون.

٣- أنَّ النَّبيَّ ﷺ ضرب مثلًا لأبي جهلٍ بفرعون، وذلك حين أخبره ابن مسعود بقتل أبي جهلٍ قال ﷺ: «**هذا فرعون هذه الأمَّة**». قال الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» برقم (٩٩٦٥): رواه الطَّبرانيُّ ورجاله رجال الصَّحيح غير محمَّد بن وهب بن أبي كريمة وهو ثقةٌ. قلت: ورواه أحمد في «المسند» (٣٨١٤) عن عبد الله بن مسعودٍ، ومعلومٌ أنَّ أبا جهلٍ من أكابر المجرمين، فلو كان فرعون مؤمنًا لما اتَّخذ النَّبيُّ ﷺ اسمه لقبًا لأبي جهلٍ.

٤- أنَّ فرعون آمَنَ مضطرًّا، وهذا النَّوع من الإيمان لا ينفع صاحبه في الآخرة، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥].

أمَّا قولهم إنَّ الدَّاخل في النَّار هم آل فرعون وليس فرعون فهذا غير صحيحٍ من وجهين، كما هو الظَّاهر من كلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ:

١- أنَّ لفظ الآل يدخل فيه نفس الشَّخص، فقد نجَّىٰ الله تعالىٰ آل لوط

من العذاب، وكان من جملتهم لوطٌ، قال تعالىٰ: ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٥٩].

٢- أنَّ آل الرَّجل ممَّن يؤول إليه، ونفسه ممَّن يئول إليه.

أمَّا أنَّه يقدُم قومه يوم القيامة فهذا دليلٌ علىٰ أنَّه لَأوَّل من يرد النَّار منهم؛ لأنَّه لو كان ناجيًا لقال يسوقهم، ويكفي أنَّ الله تعالىٰ ختم لهم جميعًا باللَّعنة ولم يستثن منهم أحدًا، قال تعالىٰ: ﴿ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [هود: ٩٩].

قال الصُّوفيُّ: هذه والله حججٌ شافيةٌ، وأنا مطمئنٌّ لها.

قال السُّنِّيُّ: هذه حجج أهل السُّنَّة. كافيةٌ شافيةٌ مانعةٌ.

قال الصُّوفيُّ: وما الحقيقة المحمَّدية؟

قال السُّنِّيُّ: الحقيقة المحمَّدية مصطلحٌ صوفيٌّ قديمٌ، معناه أنَّ محمَّدًا ﷺ هو النُّور الَّذي كان من الله، فأظهر الله به نفسه فعرف به، وتعيَّنت له به أسماء وصفات، تنزَّلت فيما بعد في المظاهر الكونيَّة، فصورة الوجود عندهم هي محمَّدٌ. ومحمَّدٌ من حيث القدم يمدُّ الأنبياء بالأنوار والفيوضات، ومن حيث إنَّه حديث فهو نبيٌّ ورسولٌ، وهو عند ابن عربيٍّ صورة كلِّ موجودٍ.

وقد أشار الحلَّاج إلىٰ تلك النَّظريَّة كما أشار إليها ابن عربيٍّ أيضًا، وتعتبر أوراد الطُّرق الصُّوفيَّة القديمة والمعاصرة علىٰ السَّواء صورةٌ معبِّرةٌ عن معتقد الحقيقة المحمديَّة. فهذا ذكر شيخ الطَّريقة العزميَّة في فتوحاته كما في

كتاب «نيل الخيرات»: اللَّهمَّ أوصل صلة الصَّلاة علىٰ قبضة أنوارك الذَّاتيَّة، ومجلَىٰ أسرارك الكَنزيَّة، وسرِّ تجلِّي العوالم الصِّفاتيَّة، ومصدر حقائق المظاهر الأسمائيَّة، الجامع بين أوليَّة الحقِّيَّة في مقام الأحديَّة، وبين الآخريَّة في مقام الواحديَّة، وبينهما في مقام الوحدانيَّة. انتهىٰ.

هذا هو معنىٰ الحقيقة المحمديَّة تمامًا: «نورٌ وسرٌّ ومجلًىٰ»، فهو الذَّات الأحديَّة، وهو المرتبة الواحديَّة وهكذا، ولقد ظهر هذا المعتقد مجاراةً للنَّصارىٰ في الحقيقة العيسويَّة.

قال الصُّوفيُّ: وماذا في هذا؟

قال السُّنِّيُّ: ألست تعقل يا رجل؟

قال الصُّوفيُّ: أريدك أن توضِّح لي موضع الكفر في معتقد الحقيقة المحمَّديَّة.

قال السُّنِّيُّ: إذا كنت لا تستكشف موضع الكفر في هذا الكلام فأنت لا تحقِّق ولا تستفسر عمَّا تسمعه من شيوخك..

قال الصُّوفيُّ: اعذرنا يا شيخ: من يعترض ينطرد، وأنا أخاف الطَّرد.

قال السُّنِّيُّ: أنت تذكِّرني بما كان يقوله قوم هودٍ له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: ٥٤]. ولكنَّه لم يكن خائفًا مثلك، بل كان يردُّ عليهم بكلِّ قوَّة قائلًا لهم: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود: ٥٤-٥٥]. فخوف العبادة لا يكون من الله تعالىٰ وحده، فإذا وُجِّه إلىٰ غير الله تعالىٰ صار شركًا.

قال الصُّوفيُّ: وماذا في معتقد الحقيقة المحمَّديَّة؟

قال السُّنِّيُّ: هذا معتقدٌ محدثٌ لا يعرف في الكتاب ولا في السُّنَّة، ولم يقل به إمامٌ من الأئمَّة المشهود لهم بالدِّيانة والدِّراية، لا من الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ولا مَنْ بعدهم، وإنَّما كانوا يقولون: هو عبد الله ورسوله، عبدٌ وليس ربٌّ، ورسولٌ وليس بكاذبٍ، ليس قطبًا تجري الأمور بيديه، ولا يملك خزائن الله تعالىٰ، وقد قال ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النَّصارىٰ المسيح ابن مريم إنَّما أنا عبدٌ فقولوا: عبد الله ورسوله**». رواه البخاريُّ.

قال الصُّوفيُّ: أنا سأخبرك بمفاجأةٍ.

قال السُّنِّيُّ: وأيُّ مفاجأةٍ؟

قال الصُّوفيُّ: كنت جالسًا مع أحد كبار الشُّيوخ، وسمعت منه أنَّ جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ سأل النَّبيَّ ﷺ كيف تعجل بالقرآن قبل أن أتلوه عليك؟ فأجابه النَّبيُّ قائلًا: ارفع السِّتر مرَّةً حين يُلقىٰ إليك الوحيُ، ففعل جبريل فرأىٰ محمَّدًا هو الَّذي يوحي إليه، فصاح مسبِّحًا منك وإليك يا محمَّد!

قال السُّنِّيُّ: هل سمعت هذا الكلام؟

قال الصُّوفيُّ: نعم سمعته.

قال السُّنِّيُّ: ألم أقل لك: إنَّ طريقكم يبدأ بالذِّكر وينتهي بالإلحاد.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: تقول لي: كيف ذلك؟

قال الصُّوفيُّ: أظنُّ أنَّ القضيَّة أكبر من عقلي، ولم أعد أفهم شيئًا.

قال السُّنِّيُّ: هذا القول الَّذي ذكرته باطلٌ من عدَّة أوجهٍ:

الوجه الأوَّل: أنَّ النَّبيَّ ﷺ فوجئ بالنُّبوَّة ثمَّ بالرِّسالة، فلم يكن يعرف عنهما شيئًا من قبل، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

الوجه الثَّاني: لم يكن النَّبيُّ ﷺ لديه القدرة علىٰ استدعاء جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟ وقد عرض عليه أن يزوره كثيرًا، فبيَّن له جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنَّ هذا لا يكون إلَّا بأمر الله تعالىٰ لا بأمره.

وفي الصَّحيح قال ﷺ: «**يا جبريل، ما يمنعك أن تزورنا أكثر ممَّا تزورنا**». فنزل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]. رواه البخاريُّ في بدء الخلق (٣٠٤٦)، والتِّرمذيُّ في التَّفسير (٣١٥٨)، وأحمد في «المسند» (٢٠٤٤).

الوجه الثَّالث: أنَّ قول من قال: إنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يردِّد القرآن قبل أن يوحيه جبريل إليه. مستدلًّا بقوله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٧]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤]. قول غير صحيح، وبيانه أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يحرِّك شفتيه بالتَّرديد مع جبريل ﷺ ليدرك حفظ القرآن الَّذي يتلىٰ عليه، فأغناه الله عن ذلك بحفظه له في صدره، قال ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: كان النَّبيُّ ﷺ يُعالِج من التَّنزيل شِدَّة وكان يحرِّك شفتيه. متَّفقٌ عليه. البخاريُّ: بدء الوحي (٥).

قال الصُّوفيُّ: أظنُّ أنَّ لابن عربيٍّ دخلًا في هذا المعتقد.

قال السُّنِّيُّ: نعم.

قال الصُّوفيُّ: إذن فلماذا خفي أمره علىٰ النَّاس؟

قال السُّنِّيُّ: يعتبر أهل السُّنَّة أنَّ ابن عربيٍّ وابن سبعين في الأصل من الشِّيعة الرَّوافض، ولكنَّهما اختفيا في الصُّوفيَّة، ليظهرا أنَّهما من فقراء الزُّهَّاد والعُبَّاد؛ فيروج ضلالهما علىٰ النَّاس.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ في «درء التَّعارض» (١/ ٣١٨): وهم من جنس الملاحدة المنتسبين إلىٰ التَّشيُّع. انتهىٰ. وقال في نفس المصدر (١/ ٣١٩): فإنَّهم لمشاركتهم الجمهور في الانتساب إلىٰ السُّنَّة والجماعة يخفىٰ من إلحاد الملحد الدَّاخل فيهم ما لا يخفىٰ من إلحاد ملاحدة الشِّيعة، وإن كان إلحاد الملحد منهم أحيانًا قد يكون أعظم، كما حدَّثني نقيب الأشراف أنَّه قال للعفيف التِّلمسانيِّ: أنت نصيريٌّ؟ فقال: نصير جزء منِّي. انتهىٰ.

قال الصُّوفيُّ: دعنا من هذا الرَّجل فإنِّي لا أخفيك سرًّا أنِّي لا أحبُّه، فقد قال أقوالًا لم يقلها اليهود ولا النَّصارىٰ، وأظن أنَّه أشدُّ كفرًا منهم.

قال السُّنِّيُّ: هذا شيء طيِّبٌ، فمن الصُّوفيَّة من يتبرَّأ من هذا الرَّجل مثلك، وقد ذكر ابن العماد في «الشَّذرات» (٤/ ١٦٠): أنَّ زين الدِّين عبد القادر المكِّيَّ الشَّيبانيَّ الحنفيَّ: كان يميل إلىٰ الصُّوفيَّة مع أنَّه يبالغ في ذمِّ ابن عربيٍّ وأتباعه، وأحرق كتبه.

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان يكثر الحطَّ علىٰ ابن عربيٍّ وغيره من متصوِّفي الفلاسفة، وبالغ في ذلك، وصار يحرق ما يقدر عليه من كتب ابن عربيٍّ، وربط مرَّة كتاب «الفصوص» في ذَنَبِ كَلْب، وصارت له بذلك سوقٌ نافقةٌ عند جمعٍ كثيرٍ، وقام عليه جماعةٌ من أضداده فما بالىٰ بهم. انتهىٰ.

قال الصُّوفيُّ: دعك من هذا، ولكن أنا كنت في مولد البدويِّ، وقد كانت هناك ذبائح كثيرةٌ قدِّمت لهذا القطب المهاب والوليِّ الكبير؛ رجاء بركته وفضله، فهل تقبل من فقيرٍ دعوةً إلىٰ تناول العشاء علىٰ تلك الذَّبائح؟

قال السُّنِّيُّ: كيف أتناول العشاء من طعامٍ ذبح لغير الله تعالىٰ وقصد به سواه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣].

قال ابن تيميَّة في «دقائق التَّفسير» (٣/ ١٣٠): فكلُّ ما ذبح لغير الله فلا يؤكل لحمه. انتهىٰ.

قال الصُّوفيُّ: ولكنَّ هذه نذورٌ واجبةٌ علىٰ النَّاس، وهم يوفون للبدويِّ ابتغاء وجه الله تعالىٰ.

قال السُّنِّيُّ: مدح الله الوفاء بالنَّذر، ولكنَّه لم يمدح عقد النَّذر، ولما كان النَّذر عبادة لم يجز أن يصرف شيءٌ منها لغير الله تعالىٰ.

قال العلَّامة العثيمين -رحمه الله تعالىٰ- في «القول المفيد» (/ ٢٤٥): النَّذر لغير الله لا ينعقد إطلاقًا، ولا تجب فيه كفَّارة، بل شركٌ تجب التَّوبة منه، كالحلف بغير الله، فلا ينعقد، وليس فيه كفَّارة. انتهىٰ.

والنَّذر في أيِّ نوع من أنواع التَّكاليف الواجبة أو المستحبَّة لا يجلب نفعًا لم يقدَّر، ولا يدفع ضرًّا قدِّر، وإن قصد به وجه الله تعالىٰ، فكيف بنذر الشِّرك الَّذي يقدَّم لغير الله تعالىٰ وفي معصية الله تعالىٰ يجلب خيرًا أو يدفع ضرًّا؟!

أمَّا قولك: إنَّها نذور قصد بها وجه الله تعالىٰ، فهذا كلام غير منضبط، ويتحقَّق ذلك في ثلاثة مواضع:

الأوَّل: في قول النَّاذر: «نذرت لك يا بدويُّ». فيجعله باسمه.

الثَّاني: في كونه قصد به تعظيم المتقرَّب إليه وإن لم يسمِّ عليه.

والثَّالث: في تعلُّقه به، وظنِّه أنَّه بسبب هذا النَّذر سيجلب له ما يحبُّ ويدفع عنه ما يضرُّ؛ لما له من خصوصيَّة قبول النَّذر، وهذا كلُّه من أعظم أنواع الشِّرك بالله تعالىٰ.

قال الصُّوفيُّ: إذن تعال ولا تأكل، فعندنا أمورٌ كثيرةٌ لعلَّها تعجبك، وسنحتفل بمولد الرَّسول ﷺ وستوزَّع الحلوىٰ فَكُلْ منها.

قال السُّنِّيُّ: أنا لا أقبل ذلك أبدًا.

قال الصُّوفيُّ: ولماذا؟

قال السُّنِّيُّ: فرارًا بديني من الفتنة.

قال الصُّوفيُّ: تعال للفرجة والمشاهدة.

قال السُّنِّيُّ: إذن يلزمني الإنكار علىٰ أيِّ مُنْكَر تراه عيني، وإعلان ذلك علىٰ الملأ.

قال الصُّوفيُّ: لا إذا كنت ستأتي زائرًا مستمعًا فأهلًا بك، وإلَّا فإنَّ الكرامات والمقامات والأحوال من الأولياء لن تظهر إذا حضرت بهذه الطَّريقة.

قال السُّنِّيُّ: نحن نرفض الموالد من الأصل، ونقول: إنَّها بدعةٌ في الدِّين.

قال الصُّوفيُّ: الموالد بدعةٌ! كيف تقول ذلك؟ الموالد حبٌّ للرَّسول ﷺ وتعظيمٌ ليوم مولده؛ فكيف لا تعظِّمون يوم مولده، وتذكرون فيه مآثره؟ هذا جفاءٌ شديدٌ.

قال السُّنِّيُّ: الموالد صورةٌ معبِّرةٌ عن عظم تخلُّف المجتمعات الإسلاميَّة، وحيادها عن صراط الله المستقيم، وإذا أردنا أن نظهر صورة الإسلام جليَّةً واضحةً فلا يمكن أبدًا أن يكون للموالد فيها نصيبٌ، فالموالد مسبَّةٌ للتَّوحيد ومذمَّة للسُّنَّة، ومعرَّة للرُّجولة ومضيعة للدِّين والدُّنيا معًا.

قال الصُّوفيُّ: كيف يكون ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: سأختصر لك الطَّريق أيُّها الصُّوفيُّ، وأقول لك بكلِّ وضوحٍ:

١ - الموالد أهواءٌ شيعيَّةٌ خبيثةٌ، والدَّليل على ذلك أنَّكم اتَّخذتم مولدًا للحسين ولم تتَّخِذُوا مولدًا لعليِّ بن أبي طالبٍ أتدري لماذا؟ الجواب: لأنَّكم لو اتَّخذتم مولدًا لعليٍّ لاتَّخذ المسلمون موالد لغيره من الخلفاء الرَّاشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والشِّيعة لا يريدون ذلك لأنَّهم يكفِّرون الخلفاء، ولذا اتَّخذوا مولدًا للحسين ولم يتَّخذوا مولدًا لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فصرتم في عباءة الشِّيعة من حيث لا تدرون.

٢- الموالد لم تكن من سنَّة الرَّسول ﷺ ولا من هدي أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولا من هدي الأئمَّة في القرون الثَّلاثة المفضَّلة ولا الَّتي بعدها، فلم يتعبَّدوا الله تعالىٰ بها مع حبِّهم الشَّديد لرسول الله ﷺ، ووجود المناسبات الكثيرة والأحداث الهائلة، الَّتي لو كانت عند غيرهم لاتَّخذوها أعيادًا، ومع ذلك لم يفعلوا؛ لأنَّ الأعياد شرع، وحيث لم يرشد الشَّرع إلىٰ الاحتفال بهذه المناسبات فلا يجوز الاحتفال بها؛ فهي بدعةٌ محدثةٌ في الدِّين مخالفةٌ للشَّريعة؛ ففيها تعيين هيئةٍ مخصوصةٍ في زمنٍ مخصوصٍ بدون أمرٍ من الشَّارع.

وقد ابتدعت الموالد بعد هذه القرون المفضَّلة علىٰ أيدي الفاطميِّين الزَّنادقة في مصر، وذلك في القرن الرَّابع الهجريِّ، والملك المظفَّر في الشَّام في القرن السَّابع الهجريِّ.

قال الصُّوفيُّ: ولكن النَّبيَّ ﷺ كان يحتفل بيوم مولده ﷺ علىٰ ما منَّ الله تعالىٰ به عليه من النُّبوَّة والرِّسالة بصوم يوم الاثنين من كلِّ أسبوعٍ.

قال السُّنِّيُّ: نعم كلَّ أسبوعٍ، وليس بصيام يوم الثَّاني عشر من ربيعٍ الأوَّل كلَّ عامٍ، وعلىٰ ذلك فتخصيص يومٍ بعبادة دون مخصِّصٍ في الشَّرع يعتبر استدراكًا علىٰ الله تعالىٰ ورسولِهِ ﷺ، وهذا دليلٌ علىٰ البغض والمعاداة، وليس دليلًا علىٰ المحبَّة. فإذا كنتم تزعمون محبَّة النَّبيِّ ﷺ وتعظيمه لكان الخير لكم في الاهتداء بهديه ﷺ، والاستنان بسنَّته، وصيام يوم الاثنين كلَّ أسبوع، وترك تلك القصص الزَّائفة والمدائح الكاذبة، والتَّصنُّع الممقوت

الَّذي تفعلونه في تلك الموالد، والدُّخول في الإسلام كافَّة، وعدم الابتداع في الدِّين، وإن كان يراد بها التَّقرُّب إلىٰ الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

قال مجاهدٌ وقتادة: نزلت في المسلمين يأمرهم بالدُّخول في شرائع الإسلام كلِّها. انظر: «زاد المسير» (١/ ٢٢٤).

أمَّا أن تبتدعوا الموالد لتخالف هدي النَّبيِّ ﷺ ولتتَّخذ موائد للحشَّاشين وملاعب مع المردان ومصائد للنِّساء، فهذا ممَّا لا يليق بأي مسلمٍ، فضلًا عن رجلٍ يزعم محبَّة الله تعالىٰ ورسوله ﷺ.

فلأجل تلك العوامل السَّابقة فلا يجوز الذَّهاب إلىٰ الموالد للفرجة أو للفسحة.

قال الصُّوفيُّ: كيف تقول إنَّها موائد للحشَّاشين، نحن ننكر هذا ولا نقبله.

قال السُّنِّيُّ: هذا هو الواقع.

قال الصُّوفيُّ: لا شأن لنا به، فقد قلت لك ما يضرُّ البحر تبوُّل النَّاس فيه.

قال السُّنِّيُّ: لعلَّ ذاكرتك ضعيفة أيُّها الصُّوفيُّ.

قال الصُّوفيُّ: ولم؟

قال السُّنِّيُّ: لأنَّ الحشيشة اكتشافٌ صوفيٌّ، وقد كانت طريقهم إلىٰ الفناء والوصول إلىٰ الله تعالىٰ.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: ذكر ذلك د/ زكي مبارك في كتابه «التَّصوُّف» (١/ ٣٢٢): قال حيدر في جملة وصاياه: إنَّ الله تعالىٰ خصَّكم بسرِّ هذا الورق؛ ليذهب بأكله همومكم الكثيفة، ويجلو بفعله أفكاركم الشَّريفة، فراقبوه فيما أودعكم، وراعوه فيما استرعاكم. وقد تلطَّف الشَّيخ حيدر فأوصىٰ أصحابه عند وفاته بإطلاع ظرفاء خراسان وكبرائهم علىٰ سرِّ هذا العقار، وقد أمرهم بزرع هذا الحشيش حول ضريحه بعد أن يموت. انتهىٰ.

قال الصُّوفيُّ: أنت تعترض علىٰ الموالد وتعترض علىٰ الرَّقص والتَّواجد، وقد ثبت في السُّنَّة أنَّ النَّبيَّ ﷺ تواجد؛ حتَّىٰ سقطت البردة من علىٰ كتفه لبيتين سمعهما من أبي محذورة، أمَّا البيتان فهما:

لَسَعَتْ حَيَّةُ الهَوَىٰ كَبِدِي ... فَلَا طَبِيبَ لَهَا وَلَا رَاقِي

إِلَّا الحَبِيبَ الَّذي شَغُفْتُ بِهِ ... فَإِنَّهُ عِلَّتِي وَتِرْيَاقِي

قال السُّنِّيُّ: هذا كذب علىٰ الرَّسول ﷺ، وفي الصَّحيح عنه: «**من كذب عليَّ فليتبوَّأ مقعده من النَّار**». وهذا الَّذي تقوله تشريع في الدِّين بغير إذن من الله تعالىٰ واستهانة بمقام الرَّسول ﷺ، وأنصحك ألَّا تَعُودَ لذلك.

قال الصُّوفيُّ: هذا هو الَّذي سمعتُهُ من شيوخنا.

قال السُّنِّيُّ: هذا الَّذي سمعتَهُ كذبٌ علىٰ رسول الله ﷺ. قال ابن تيميَّة كما في «المقاصد»: ما اشتهر أنَّ أبا محذورة أنشدهما بين يدي النَّبيِّ ﷺ، وأنَّه تواجد حتَّىٰ وقعت البردة الشَّريفة عن كتفيه فتقاسمها فقراء الصُّفَّة، وجعلوها رقعًا في ثيابهم كذبٌ باتِّفاق أهل العلم بالحديث، وما روي في ذلك فموضوع. انتهىٰ.

ولا أدري لماذا تعتمدون علىٰ الكذب والموضوع وتتركون الصَّحيح والحسن.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: للأسف أئمَّتكم لا يتقنون هذا العلم.

قال الصُّوفيُّ: ماذا تظنُّ فيهم؟

قال السُّنِّيُّ: هم لا شيء في هذا العلم فهذا الغزاليُّ قال عن نفسه: بضاعتي في علم الحديث مزجاةٌ. «رسالة قانون التَّأويل» (ص١٦). وقال الإمام الذَّهبيُّ في «السِّير» (١٩/ ٣٤٠): أمَّا «الإحياء» ففيه من الأحاديث الباطلة جملةٌ. انتهىٰ.

وقال ابن عربيٍّ:

لَسْتُ مِمَّنْ يَقُولُ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ لا وَلا أَحْمَـــدُ وَلا النُّعْمَـــانُ

وقال: لقد عرضت أحاديثه ﷺ جميعها عليه فكان يقول عن أحاديث صحَّت من جهة الصِّناعة: ما قلتها. وعن أحاديث ضعِّفت من جهتها: قلتها. انظر: «الشَّذرات» (٥/ ٢٠٠)، وبيَّن في الرَّسائل (ص٤) طريقة القوم في قبول الحديث وردِّه فقال: وهم أخذوه عن طريق الكشف عن قائله صحيحًا فتعبَّدوا به أنفسهم علىٰ غير ما تقرَّر عند علماء الرُّسوم. انتهىٰ.

ثمَّ انتهىٰ إلىٰ أن قال: جميع ما كتبته وأكتبه إنَّما هو عن إملاءٍ إلهيٍّ وإلقاءٍ ربَّانيٍّ، أو نفثٍ روحانيٍّ في روعٍ كيانيٍّ. انظر: «اليواقيت والجواهر» (٢/ ٢٤).

وزعم التِّيجانيُّ رؤية الرَّسول ﷺ وقال: رأيته مرَّةً ﷺ، وسألته عن الحديث الوارد في سيِّدنا عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قلت له: ورد عنك روايتان صحيحتان: واحدة قلت فيها: يمكث بعد نزوله أربعين. وقلت في الأخرىٰ: سبعًا. ما الصَّحيحة منها؟ قال ﷺ: رواية السَّبع. «جواهر المعاني» (١/ ٥٠).

وهذا أبو يزيد البسطاميُّ يقول: «أخذتم علمكم ميِّتًا عن ميِّت، وأخذنا علمنا عن الحيِّ الَّذي لا يموتُ».

ونحن نقول: إذا تهاونتم في حقِّ هؤلاء النَّقلة الثِّقات والجهابذة العظام فسنقول لكم: «إنَّ الدِّين الحقَّ لم ينقل إلينا إلَّا عن طريقهم، ولولا هم ما عرفنا نحن ولا أنتم عن الإسلام ولا عن نبيِّ الإسلام شيئًا».

قال الصُّوفيُّ: أنت تعلم أنَّ هؤلاء يعتمدون علىٰ الأخذ من الله تعالىٰ مباشرةً.

قال السُّنِّيُّ: كيف يثبت هؤلاء علومهم عن الله تعالىٰ وعن رسوله ﷺ بلا واسطةٍ، وقد انقطع الوحي وختمت النُّبوَّة؟

فلماذا لا يكون هذا الوحي الَّذي ينزل عليهم من تلابيس الشَّياطين، ولماذا لا يكون من أوهام العقل وأحاديث النَّفس؟ وأنت تعلم أنَّ هؤلاء ليسوا بأنبياء ولا رسل حتَّىٰ يعصموا من تلابيس الشَّياطين، أو ينسخ الله تعالىٰ لهم ما يُلْقىٰ عليهم من الخيالات والأوهام.

قال الصُّوفيُّ: وما الضَّرر في ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: تترك حديث رسول الله ﷺ وتدَّعي حبَّه، وتحتفل بمولده ثم تقدِّم عليه قول أبي يزيد، ثمَّ تقول ما الضَّرر في ذلك. هذا طريق القائلين بإسقاط التَّكاليف الشَّرعيَّة.

قال الصُّوفيُّ: أنا لا أترك حديثه ولكنِّي أتلقَّاه بطريقٍ غير طريق الإسناد الَّذي تعتمدون عليه.

قال السُّنِّيُّ: من ترك الإسناد فقد ترك الدِّين وبدَّله وحرَّفه، هكذا قال ابن المبارك: «الإسناد من الدِّين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء».

قال الصُّوفيُّ: وكيف يكون ذلك سبيلًا لإسقاط التَّكاليف الشَّرعيَّة؟

قال السُّنِّيُّ: لأنَّ التَّكاليف تعتمد علىٰ الإسناد، وبهدمك الإسناد؛ تكون قد أسقطت التَّكاليف، ثمَّ أنَّ عندكم طائفةٌ تقول صراحةً بإسقاط التَّكاليف الشَّرعيَّة.

قال الصُّوفيُّ: تقصد الملامتيَّة.

قال السُّنِّيُّ: نعم أتباع أبي حمدون القصَّار، الَّذين أباحوا لأنفسهم ارتكاب المحرَّمات، والولوج في الكفر والضَّلالات، وترك الفروض والسُّنن وسائر الطَّاعات.

قال الصُّوفيُّ: ولكن هؤلاء أرادوا أن يسقطوا جاههم عند النَّاس.

قال السُّنِّيُّ: نعم أرادوا أن يسقطوا جاههم عند النَّاس، ويبقىٰ جاههم عند الله تعالىٰ كما يزعمون، فلا جاههم عند النَّاس أبقوا، ولا حظَّهم عند الله نالوا؛ لأنَّهم أسقطوا التَّكاليف.

قال الصُّوفيُّ: الصُّوفيَّة يهتمُّون بالحقيقة والشَّريعة ولا يفرِّقون بينهما.

قال السُّنِّيُّ: الصُّوفيَّة متخبِّطون في الشَّرع والقدر، هذا هو الظَّاهر منهم، فهم يتركون الشَّريعة بالحقيقة تارةً، وبالفناء والسُّكر تارةً، وبمشاهدة الرُّبوبيَّة تارةً، وبالوصول تارةً، وبوحدة الوجود تارةً أخرىٰ.

فمن ترك الشَّريعة محتجًّا بالقدر قال مقولة الجيليِّ:

وَأَسْلَمْتُ نَفْسِي حَيْثُ أَسْلَمَنِي الهَوَىٰ   وَمَا لِي مِنْ حُكْمِ الحَبِيبِ تَنَازُع

إِذَا كُنْتُ فِي حُكْمِ الشَّرِيعَةِ عَاصِيًا   فَإِنِّي فِي عِلْمِ الحَقِيقَةِ طَائِع

ومن تركها بالسُّكر قال مقولة الشِّبليِّ:

وَنَسِيتُ اليَوْمَ مِنْ عِشْقِي صَلاتِي   فَلا أَدْرِي عِشَائِي مِنْ غَدَائِي

ومن تركها بوحدة الوجود قال مقولة ابن عربيٍّ في «فتوحاته» (٢/ ٤٠٦):

العَبْدُ رَبٌّ وَالرَّبُّ عَبْدٌ   يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنِ المُكَلَّفُ

إِنْ قُلْتُ رَبٌّ فَذَاكَ عَبْدٌ   أَوْ قُلْتُ رَبٌّ أَنَّىٰ يُكَلَّفُ

ومن تركها بالوصول قال مقولة أبي يزيد البسطاميِّ: «حدَّثني قلبي عن ربِّي».

قال الصُّوفيُّ: لكنَّ أوائل المشائخ كانوا ينكرون علىٰ من يسقط التَّكاليف؟

قال السُّنِّيُّ: نعم، ولكن أنت تتكلَّم عن قلَّة، لكن عامَّة الصُّوفيَّة يعيشون علىٰ هذا المنوال.

قال الصُّوفيُّ: ماذا تقصد بقلَّة؟

قال السُّنِّيُّ: أنتم تقولون: من بلغ اليقين سقط عنه التَّكليف.

قال الصُّوفيُّ: نعم.

قال السُّنِّيُّ: وهذا معلوم الفساد من الدِّين بالضَّرورة.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: اليقين الَّذي يحتجُّ به الصُّوفيَّة من قول الله تعالىٰ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]. هو الموت وليس هو الوصول كما

يزعمون، والدَّليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ عن الكافرين: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ [المدثر: ٤٦، ٤٧]. ولا يمكن أن يكون اليقين هو الوصول؛ لأنَّ الكفَّار لا يصلون إلَّا إلىٰ جهنَّم؛ ولذا فاحتجاج غلاة الصُّوفيَّة باليقين لقطع التَّكاليف زندقة، ثمَّ أنت تعلم أنَّ الخليفة لا يصلح أن يكون تاركًا للصَّلاة، وتعلم أنَّ تارك الصَّلاة يتقلَّب في واد الغيِّ والهلاك في جهنَّم كما قال تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

قال الصُّوفيُّ: ولذلك أنت تقول إنَّهم قلَّة.

قال السُّنِّيُّ: نعم الَّذين يثبتون التَّكاليف من الصُّوفيَّة قلَّة.

قال الصُّوفيُّ: اضرب مثلًا لي.

قال السُّنِّيُّ: نعم كان الجنيِّد بن محمَّد ينكر علىٰ من زعم أنَّ الوصول يسقط التَّكاليف. وقد حكىٰ القشيريُّ في «الرِّسالة» أنَّ رجلًا سأل الجنيِّد قائلًا: إنَّ أهل المعرفة بالله يصلون إلىٰ ترك الحركات من باب البرِّ والتَّقرُّب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

فقال الجنيِّد: إنَّ هذا قول قوم تكلَّموا بإسقاط الأعمال، وهو عندي عظيمة، والَّذي يسرق ويزني أحسن حالًا من الَّذي يقول هذا. انتهىٰ.

قال الصُّوفيُّ: علىٰ كلٍّ فنحن في اتِّباع الحقيقة في مقابل الشَّريعة لنا سلفٌ.

قال السُّنِّيُّ: من هذا السَّلف.

قال الصُّوفيُّ: الخضر مع موسىٰ -عليهما الصَّلاة والسَّلام.

قال السُّنِّيُّ: ابتداء: لم يكن موسىٰ رسولًا إلىٰ الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثانيًا: وإن قدر جوازًا استغناء الخضر ﷺ عن شريعة موسىٰ ﷺ في زمنه فهذا لا يحقُّ لأحدٍ في زمن النَّبيِّ محمَّدٍ ﷺ نبيًّا كان أو وليًّا، وذلك لأنَّ الله تعالىٰ أتمَّ لنبيِّه الدِّيانة، وأقام به الرِّسالة، ولا نبيَّ بعده، ولا وليَّ فوقه.

قال الصُّوفيُّ: أنت تعلم أنَّ الأنبياء جاءوا ليعلِّموا العوامَّ علم الظَّاهر، أمَّا علم الباطن فهذا لخاصَّة الأولياء.

قال السُّنِّيُّ: هذا إلحادٌ وزندقةٌ كما قال الأئمَّة، ويجب أن يكون الظَّاهر والباطن مرده إلىٰ الكتاب والسُّنَّة، وقولك هذا هو حقيقة مدخل القول بأنَّ الوليَّ فوق النَّبيِّ، وأنتم تعتبرون الخضر وليًّا وليس نبيًا! وعلىٰ كلٍّ فالخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يكن مخالفًا لشريعة موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والدَّليل علىٰ ذلك أنَّ موسىٰ ﷺ لما تبيَّن له مقصود الخضر ﷺ لم يختلف معه ولم يناوئه.

قال الصُّوفيُّ: لكن الخضر هو الَّذي يمد الأولياء بالعلم اللَّدنِّيِّ كما تعلم، قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

قال السُّنِّيُّ: الخضر نبيٌّ علىٰ قول الجمهور، وكونه تعلَّم العلم اللَّدنِّيَّ فهذا لا يعني أنَّه يعلم الغيب، ولا أنَّه يمدُّ أحدًا به، هذا كذبٌ عريضٌ من جهاتٍ كثيرةٍ منها: أنَّ الخضر لم يعرف موسىٰ إلَّا بعد أن عرَّفه موسىٰ بنفسه، قال له: «من أنت؟ فقال: أنا موسىٰ. فقال: موسىٰ بني إسرائيل. قال: نعم». متَّفقٌ عليه. وهذا غيبٌ نسبيٌّ، ومع ذلك لم يستطع الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يعرفه، فكيف يطَّلع علىٰ الغيب المطلق ويمدُّ الصُّوفيَّة بالعلوم اللَّدنيَّة؟

الأمر الآخر: أنَّ الخضر شهد بقصور علمه وعلم موسىٰ بجوار علم الله تعالىٰ وقال لَمَّا رأىٰ عصفورًا ينقر نقرةً أو نقرتين في البحر: «**يا موسىٰ، ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلَّا كنقرة هذا العصفور في البحر**». متَّفقٌ عليه.

قال الصُّوفيُّ: ولكن الخضر ﷺ يلق الأولياء في المفاوز والطُّرقات، ويعلِّمهم الاسم الأعظم ويثبِّتهم، هذا محفوظ عند شيوخنا.

يقول المرسيُّ أبو العبَّاس: وقد دخل عليَّ الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ مرَّة، وعرَّفني بنفسه، واكتسبت منه معرفة أرواح المؤمنين بالغيب، هل هي معذَّبة أو منعَّمة «المرسي» (ص٤٥). ويروي الشَّعرانيُّ عن أبي ترابٍ النَّخشبيِّ: وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: رأيت رجلًا بالبادية، فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا الخضر الموكَّل بالأولياء، أردُّ قلوبهم إذا شردت علىٰ الله. انظر: «الطَّبقات» (١/ ٧١).

قال السُّنِّيُّ: أنتم تقولون: قلوب الأولياء تشرد علىٰ الله، وتقولون: الأولياء معصومون. هذا خلط عجيب؛ فكيف بعد ذلك يحفظونكم بينما هم لا يقدرون علىٰ حفظ أنفسهم؟

وعلىٰ كلٍّ فهذا الَّذي ذكرت من لقاء الخضر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالأولياء في المفاوز كذب. وصدق والله في ذلك قول الإمام أحمد -رحمه الله تعالىٰ- حين ذكر له الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: من أحالك علىٰ غائب فما أنصفك، وما ألقىٰ هذا علىٰ ألسنة النَّاس إلَّا الشَّيطان. انتهىٰ.

قال الصُّوفيُّ: ترىٰ ماذا كان يجب علىٰ من رأىٰ ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: كان من الواجب علىٰ من رأىٰ تلك الصُّور والأشكال المجهولة أن يعتصم بالله تعالىٰ، ويقرأ شيئًا من القرآن خاصَّة آية الكرسيِّ، ليتفرَّق عنه هذا الضَّلال ولا يغترَّ به.

قال الصُّوفيُّ: هل تعرف أحدًا من الأئمَّة لم يغترَّ بتلك الصُّور؟

قال السُّنِّيُّ: نعم، كثير.

قال الصُّوفيُّ: من فضلك، اذكر لي أمثلةً علىٰ ذلك.

قال السُّنِّيُّ: يحكي عياض عن الفقيه أبي ميسرة المالكيِّ أنَّه كان ليلةً بمحرابه يصلِّي ويدعو ويتضرَّع، وقد وجد رقَّة؛ فإذا المحراب قد انشقَّ، وخرج منه نورٌ عظيمٌ، ثم بدا له وجهٌ كالقمر، وقال له: تملَّأ من وجهي يا أبا ميسرة، فإنا ربُّك الأعلىٰ، فبصق في وجهه، وقال: اذهب يا لعين عليك لعنة الله. «الموفقات» (٢/ ٢٠٩، ٢١٠).

ويحكىٰ أيضًا عن عبد القادر الكيلانيِّ أنَّه عطش عطشًا شديدًا؛ فإذا سحابة قد أقبلت، وأمطرت عليه شبه الرَّذاذ، حتَّىٰ شرب، ثم نودي من سحابة: يا فلان أنا ربُّك! وقد أحللت لك المحرَّمات! فقال: اذهب يا لعين فاضمحلَّت السَّحابة، وقيل له: بما عرفت أنَّه إبليس؟ قال: بقوله: قد أحللت لك المحرَّمات. المصدر السَّابق (٢٠٩، ٢١٠).

فهذا الشَّيطان ادَّعىٰ لأبي ميسرة ولعبد القادر أنَّه ربُّ العالمين، فلا يبعد أن يدَّعي أنَّه الخضر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أو أنَّه الرَّسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لكنَّ قوَّة الدِّين تمنع من التَّلبيس.

قال الصُّوفيُّ: كيف؟

قال السُّنِّيُّ: فقد حالت دون تلبيس الشَّياطين علىٰ الصَّحابة -رضوان الله عليهم- في مثل ما لبَّسوا به علىٰ الصُّوفيَّة، فلم ينقل أنَّ أحدهم قابله الشَّيطان، وقال له: أنا الخضر أو غيره، فما كان يجرؤ علىٰ لقائهم بهذا التَّلبيس.

قال الصُّوفيُّ: أنت تثبت الكرامات أيُّها السُّنِّي.

قال السُّنِّيُّ: نعم، أثبت الكرامات، ولكنَّني لا أثبت التَّدليس ولا التَّلبيس.

قال الصُّوفيُّ: يعني كرامات الصُّوفيَّة تدليس؟

قال السُّنِّيُّ: فيها كثير من التَّدليس والاستخفاف بالعقول.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: لا تصدِّق الكرامات إذا كانت محاطة بالجهل بالسُّنن والآثار والتَّوحيد، أو كان للشَّيطان فيها تمكُّن ونصيب، فعند الصُّوفيَّة من يزعم أنَّ الأرض انزوت له؛ فوضع إحدىٰ رجليه في الشَّام والأخرىٰ في الحجاز وما هو إلَّا شيطان قد حمله.

ومنهم من يقول أنا أصلِّي في الجنَّة، وما تراه يصلِّي إلَّا في مزبلة، ولكن الشَّيطان يضحك عليه، وآخر كان يخطب الجمعة وهو جنب، فنظر كيف يفعل فوجد شيخه يمدُّ إليه كمَّه؛ ليدخل فيه فيغتسل ويتوضَّأ ثمَّ يخرج منه ليتمَّ الخطبة والصَّلاة، والشَّعرانيُّ يفكُّ بكارة زوجته علىٰ قبَّة البدويِّ، إلىٰ غير ذلك من الخرافات والشَّعبذات.

قال الصُّوفيُّ: نعم أنا أقرُّ معك أن كتبًا كثيرةً في التَّصوُّف مليئة بالخرافات والدَّجل، ولكن ليست تلك الكتب معتمدةً عندنا.

قال السُّنِّيُّ: الطُّيور علىٰ أشباهها تقع.

قال الصُّوفيُّ: ماذا تقصد؟

قال السُّنِّيُّ: المفهوم واحدٌ.

قال الصُّوفيُّ: تقصد توارد الخواطر.

قال السُّنِّيُّ: نعم المجاهدات واحدةٌ والرِّياضات مشتركةٌ والنَّتائج واحدةٌ.

قال الصُّوفيُّ: كيف؟

قال السُّنِّيُّ: اسمع إلىٰ هذا الَّذي يقوله الشَّعرانيُّ في حقِّ البدويِّ تجد أنَّ الصُّوفيَّة باختلاف ألوانهم يقفون في صفٍّ واحدٍ خلف تلك الشَّعبذات، بصرف النَّظر عن كونهم قرءوا ذلك في «الطَّبقات» أو في «الإحياء» أو في «الدَّلائل».

قال الصُّوفيُّ: ماذا قال الشَّعرانيُّ؟

قال السُّنِّيُّ: قال الشَّعرانيُّ في «الطَّبقات» (١/ ١٦٢): أخبرني شيخنا الشَّيخ محمَّد الشِّنَّاوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنَّ شخصًا أنكر حضور مولده -يقصد البدويَّ- فسلب الإيمان فلم يكن فيه شعرة تحن إلىٰ دين الإسلام؛ فاستغاث بسيِّدي أحمد البدويِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له: بشرط أن لا تعود. فقال: نعم. فردَّ عليه ثوب إيمانه، ثمَّ قال له: وماذا تنكر علينا؟ قال: اختلاط الرِّجال بالنِّساء. فقال له سيِّدي أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذلك واقع في الطَّواف، ولم يمنع منه أحدٌ، ثمَّ قال: وعزَّة ربِّي ما عصىٰ أحد في مولدي إلَّا وتاب وحسنت توبته. انتهىٰ.

قال الصُّوفيُّ: وماذا في ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: ألم يسترعك شيءٌ؟

قال الصُّوفيُّ: وأي شيء؟

قال السُّنِّيُّ: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

قال الصُّوفيُّ: ولم تسترجع؟

قال السُّنِّيُّ: لأنَّك لم تعط فرقانًا، يميِّز لك بين الحقِّ والباطل.

قال الصُّوفيُّ: وأيُّ باطلٍ في هذا؟

قال السُّنِّيُّ: كيف ينسب إلىٰ البدويِّ القدرة علىٰ سلب الإيمان من النَّاس وردِّه إليهم؟ وكيف يتعلَّق ذلك برجلٍ ينكر المنكر؟

قال الصُّوفيُّ: ألم يقل الرَّسول ﷺ: إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور؟

قال السُّنِّيُّ: لا حول ولا قوة إلَّا بالله.

قال الصُّوفيُّ: لماذا تحوقل؟

قال السُّنِّيُّ: أدلَّة موضوعةٌ خارجة عن الصِّراط المستقيم والتَّوحيد الخالص.

قال الصُّوفيُّ: لماذا؟

قال السُّنِّيُّ: أنتم ترون الاستغاثة بالأولياء ترياقًا مجرَّبًا لا يخيب، ومنكم من يرىٰ أن الاستغاثة بالبدوي أعظم من الاستغاثة بالله تعالىٰ، حتَّىٰ جعلتموه القطب المهاب الَّذي إذا دُعِيَ في البرِّ والبحر أجاب، وتطلقون عليه وعلىٰ غيره لفظ

الغيَّاث أو المغيث، وما هو بغيَّاث ولا مغيث، إنَّما الغيَّاث والمغيث هو الله تعالىٰ؛ لأنَّه المالك الَّذي لا شريك له، الآمر الَّذي لا وزير له، القادر الَّذي لا معاون له. والاستغاثة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الله تعالىٰ شرك أكبر بالله تعالىٰ؛ وذلك لأنَّ المستغيث أعطىٰ المستغاث به ما تفرَّد به الله تعالىٰ من إجابة المضطرين في الأمور المعنويَّة من الشَّدائد، أو بالقوَّة والتَّأثير، بينما المخلوق لا يغيث إلَّا في الأمور الحسِّيَّة الظَّاهرة، الَّتي يتوفَّر له من أسبابها، ذلك إذا كان حيًّا، أمَّا إذا كان غائبًا أو ميِّتًا فلا يقدر علىٰ أيِّ شيءٍ، ولم يأمرنا الله تعالىٰ أن نتوكَّل علىٰ ميِّت ولا فقير، قال تعالىٰ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]. وقال تعالىٰ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء: ٢١٧]. وقال تعالىٰ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢].

قال الصُّوفيُّ: ولكنَّ هذا نصٌّ، وأنت تطالب بالنَّصِّ؟

قال السُّنِّيُّ: النَّصُّ لا بدَّ أن يكون علمًا وهذا ليس بعلم.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: قولكم: إنَّ النَّبيَّ ﷺ دعا إلىٰ عبادة القبور، وقال: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور». من أعظم الكذب والافتراء عليه ﷺ، وهو مناقض للأصول الكلِّيَّة المحكمة، الَّتي تدعو إلىٰ توحيد الله تعالىٰ والإخلاص له.

قال الصُّوفيُّ: كيف يكون هذا مناقضًا للأصول الكلِّيَّة للشَّريعة؟

قال السُّنِّيُّ: أوَّلًا: الغائب لا يسمع ولا يقدر، **ثانيًا**: الميِّت انقطعت أعماله، وسقط عنه التَّكليف، فلا يسمع ولا يمتثل ولا يستجيب لمن دعاه.

روىٰ مسلم والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلَّا من ثلاث إلَّا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**». رواه مسلم وغيره. انظر: كتاب: الوصيَّة (١٦٣١).

وجميع ما فيه الأموات وأرواحهم في عالم البرزخ محض تقدير كونيٍّ من الله تعالىٰ وحده، ولا يخضعون لرغبات الأحياء مهما كانوا. ولو قدِّر أنَّهم موكَّلون بشيء، فلا يجب علينا دعاؤهم؛ لأنَّ الله لم يأمرنا بذلك، كما لم يأمرنا أن نطلب من الملائكة شيئًا، مع ثبوت كونهم يدعون للمؤمنين ويستغفرون لهم، فالسُّؤال والطَّلب يكون من الله تعالىٰ وحده. روىٰ التِّرمذيُّ عن ابن عبَّاس قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال: «**يا غلام إنِّي أعلِّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**». انظر: «صحيح التِّرمذي» (٢٦٤٨).

قال الصُّوفيُّ: لم تذكر لي حقيقة الوضع في هذا الحديث: «إذا أعيتكم الأمور»؟

قال السُّنِّيُّ: أوَّلًا يجب ألَّا تغترَّ بما قد يقع عند القبور من أحوالٍ، فما هي إلَّا استدراج، أو معونة من الشَّياطين، فإنَّ الشَّياطين تعين المشركين لتصدَّهم عن التَّوحيد والإيمان. أمَّا الحديث فقد قال ابن تيميَّة في «الفتاوىٰ» (١/ ٣٥٦): هذا

الحديث كذب مفترىٰ علىٰ النَّبيِّ ﷺ بإجماع العارفين بحديثه، لم يروه أحد من العلماء بذلك، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة. انتهىٰ.

قال الصُّوفيُّ: ولكن عندي لك مفاجأة.

قال السُّنِّيُّ: كلامك لا مفاجأة فيه، هو إن شاء الله تعالىٰ مدروس عند أهل السُّنَّة.

قال الصُّوفيُّ: هذا أمر تجاهلتموه وصرفتم أذهانكم عنه.

قال السُّنِّيُّ: ما هذا الَّذي تدَّعيه؟

قال الصُّوفيُّ: ما تقول في حديث: «**يا عباد الله احبسوا**»؟

قال السُّنِّيُّ: ماذا فيه؟

قال الصُّوفيُّ: هذا هو النَّبيُّ ﷺ يرشدنا إذا انفلتت دابَّة أحدنا في الصَّحراء أن ينادي: «يا عباد الله احبسوا». فهذا يدلُّ علىٰ جواز نداء الغائب.

قال السُّنِّيُّ: سبحان الله. وهل يملك الغائب من أمر نفسه شيئًا، حتَّىٰ يغيث من لا يعلم برجائه وسؤاله. إنَّ النَّبيَّ ﷺ أوصىٰ الشَّاهد أن يبلِّغ الغائب كما في الحديث: «**وليبلغ الشَّاهد الغائب**». متَّفق عليه. وما ذلك إلَّا لعجز الغائب أن يدرك العلم المشاهد بعينه؛ فكيف له أن يغيث من لا يدرك حقيقة أمره، وليس له قوَّة ولا تأثير حتَّىٰ تبلغ يده ما يشاء؟

قال الصُّوفيُّ: هذا نصٌّ ثابت.

قال **السُّنِّيُّ**: قلت لك هذه شبهات وليست نصوصًا، وللجواب عليها أقول: **أوَّلًا**: إنَّ هذا الحديث «يا عباد الله احبسوا». ضعيف، فقد عزاه النَّوويُّ لابن السُّنِّي وفي إسناده معروف بن حسان، قال ابن عديٍّ: منكر الحديث. قال العلَّامة الألبانيُّ -رحمه الله تعالىٰ- في «السِّلسلة الضَّعيفة» (٦٥٥): «ضعيف».

ثانيًا: ولو فرض صحَّة الحديث فهو من المتشابه، والنُّصوص المشابهة لا تقرِّر اعتقادًا ولا تثبت دينًا إلَّا بردِّها إلىٰ المحكم البيِّن، فمن تعلَّق بالمتشابه ففي قلبه مرض، وهذا دليل علىٰ فساد قوله وحجَّته، والمحكم لا يدعو إلىٰ نداء غير الله تعالىٰ، وإنَّما يدعو إلىٰ نداء الله تعالىٰ وحده.

ثالثًا: أنَّ الله تعالىٰ ذمَّ دعاء الجنِّ ونداءهم في القرآن، وقد كان الإنس يستغيثون بالجنِّ فيما هو مثل ذلك، فجعل الله تعالىٰ هذا من الرَّهق والضَّلال، وهو من أعظم الشِّرك وذلك لأنَّ المستعيذ علَّق رجاءه بمن استعاذ به واعتمد عليه. قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]. وقد كان المشركون في الجاهليَّة إذا نزلوا واديًا علَّقوا رجاءهم بغير الله تعالىٰ، واستعاذوا بالجنِّ خشية أن يصيبهم مكروه أو أذىٰ، وكانوا يقولون: نعوذ بسيِّد هذا الوادي من الجنِّ من سفهائهم، بل وكان الرَّجل منهم إذا أراد أن يدخل قرية وقف علىٰ بابها ينهق عشر مرَّات كما ينهق الحمار مخافة الجنِّ، وكان الرَّجل إذا فقد متاعًا أو زادًا أو راحلة

نادىٰ علىٰ الجنِّ أنَّ يردَّ إليه ما فقده. فمن قال: «يا عباد الله احبسوا». كمن قال: «يا عامر الوادي جارك». فهذا شرك وهذا شرك.

رابعًا: وهذا الحديث إن قدِّر صحَّته ففيه دليل علىٰ أنَّ الله تعالىٰ قيَّد حرَّاسًا في الصَّحراء قادرين علىٰ ذلك، وهذا في قوله: «فإنَّ لله حاضرًا أو حاضرًا يردُّها». ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. وهؤلاء يجيبون نداء من انفلتت دابَّته خاصَّة، فأين هذا من دعاء الأموات وهم لا يقدرون، ودعاء الغائبين وهم لا يسمعون، وهم أيضًا غير حاضرين، والله تعالىٰ لم يأذن لأحد بندائهم.

ولا يخفاك أيُّها الصُّوفيُّ أنَّ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كان يلتمسون الدَّابَّة إذا فقدت في مواقع القطر، ولم يكن أحد منهم يقول: «يا عباد الله احبسوا»، ولا «يا عامر الوادي جارك».

قال الصُّوفيُّ: عندي لك مفاجأة أخرىٰ.

قال السُّنِّيُّ: قلت لك ليس ثمَّة مفاجأة الحكاية أنَّك تعد شبهة أخرىٰ، وشبهاتكم معلومة لعلَّك تريد أن تقول: إنَّ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عرض علىٰ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يغيثه من النَّار؛ فلو كانت الاستغاثة بغير الله تعالىٰ شركًا لما عرضها عليه، وتريد أن تقول: «إن النَّاس يوم القيامة يستغيثون بآدم وموسىٰ وغيرهما من الأنبياء؛ لو كانت الاستغاثة بمخلوق شركًا لما استغاثوا بهم»؟

قال الصُّوفيُّ: نعم، كنت سأقول لك ذلك.

قال السُّنِّيُّ: أمَّا قصَّة إبراهيم فقلتم فيها أنَّ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عرض علىٰ إبراهيم وهو في النَّار أن يغيثه منها فقال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «علمه بحالي يغني عن سؤالي». وتلك الكلمة دعت الكثير منكم أن يهجر دعاء الله تعالىٰ وسؤاله، وهذا لا يتناسب مع مقام العبوديَّة، بل وممَّا يغضب الله تعالىٰ، وذلك لأنَّ الله تعالىٰ يحبُّ أن يسأل ويحب أن يستغاث به، وقد كان الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- يسألون الله تعالىٰ ويستغيثون به، فكيف تترفَّعون عمَّا كان عليه الأنبياء؟

والعجب أيُّها الصُّوفيَّة أنَّكم تصرفون النَّاس عن سؤال الله تعالىٰ ودعائه بهذا النَّقل الفاسد، ثم تدعون النَّاس إلىٰ دعاء الأموات وسؤالهم والاستغاثة بهم.

أمَّا حكم هذا الكلام فقد قال الإمام العلَّامة المحدِّث الشَّيخ الألبانيُّ -رحمه الله تعالىٰ- في «السِّلسلة الضَّعيفة» برقم (٢١) تعليقًا علىٰ: «حسبي من سؤالي علمه بحالي». لا أصل له. أورده بعضهم من قول إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهو من الإسرائيليَّات، ولا أصل له في المرفوع. ثمَّ قال: ثمَّ وجدت الحديث قد أورده ابن عراق في «تنزيه الشَّريعة المرفوعة عن الأخبار الشَّنيعة الموضوعة». وقال (١/ ٢٥٠): قال ابن تيميَّة: موضوع. انتهىٰ.

أمَّا عرض جبريل ﷺ علىٰ إبراهيم ﷺ أن يغيثه فإنَّ جبريل ﷺ حيٌّ حاضرٌ قادرٌ ويستطيع أن يغيث إبراهيم ﷺ من هذا الكرب وهو كما تعلم لا

يفعل شيئًا إلَّا بإذن الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء ٢٧].

قال الصُّوفيُّ: أيُّها السُّنِّي: إنَّكم تدمِّرون التَّصوُّف تدميرًا.

قال السُّنِّيُّ: قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

قال الصُّوفيُّ: وهل عندكم إجابة علىٰ استغاثة النَّاس بآدم ثمَّ بنوح ثمَّ بإبراهيم ثمَّ بموسىٰ ثمَّ بعيسىٰ يوم القيامة؟

قال السُّنِّيُّ: هو نفس الكلام، وهذا الَّذي تحتجُّ به ليس مبرِّرًا لسؤال الأموات ولا الغائبين؛ لأنَّ هذه استغاثة مخلوق بمخلوق فيما يقدر عليه، والمستغاث به حيٌّ قادر حاضر مأذون له أن يغيث من استغاث به، وهذا أمر معروف، ولكنَّ الله طبع علىٰ قلوب من لا يعقلون.

قال الصُّوفيُّ: كيف يكون معروفًا؟

قال السُّنِّيُّ: يجوز في الدِّين طلب الدُّعاء من الحيِّ القادر الحاضر الصَّالح، كما أمر النَّبيُّ ﷺ عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يطلب الاستغفار من أويسٍ القرنيِّ إذا لقيه، وكما طلب عمر الدُّعاء من العبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكما طلب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الدُّعاء من يزيد الجرشيِّ في صلاة الاستسقاء.

قال الصُّوفيُّ: علىٰ كلِّ حال نحن لا نتوجه إلىٰ الأموات ولا إلىٰ الغائبين بالعبادة، وإنَّما نطلب من أرواحهم الطَّاهرة أن يتوجَّهوا إلىٰ الله تعالىٰ بالدُّعاء.

قال السُّنِّيُّ: هذا هو نفس مبرِّر كفَّار قريش في مسألة الشَّفاعة، قالوا:

﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. يعني: ما نتوجَّه إليهم بالطَّلب والنِّداء إلَّا لأجل ذلك، ومن الصُّوفيَّة من يطلب من الأموات ويتوجَّه إليهم؛ ليشفعوا لهم عند الله تعالىٰ؛ علىٰ اعتبار أنَّ أرواحهم مطلقةٌ غير مقيَّدة.

قال الصُّوفيُّ: هذا هو المبرِّر الَّذي نطلب به شفاعة الأموات فعلًا.

قال السُّنِّيُّ: وهذا في الحقيقة عدول عن نداء الله تعالىٰ إلىٰ نداء الأموات، وصرف وجوه النَّاس عن التَّعلُّق بالله تعالىٰ إلىٰ التَّعلُّق بالأموات. ولم يثبت في السُّنَّة أنَّ الله تعالىٰ أذن بذلك لأحد، أو أنَّ الرَّسول ﷺ أرشد إليه، أو أنَّ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فعلوا ذلك. فهذا ليس نداء مجرَّدًا، إنَّما هو نداء مشتمل علىٰ طلب، وهذا النَّوع من النِّداء المشتمل علىٰ جلب منفعة أو دفع مضرَّة يعتبر دعاء، والدُّعاء عبادة، والعبادة لا تجوز إلَّا لله تعالىٰ.

ولا يجوز اتِّخاذ الوسائط في الدُّعاء؛ لأنَّ الله تعالىٰ ليس كالبشر في حاجة إلىٰ من يُعرِّفه الصَّواب، أو يُقرِّب له الأمور، أو يُحنِّنه علىٰ المضطرين والمحتاجين. ومن ظنَّ بالله تعالىٰ ذلك فقد كفر.

وقد أمرنا الله تعالىٰ بإخلاص العبادة له وحده، والله تعالىٰ لا يقبل غير التَّوحيد، قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ [النحل: ٥٢]. وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].
فلماذا لا تتوجَّهون إلىٰ الله تعالىٰ مباشرة، وتسألونه شفاعة النَّبيِّ ﷺ بدلًا من التَّوجُّه إلىٰ الأموات والغائبين. فهذا الميِّت الَّذي تدعون من دون الله تعالىٰ لن يسمع منكم دعاء، ولو سمع فلن يستجيب، ولن يتحرَّك، ولن يأتمر بأمر أحد إلَّا بأمر الله تعالىٰ وحده، فمن دعا ميِّتًا فقد بالغ في الضَّلال، وتفنَّن في الشِّرك والطُّغيان. قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]. وقال تعالىٰ: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

فالأموات مهما كانت أرواحهم مطلقة أو فاعلة مختارة كما تزعمون، فإنَّهم لا يسمعون لأحد في جلب منفعة ولا في دفع مضرَّة، ولو سمعوا فلن يستجيبوا، ومن دعاهم فلن يجني من دعائهم إلَّا الشِّرك -والعياذ بالله تعالىٰ.

قال ابن تيميَّة: فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصَّالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم، وخطاب تماثيلهم هو من أعظم أنواع الشِّرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب، وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الَّذين أحدثوا من الشِّرك والعبادات ما لم يأذن به الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورىٰ: ٢١].

قال الصُّوفيُّ: أليست أعمالنا تعرض علىٰ الأموات ويدعون لنا؟

قال السُّنِّيُّ: أنتم تعتمدون في ذلك علىٰ مراسيل ضعيفة، ولو فرض صحَّة ما تضمَّنته من أنَّ الأموات يدعون للأحياء فلا يوجد في الشَّريعة ما يجيز طلب الدُّعاء من الأموات، أو الاستغاثة بهم، أو التَّذلُّل بين أيديهم، كما لم يثبت جواز طلب الدُّعاء من الملائكة، مع كونهم يدعون للمؤمنين ويستغفرون لهم بغير طلب منهم؛ وذلك لأنَّهم مسخَّرون في قدر الله تعالىٰ الَّذي لا محيد عنه.

قال الصُّوفيُّ: علىٰ كلِّ حال أنتم أصحاب رسوم، وما اختلفنا فيه إنَّما هو حقائق ورموز، ربَّما لا يقدر أحدكم علىٰ فهمها أو الاطِّلاع عليها، وأولياء الله تعالىٰ علىٰ كلِّ حال عندهم أعذار، والله يجزي أولياءه خير الجزاء. قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

قال السُّنِّيُّ: عندي مؤاخذات علىٰ هذا الكلام، وأتمنَّىٰ أن تضبط كلامك.

قال الصُّوفيُّ: وما تلك المؤاخذات أيُّها السُّنِّيُّ؟

قال السُّنِّيُّ: قولكم بالرُّسوم والحقائق والرُّموز، وظنُّك أنَّ الشِّرك يبرَّر بتلك الآية الكريمة.

قال الصُّوفيُّ: أرجو أن توضِّح كلامك.

قال السُّنِّيُّ: ما تلك الرُّموز الَّتي تدَّعون؟

قال الصُّوفيُّ: ألفاظ وضعت لتمنع الدَّخيل عنَّا.

قال السُّنِّيُّ: كم رجل منكم يفقه تلك الرُّموز؟

قال الصُّوفيُّ: يكفي أن يعرف ذلك كبار رجال الطَّريقة، ولا نقدر أن نناقشهم فيها، فمن اعترض انطرد كما تعلم.

قال السُّنِّيُّ: إذن معنىٰ ذلك أنَّكم جميعًا دخلاء علىٰ شيوخكم.

قال الصُّوفيُّ: اختر ما تشاء.

قال السُّنِّيُّ: أيُّها الصُّوفيُّ: إنَّ هذه الرُّموز لم توضع لكي تمنع الدَّخيل، إنَّما وضعت لكي تمنع الرَّقبة من السَّيف، وقد اختارها شيوخكم زهدًا في علوم الشَّريعة واستخفافًا بها، وأرادوا إظهار اختصاصهم بعلوم ليست عند غيرهم، لينالوا مكانة عند ضعاف الدِّين والعقل؛ ليرحلوا إليهم، ويتبرَّكوا بهم.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: هذه الرُّموز مكشوفة بمعاجم الصُّوفيَّة، ومكشوفة بعلماء اللُّغة، ومكشوفة بعلماء الشَّريعة، ولكن شيوخكم لا يذكرونها إلَّا أمام من يثقون فيهم، ولو كانوا يُصرِّحون بها ويجهرون بها كما جهر الحلَّاج لقُتلوا بسيف الشَّرع، الَّذي لا يُسلِّطه الله إلَّا بين كتفي مجرم.

قال الصُّوفيُّ: من معك علىٰ ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: يقول الدُّكتور زكي مبارك عن ابن عربيٍّ: فلو أنَّ هذا الرَّجل كان أفصح عن غرضه بمثل ما أفصح الحلَّاج؛ لشفىٰ النَّاس صدورهم منه بالقتل. «التَّصوُّف في الأدب والأخلاق» (١/ ٢٠١).

فالرُّموز كانت سياسة، يهرب بها من التَّصريح، الَّذي قد يُعرِّضه للقتل أو للطَّرد.

قال الصُّوفيُّ: ولكن ليست كلُّ الرُّموز والإشارات هكذا.

قال السُّنِّيُّ: نعم، هناك رموز كلماتها أدبيَّة، ولكنَّها في حقيقة الأمر تخفي وراءها الكفر والزَّندقة، ولا أظنُّ أحدًا من المسلمين عنده بقيَّة من عقل يقبلها، فضلًا عن أن يمجَّها كما يمجُّ بزاقه، ولو عاش المرء جاهلًا لكان خيرًا له من هذا الضَّلال الَّذي يحكيه الصُّوفيَّة في رموزهم.

أمَّا الرُّموز الَّتي تظنُّ أنَّها بالغة الجمال، رقيقة العبارة، سالمة المحامل، فركعة باللَّيل خير منها، ولقد نقل عن سيِّد الطَّائفة ما يدلُّ علىٰ أنَّ تلك الرُّموز الجميلة والإشارات الرَّقيقة لم تنفعه بشيء، وقال: «فنيت العلوم، وما نفعنا إلَّا رُكيعات كنَّا نركعها في الأسحار». فكيف بطلسمات ابن عربيٍّ وابن الفارض.

وروىٰ مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**سيكون في آخر أُمَّتي أُناس يُحدِّثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإيَّاكم وإيَّاهم**». رواه مسلم في المقدِّمة، وأحمد في «المسند» (٨٠٦٨).

قال الصُّوفيُّ: وما الشِّرك الَّذي في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

قال السُّنِّيُّ: الآية ليس فيها شرك، إنَّما الشِّرك في ذهن من يعتقد أنَّه ينجو من عذاب الله تعالىٰ بالشِّرك.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: أنتم تظنُّون أنَّ هذه الآية تبرِّر فعل الشِّرك بالله تعالىٰ.

قال الصُّوفيُّ: كيف؟

قال السُّنِّيُّ: هذا وقت مناسب أذكر لك فيه هذا الموقف لعلَّ فيه العبرة. شاء الله تعالىٰ أن اطَّلعت علىٰ كتاب «آداب زيارات حرمين» -وهو كتاب يحمله الشِّيعة في مواسم الحجِّ والعمرة- مع أحد الشِّيعة، وكان ذلك في مسجد رسول الله ﷺ، فاستأذنته في الاطِّلاع عليه، فظنَّ أنَّني من مخرِّفي الصُّوفيَّة، فاستبشر كثيرًا أن أكون علىٰ طريقتهم، وأخذ يُزكِّي فيَّ، فلم ألتفت لمدحه، وشرعت في قراءة فهرس الكتاب، فوجدت فيه دعاء الوقوف علىٰ قبر حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عمِّ النَّبيِّ ﷺ وفيه: جئت إليك يا حمزة مستغيثًا بك أن تجيرني من عذاب النَّار. فقلت له: إنَّ حمزة لم يخلق النَّار حتَّىٰ تستغيثوا به منها، إنَّ الَّذي خلق النَّار هو الجبَّار جَلَّ جَلَالُهُ، والواجب عليكم أن تستغيثوا بالَّذي خلق لا بالَّذي لم يخلق. فقال لي: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]. فقلت: الله أكبر! الصُّوفيَّة والشِّيعة علىٰ طريق واحد.

قال الصُّوفيُّ: الشِّيعة يُكفِّرون الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ونحن لا نكفِّرهم.

قال السُّنِّيُّ: هناك اتِّفاق كبير في كثير من المسائل بينكم، وقد ذكرت لك ذلك من قبل، ولكن ربَّما أنَّ ذاكرتك لا تسعفك بالمواقف.

قال الصُّوفيُّ: قل لي كيف نبرِّر الشِّرك بهذه الآية؟

قال السُّنِّيُّ: يظنُّ الصُّوفيَّة أنَّهم في شفاعة أوليائهم وإن أشركوا، طالما أنَّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لما بينهم من عهد، وبإزاء ذلك أقول لك وبالله وحده التَّوفيق: إنَّ الله تعالىٰ وعد إبراهيم الخليل ﷺ ألَّا يخزيه يوم القيامة، هذا مقتضىٰ قوله: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧-٨٩]. وكي يتبيَّن مفهوم هذا الوعد، وأنَّه لا يكون أبدًا علىٰ حساب التَّوحيد وإخلاص الدِّين لله تعالىٰ نذكر هذا الموقف الَّذي يكون يوم القيامة، وذلك حين يمرُّ إبراهيم ﷺ علىٰ أبيه ويراه في صورة قبيحة منكرة. وعلىٰ وجهه قترة وغبرة فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصني، فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا ربِّ إنَّك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأيُّ خزي أخزىٰ من أبي الأبعد؟ فيقول الله: إنِّي حرَّمت الجنَّة علىٰ الكافرين، ثمَّ يقال: «**يا إبراهيم، ما تحت رجليك؟ فينظر، فإذا هو بذيخ متلطِّخ، فيؤخذ بقوائمه فيُلقىٰ في النَّار**». رواه البخاريُّ عن أبي هريرة. كتاب: الأنبياء (٣١٧٢).

فانظر كيف نزع الله تعالىٰ ما في قلب إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الحزن حتَّىٰ لا يخزيه. هل نزعه بالتَّجاوز عن التَّوحيد؟

قال الصُّوفيُّ: كلَّا.

قال السُّنِّيُّ: وكيف إذن نزعه؟

قال الصُّوفيُّ: غيَّر الله تعالىٰ صورة أبي إبراهيم إلىٰ صورة ضبع متلطِّخ بالطِّين، حتَّىٰ لا يبقىٰ له في قلب إبراهيم مكانة.

قال السُّنِّيُّ: وكذلك كلُّ مشرك يظنُّ أنَّه ينجو بشفاعة وليٍّ من أولياء الله تعالىٰ سيرفع الله تعالىٰ الخزي من قلوب أوليائه، كما نزع الخزي من قلب إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. فالوليُّ لا يخزىٰ، أمَّا أتباعه فلا ضمان لهم ولا نجاة إلَّا بالتَّوحيد وإخلاص الدِّين لله ربِّ العالمين.

قال الصُّوفيُّ: يكفي أنَّنا نقول: لا إله إلَّا الله. وهذه بمفردها مفتاح الجنَّة، فمهما فعلنا من فعل من تلك الأفعال الشَّنيعة فلن يضرَّنا شيء، فلسنا عُبَّاد أصنام، وإن كنَّا نستشفع ونتقرَّب إلىٰ أولياء الله الصَّالحين. ويكفي أنَّنا نُصلِّي علىٰ رسول الله ﷺ ألاف المرَّات. فنحن أحقُّ بشفاعته منكم، فأنتم لا تُصلُّون عليه مثلنا.

قال السُّنِّيُّ: أجعلك الله تعالىٰ حافظًا علىٰ النَّاس؟

قال الصُّوفيُّ: لا.

قال السُّنِّيُّ: فكيف تظنُّ أنَّكم تُصلُّون علىٰ النَّبيِّ ﷺ أكثر من غيركم، مع كونكم تهجرون أحاديثه المملوءة بالصَّلاة عليه ﷺ.

قال الصُّوفيُّ: نحن نُصلِّي عليه ﷺ آلاف المرَّات.

قال السُّنِّيُّ: هذه الصَّلاة المنقولة في كتبكم أغلبها تحريف وتخريف.

قال الصُّوفيُّ: وما التَّحريف الَّذي فيها؟

قال السُّنِّيُّ: الصَّلاة علىٰ النَّبيِّ ﷺ رفعة في الدَّرجات ونجاة من الكربات، ولكنَّكم لا تُصلُّون علىٰ النَّبيِّ ﷺ كما أمر، بل تُصلُّون علىٰ شيء آخر غير النَّبيِّ ﷺ.

قال الصُّوفيُّ: ما الشَّيء الآخر؟

قال السُّنِّيُّ: عندكم صيغ التَّنطُّع والتَّكلُّف، وما لا يفهم معناه ولا يرغب فيه في الصَّلاة علىٰ النَّبيِّ ﷺ كقولكم:

اللَّهمَّ صلِّ علىٰ من جعلته سببًا لانشقاق أسرارك الجبروتيَّة، وانفلاقًا لأنوارك الرَّحمانيَّة، فصار نائبًا عن الحضرة الرَّبَّانيَّة، وخليفة أسرارك الذَّاتيَّة... إلخ.

وهناك صلاة أخرىٰ نسجها التِّيجانيَّة من الأحاديث المنكرة والمنامات المكذوبة علىٰ رسول الله ﷺ، زعموا أنَّها أعظم من القرآن ستَّة آلاف مرَّة.

وفيها: اللَّهمَّ صلِّ علىٰ سيِّدنا محمَّد الفاتح لما أُغْلِق... إلخ. وانظر: «جواهر المعاني» للتِّيجانيِّ (١/ ١٣٦).

قال الصُّوفيُّ: وما الصَّحيح في ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: المشروع للمسلم في هذا الباب أن يتحرَّىٰ الكيفيَّة الثَّابتة عن رسول الله ﷺ في صفة الصَّلاة والسَّلام عليه. ومن ذلك ما رواه البخاريُّ ومسلم في «الصَّحيحين» واللَّفظ للبخاريِّ عن كعب بن عجرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ قالوا: يا رسول الله، أمرنا أن نُصلِّي عليك فكيف نُصلِّي عليك؟ فقال: قولوا: «**اللَّهمَّ صلِّ علىٰ محمَّد وعلىٰ آل محمَّد، كما صلَّيت علىٰ آل إبراهيم، إنَّك حميد مجيد، اللَّهمَّ بارك علىٰ محمَّد وعلىٰ آل محمَّد، كما باركت علىٰ آل إبراهيم، إنَّك حميد مجيد**».

قال الصُّوفيُّ: عمومًا يكفي أنَّنا نقول: لا إله إلَّا الله.

قال السُّنِّيُّ: لا إله إلَّا الله مفتاح له أسنان، ولا يمكن أن تفتح إلَّا بالأسنان.

قال الصُّوفيُّ: وما الأسنان؟

قال السُّنِّيُّ: معرفة الشُّروط وانتفاء النَّواقض، فشروطها ثمانية، ونواقضها عشرة فاحفظ ذلك.

أمَّا شروطها فهي: الحبُّ، والانقياد، والقبول، والعلم، والصِّدق، والإخلاص، واليقين، والثَّامن: الكفر بالطَّاغوت، ومن أعظم النَّواقض أن تتَّخذ لله تعالىٰ ندًّا في العبادة والتَّشريع.

قال الصُّوفيُّ: وهل تظنُّ أنَّ لي نصيبًا من تلك النَّواقض؟

قال السُّنِّيُّ: أنتم تفهمون (لا إله إلَّا الله) فهمًا خاصًّا لا حقيقة له في الإسلام، ثمَّ تنقضون (لا إله إلَّا الله) بدعاء غير الله تعالىٰ والتَّعلُّق به، مع زعمكم أنَّكم تريدون وجه الله فقط وتعملون لرؤيته فقط؟

قال الصُّوفيُّ: كيف نفهم (لا إله إلَّا الله) فهمًا خطأ؟

قال السُّنِّيُّ: (لا إله إلَّا الله) تعني: توحيد الله في ربوبيَّته وإلهيَّته وأسمائه وصفاته، ويراد بتوحيد الرُّبوبيَّة: إفراد الله تعالىٰ بالخلق والملك والأمر والتَّدبير، وأمَّا توحيد العبادة فيراد به إفراد الله تعالىٰ بالمحبَّة والخوف والرَّجاء، وأمَّا توحيد الأسماء والصِّفات فيراد به إثبات وحدانيَّة ذات الله تعالىٰ، وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله. فلا بدَّ من هذه الأقسام الثَّلاثة في هذا الاعتقاد.

فكلُّ من وحَّد الله تعالىٰ في إلهيَّته وأسمائه وصفاته علىٰ الوجه الأكمل

فقد تضمَّن ذلك إثباته لربوبيَّة الله تعالىٰ، ولكن ليس كلُّ من آمن بربوبيَّة الله تعالىٰ يعطيه حقوق العبادة فقد تؤمنون بربوبيَّة الله تعالىٰ، ولكنَّكم لا توفونه حقَّ العبادة.

قال الصُّوفيُّ: ما الدَّليل علىٰ ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: كان كفَّار قريش يُفردون الله تعالىٰ بالرُّبوبيَّة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]. ولكنَّهم لَّما أُمِروا بعبادة الله تعالىٰ وحده قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

قال الصُّوفيُّ: وماذا عند الصُّوفيَّة من المفاهيم الخاطئة غير ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: (لا إله إلَّا الله) عند الصُّوفيَّة هي توحيد العامَّة، و(لا هو إلَّا هو) توحيد الخاصة، و(لا أنا إلَّا أنا) توحيد خاصَّة الخاصَّة. وهذان النَّوعان يدور عليهما ضلال الاتحاديَّة والحلوليَّة.

وهذا التَّقسيم ما أنزل الله به من سلطان، وليس له أصل في دين الإسلام، ولم يقل به أحد من أئمَّة أهل السُّنَّة علىٰ الإطلاق.

قال الصُّوفيُّ: من قال ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: صرَّح بذلك الغزاليُّ في «مشكاة الأنوار» (ص١٢٤) فقال: (لا إله إلَّا الله) توحيد العوامِّ، و(لا هو إلَّا هو) توحيد الخواصِّ. انتهىٰ.

ومن الصُّوفيَّة من قال: لا يجوز أن نقول: لا إله إلَّا الله، لأنَّ الإثبات بعد النَّفي وحشة وجفاء، ومنهم من قال: أخاف أن أموت بين النَّفي والإثبات، وهذا معارضة صريحة للشَّريعة.

فالمرء يموت علىٰ ما نواه، ولو كان في كلمة التَّوحيد محذور لما أمر النَّبيُّ ﷺ أن يُلقَّن الميِّت لا إله إلَّا الله، بل يُلقِّنه الذِّكر المفرد كما تقدَّم.

أمَّا قولهم: «لا هو إلَّا هو». فمرادهم منها الوحدة والاندماج مع الحقيقة المطلقة، فمنهم من يرىٰ ذلك شهودًا، ومنهم من يراه وجودًا، فالَّذي يراه شهودًا يستشعر الغيريَّة، أمَّا الَّذي يراه وجودًا، فإنَّه لا يقول بالغيريَّة، وهؤلاء هم الَّذين يقولون: «ليس إلَّا أنا وأنت فالكلُّ واحد». كما بيَّن هادم الطَّواغيت في كتابه «ضلالات الصُّوفيَّة»: لا أحد غيره هو يقدر علىٰ أن يسمِّيه «هو» لأنَّ كلَّ «هو» يصدر عنه ويشتقُّ منه، أرباب هذه المرتبة ينظرون إلىٰ الإله من حيث كونه غائبًا فهم إذًا غير واصلين إلىٰ القمَّة العظمىٰ من حقيقة المعرفة، أولئك ينظرون إليه من حيث كونه غائبًا تفيض هويَّته في كلِّ هويَّة. أمَّا قولهم: لا أنت إلَّا أنت. فهؤلاء ينظرون إليه من حيث كونه حاضرًا تتجلَّىٰ ذاتيَّته في كلِّ ذات من دونه عدميَّة، فلا أنت موجودة إلَّا بهو، وهو هو ربُّهم.

أمَّا قولهم: «لا أنا إلَّا أنا». فقال: في المرتبة السَّابقة كان، ثمَّ مخاطب وخطاب ومخاطب ففيها مسافة إذًا. فيها فرق فيها إشعار بالثُّنائيَّة ونوع من الغيريَّة. ففيها عند الصُّوفيَّة شرك، فصاحبها يشعر بأنَّه غير من يخاطبه.

وما دام الإنسان شاعرًا بأنَّه «غير» فهو شرك. لهذا كانت الصِّيغة الَّتي يتمُّ بها التَّوحيد عندهم، أو بمعنىٰ أدقَّ تكون بها حقيقة التَّوحيد الصُّوفيِّ هي: «لا أنا إلَّا أنا». (ص١١٦، ١١٧).

قال الصُّوفيُّ: من هادم الطَّواغيت هذا؟

قال السُّنِّيُّ: هو العلَّامة الأديب المتقن البليغ الشَّيخ عبد الرَّحمن الوكيل -رحمه الله تعالىٰ- صاحب كتاب «هذه هي الصُّوفيَّة»، وكتاب «ضلالات الصُّوفيَّة»، وكتاب «دعوة الحقِّ»، فقد كان صاحب الفضل الكبير بعد الله تعالىٰ في بيان دقائق ضلالات الصُّوفيَّة للمسلمين في شتَّىٰ أرجاء الأرض وتحذيرهم منها.

قال الصُّوفيُّ: هذا الرَّجل بحر لا يُعرَف له قرار.

قال السُّنِّيُّ: ولم؟

قال الصُّوفيُّ: تلك الفروق لا يقدر علىٰ تمييزها بهذه الدِّقة إلَّا جهبذ من الجهابذة.

قال السُّنِّيُّ: نعم، هو كذلك، وهو الرَّئيس الثَّاني لجماعة أنصار السُّنَّة المحمَّديَّة.

قال الصُّوفيُّ: جماعة أنصار السُّنَّة هي عدوُّنا اللَّدود منذ القِدَم.

قال السُّنِّيُّ: هي الجماعة الَّتي تهتمُّ بأصول التَّوحيد وتعرف حقوقه.

قال الصُّوفيُّ: ماذا تريد هذه الجماعة علىٰ وجه الإجمال؟

قال السُّنِّيُّ: تريد أن تبيِّن باختصار أنَّ التَّوحيد الحقَّ يعني الحكم العامَّ والخضوع الكامل لله ربِّ العالمين في كلِّ شيء، باعتبار أنَّه المتصرِّف الصَّمد الَّذي تصمد إليه الخلائق جميعًا، فمن نبذ التَّوحيد والشَّرع في جانب ووافقه في جانب فقد آمن ببعض وكفر ببعض.

ودعاة أنصار السُّنَّة عندما يواجهون عبَّاد القبور إنَّما يريدون توحيد الله تعالىٰ في إلهيَّته، وهذا محض الشَّرع؛ لأنَّ توحيد العبادة حقٌّ لله تعالىٰ وحده، لا ينبغي أن يشارك أو يزاحم فيه غيره، فمن نازع الله تعالىٰ في عبادته فقد نازعه في حكمه. وعندما يواجهون الشِّيعة فإنَّهم يواجهون من قالوا بالقُطبيَّة، وعصمة الأئمَّة، والإمام هو المصدر الأوَّل للتَّشريع عندهم، ودعاة أنصار السُّنَّة حين ينقضون مبدأ العصمة وولاية الفقيه، فإنَّهم يردُّون النَّاس إلىٰ شرع الله تعالىٰ وحده بلا نزاع، وهذا هو حقيقة التَّوحيد.

وأنت تعلم أنَّ الشِّيعة يسبُّون أصحاب رسول الله ﷺ ويُكفِّرونهم، وهذا معناه أنَّ الله تعالىٰ اختار لنبيِّه من لا يصلحون ولا يهدون، وهذا نقض في حكمة الله تعالىٰ، والنَّقض في حكمة الله تعالىٰ نقض في الشَّرع والتَّوحيد.

ودعاة أنصار السُّنَّة عندما يدعون إلىٰ التَّمسُّك بالسُّنَّة، الَّتي تعتبرونها رسومًا، فإنَّهم يوحِّدون رسول الله ﷺ في المتابعة، وهذا مقتضىٰ شهادة أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله، فمن جحد توحيد المتابعة فقد جحد شرع الله وإلهيَّته.

ودعاة أنصار السُّنَّة عندما يدعون إلىٰ معرفة الله تعالىٰ بأسمائه وصفاته علىٰ منهج السَّلف فإنَّما يدفعون الغزو الفكريَّ والفلسفيَّ، الَّذي طغىٰ علىٰ بلاد المسلمين، واستعمرهم في صورة المذاهب المنحرفة، واستعبدهم لأصحابها، وجعلهم إمَّا مشبِّهة يعبدون صنمًا، وإمَّا معطِّلة يعبدون عدمًا. فمن ردَّ النَّاس إلىٰ صفات الله تعالىٰ الثَّابتة وحذَّرهم من التَّحريف ردَّهم إلىٰ شرع الله تعالىٰ وتوحيده.

قال الصُّوفيُّ: يعني تريد أن تقول: إنَّنا مُقصِّرون في أصول التَّوحيد وحقوقه.

قال السُّنِّيُّ: «من علىٰ رأسه بطحة فليحسِّس عليها».

قال الصُّوفيُّ: أنت قلت من قبل: إنَّ «لا إله إلَّا الله» لها نواقض.

قال السُّنِّيُّ: «لا إله إلَّا الله» لها نواقض، كما أنَّ الصَّلاة لها مبطلات ونواقض، ومن جحدها كفر كذلك من جحد حقَّ «لا إله إلَّا الله» كفر، وهناك باب في كتب الفقه اسمه باب: حكم المرتد، وأنت تظنُّ أنَّ من قال: لا إله إلَّا الله. فليفعل ما يشاء، حتَّىٰ لو كفر فلن يضرَّه ذلك، وهذا كلام فرقة المرجئة الضَّالة.

قال الصُّوفيُّ: ولماذا لما قتل أسامة الرَّجل الَّذي قال: لا إله إلَّا الله. عتب عليه النَّبيُّ ﷺ؟

قال السُّنِّيُّ: لأنَّ المرء إذا أظهر الإسلام وجب الكفُّ عنه، حتَّىٰ يظهر منه ما يخالف اعتقاده، فإذا ظهر منه ما يخالف الدِّين وجب محاسبته عن طريق القضاة وولاة الأمور؛ ليقيموا عليه حدَّ الله تعالىٰ.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: لَّما منع بعض الأعراب حديثو العهد بالإسلام الزَّكاة قاتلهم علىٰ ذلك أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمنهم من قُتِل لردَّته عن الإسلام بالكلِّيَّة، ومنهم من قتل لإنكار فرضيَّة الزَّكاة، ومنهم من قتل لتأويل فاسد، إذ ظنَّ أنَّ الزَّكاة لا تُعطىٰ إلَّا لرسول الله ﷺ. كذلك قاتل الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بني حنيفة، وهم يقولون: لا إله إلَّا الله. وقد كانوا أسلموا مع النَّبيِّ ﷺ.

قال الصُّوفيُّ: هذا لأنَّهم قالوا: إنَّ مسيلمة نبيٌّ.

قال السُّنِّيُّ: إذا كان الَّذين رفعوا مسيلمة إلىٰ مرتبة النُّبوَّة كفروا، فكيف بالَّذين رفعوا البدويَّ والدُّسوقيَّ والشَّاذليَّ إلىٰ مرتبة الجبَّار الحيِّ الَّذي لا يموت!

قال الصُّوفيُّ: أنا قلق من هذا الكلام، وأنا أخاف من الله إن عصيته سوء العقاب.

قال السُّنِّيُّ: ابحث لك عن شيخ آخر علىٰ منهاج النَّبيِّ ﷺ واتَّبعه.

قال الصُّوفيُّ: ما أقدر علىٰ ذلك.

قال السُّنِّيُّ: ولم؟

قال الصُّوفيُّ: هذا عندنا شرك.

قال السُّنِّيُّ: كيف يكون شركًا؟

قال الصُّوفيُّ: الشَّيخ لا يقبل الشِّرك في حبِّه، كما أنَّ الله لا يقبل الشِّرك في عبادته، فمن بدَّل شيخه فهو مشرك! بل ومن أحبَّ شيخًا غير شيخه فهو مشرك! يقول الشَّيخ علي وفا: الأشياخ لا يغفرون أن يشرك بهم تخلُّقًا بنظر مسمَّىٰ أخلاق الله، فإذا رأيت أيُّها المريد شيخك يتشوَّش منك إذا أشركت في محبَّته شيخًا آخر، فإيَّاك أن تسيء به الظَّنَّ، بل اشهد أنَّ ذلك من أخلاق الله الَّذي يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]. انظر: «الأنوار القدسيَّة» (٢/ ١٢).

قال السُّنِّيُّ: أوَّلًا: أنا أعترض علىٰ مسمَّىٰ «أخلاق الله» فهو مسمَّىٰ فلسفيٌّ ولكن قل: «حقُّ الله». كما قال النَّبيُّ ﷺ. ثانيًا: فإنِّي أراك قد سوَّيت شيخك في الحقوق بالله تعالىٰ؛ فتب إلىٰ الله تعالىٰ، واترك ما أنت فيه.

قال الصُّوفيُّ: يعني: أنت ترىٰ إنَّ التَّصوُّف الآن يشتمل علىٰ بدع وضلالات وشركيَّات؟

قال السُّنِّيُّ: نعم، ولا يقدر كلُّ أحد أن يميز بين الحقِّ والباطل، ولو أنَّ التَّصوُّف وقف علىٰ الذِّكر والزُّهد والخُلُق والرَّقائق لكان فيه خير كما يكون في غيره، لكنَّ القضيَّة الآن أنَّ كثيرًا من النَّاس في التَّصوُّف وغيره يستغيثون بغير الله تعالىٰ في السَّرَّاء والضَّرَّاء، وهذا أعظم من كفر الأوَّلين.

قال الصُّوفيُّ: كيف ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: لأنَّ كفَّار قريش كانوا إذا مسَّهم الضُّرُّ في البحر لا يدعون إلَّا الله تعالىٰ. قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]. أمَّا غلاة المتأخِّرين فإنَّهم يسألون غير الله تعالىٰ في الرَّخاء والشِّدة علىٰ السَّواء، كما يقولون عن البدويِّ: «السَّيِّد المهاب الَّذي إذا دعي في البرِّ والبحر أجاب».

قال الصُّوفيُّ: نحن لا نتوجَّه للأصنام، إنَّما نتوجَّه للأولياء، كما قلت لك من قبل، وهذا ليس كفرًا.

قال السُّنِّيُّ: العبادة لغير الله لا تصحُّ لا لحجر ولا لوليٍّ. قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. فهذا نهيٌ عامٌّ، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

قال الصُّوفيُّ: وماذا عن الصَّلاة في مساجد الصُّوفيَّة.

قال السُّنِّيُّ: هذا هو حكم الصَّلاة في مساجد الصُّوفيَّة. في الفتوىٰ رقم (٢٠٨٩) للَّجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء: الحمد لله وحده، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسوله وآله وصحبه وبعد: لا تُصلِّ مع هؤلاء الصُّوفيَّة في زاويتهم، واحذر صحبتهم والاختلاط بهم؛ لئلَّا يصيبك ما أصابهم، وتحرَّ الصَّلاة في مسجد جماعة يتحرَّون السُّنَّة، ويحرصون عليها. وبالله التَّوفيق. وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم.

عضو	عضو	عضو	الرَّئيس
عبد الله بن قعود	**عبد الله الغديان**	**عبد الرَّزَّاق عفيفي**	**عبد العزيز بن باز**

قال الصُّوفيُّ: أنت تعرف أنَّ للصُّوفيَّة سلطانًا، وأخاف أن يشكوك أحدهم.

قال السُّنِّيُّ: وفي الحقيقة أنا أتعجَّب من حالكم أيُّها الصُّوفيَّة.

قال الصُّوفيُّ: ولم العجب؟

قال السُّنِّيُّ: **أوَّلًا**: لأنَّكم تخوِّفون النَّاس من غير الله تعالى، **ثانيًا**: لأنَّكم وزَّعتم الكون على سبعة أقطاب، وزعمتم أنَّكم أقطاب الكون وغيَّاثو الخلائق وأصحاب الوقت، ومع ذلك طار ذلك كلُّه، ولم يبق لكم إلَّا أن تستغيثوا بالسُّلطان، شأنكم شأن أيِّ أحد، لا فرق بين مقاماتكم ومقامات غيركم، ثمَّ ما للسُّلطان ولكم حتَّى تلجئوا إليه، فالسُّلطان ينبغي عليه الإنصاف والميل إلى الحقِّ فقط إرضاء لله تعالى وحده.

قال الصُّوفيُّ: نعم، كلامك صحيح، وهذا أمر مخجل منَّا.

قال السُّنِّيُّ: إنَّ قولك هذا أيُّها الصُّوفيُّ يذكِّرني بما كان يفعله ابن عطاء الله السَّكندريُّ مع شيخ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالى-، فكم أوذي منه كثيرًا.

قال الصُّوفيُّ: ماذا كان يفعل به؟

قال السُّنِّيُّ: كان يشكوه دائمًا إلى السُّلطان، يقول ابن كثير في «البداية» (١٤/ ٤٤٥) عن الإمام الحافظ البرزاليِّ:

شكى الصُّوفيَّة بالقاهرة على الشَّيخ تقيِّ الدِّين، وكلَّموه في ابن عربيٍّ وغيره إلى الدَّولة، فردُّوا الأمر في ذلك إلى القاضي الشَّافعيِّ، فعقد له مجلسًا، وادَّعى عليه ابن عطاء بأشياء فلم يثبت عليه منها شيء، ولكنَّه قال: لا يُستغاث إلَّا بالله، لا يُستغاث بالنَّبيِّ. انتهى.

قال الصُّوفيُّ: في الحقيقة لقد غلبتني بحججك، وتركتني بعد حديثك الشَّائق الشَّائك في حيرة من أمري، فأنا بين أن أخضع لما تقول وبين مقامات شيوخي وأحوالهم.

قال السُّنِّيُّ: أنا أدعوك إلى كتاب الله تعالى وسنَّة رسوله ﷺ، وما كان عليه الصَّدر الأوَّل في الإسلام، وقد قال العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله! كأنَّها موعظة مودِّع فأوصنا. قال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسَّمع والطَّاعة وإن تأمَّر عليكم عبد، وإنَّه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الرَّاشدين المهديِّين، عضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ بدعة ضلالة**». رواه أبو داود والتِّرمذيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

وأنا لا أدعوك لتختار بيني وبين مشايخك، وإنَّما أدعوك لتقديم ما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ علىٰ مشايخك، وليس هناك أحد بعد الأنبياء والمرسلين أفضل من أصحاب رسول الله ﷺ، قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من كان مستنًّا فليستنَّ بمن قد مات، أولئك أصحاب محمَّد، أبرُّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلُّها تكلُّفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيِّه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقَّهم، وتمسَّكوا بهديهم، فإنَّهم كانوا علىٰ الهدىٰ المستقيم». انتهىٰ.

قال الصُّوفيُّ: هل تريد أن توجِّه لي نصيحة بعد ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: أود أن أختم لك كلامي بكلمة واحدة أقول لك فيها: إنَّك لو قلت: «أه أه أه»، أو «هو هو هو» بعدد ذرَّات الرِّمال فلن تصل إلىٰ خلافة ولا إلىٰ قطبيَّة.

قال الصُّوفيُّ: ولم ذلك؟

قال السُّنِّيُّ: لأنَّ نسبك عند الصُّوفيَّة ليس موصولًا إلىٰ شيخ الطَّريقة. وعند اختيار الخليفة سترىٰ من سيكون شيخًا للواصلين وإمامًا للمريدين.

قال الصُّوفيُّ: وماذا يعني هذا؟

قال السُّنِّيُّ: لو فاضل الشَّيخ بينك وبين ابنه العاصي فسيقدِّم ابنه عليك بلا تردد، وحينها فلن تجد قيمة لسلوك الواصلين ولا لعلوم العرفان. فدع عنك هذا، واحرص علىٰ إخلاص التَّوحيد لله تعالىٰ وحده، واتِّباع سنَّة رسوله محمَّد ﷺ؛ تنجو من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة.

قال الصُّوفيُّ: أنا أعرف أنَّ الخليفة لا بدَّ أن يكون موصولًا بنسب إلىٰ شيخ الطَّريقة، ولكن أن يقدِّم الفاجر علىٰ الواصل فهذا لا أقبله أبدًا، وعلىٰ كلٍّ جزاك الله خيرًا علىٰ هذا الحوار، ولعلَّ الله يجمع بيننا وبينك مرَّة أخرىٰ.

قال السُّنِّيُّ: اللَّهمَّ علىٰ الحقِّ، فما أردت إلَّا أن يتَّضح لك الطَّريق، ويظهر لك التَّوحيد، وتستبين لك السُّنن، وما الهدىٰ والتَّوفيق إلَّا من الفتَّاح العليم وحده ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

وأخيرًا: أسأل الله تعالىٰ أن يغفر لي ولوالديَّ، ولأهلي وأولادي، وللمؤمنين يوم يقوم الحساب، كما أسأل الله تعالىٰ أن يجزي شيخنا العلَّامة الدُّكتور/ سعد عبد الرَّحمن ندا علىٰ تزكيته لهذا السِّفر خير الجزاء، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته يوم القيامة، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]. وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

كتبه/ أبو عبد الرَّحمن عليُّ بن السَّيِّد الوصيفيُّ

دمياط - فارسكور





عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية

جوال / 00201007610099 - 00201140110099

E-mail : Dar_Sabilelmomnen@yahoo.com

E-mail: Dar_Sabilelmomnen@hotmail.com